

370.1:U48mA

عمر، جابر

370.1

U48mA

~~11 Feb 64~~

~~30 Apr 84~~

JAFET LIB.

~~20 MAY 1977~~

JAFET LIB.

~~17 MAY 1977~~

JAFET LIB.

~~17 FEB 1969~~

370.1
U48mA

الدكتور جابر عسر

المدخل
في

التربية

الطبعة الثانية

١٣٧٣ هـ - ١٩٥٤ م

مطبعة اللواء

المقدمة

ليس من شك أن جميع مواطنينا قد دهمتهم الحيرة وغشيتهم الاضطراب لتوالي النكبات المختلفة ولدخول البلاد مرحلة تطور سريعة ، ولقد دامت هذه الحيرة مدة طويلة اصبحت لظوها خطراً على كيان الامة ومستقبل حياتها . حتى لقد شملت هذه الحيرة جميع طبقات الأمة ومختلف الاجيال فيها . واذا كانت أسباب هذه الحيرة كثيرة ومتنوعة فاني لا انكر إن التربية هي واحدة من هذه الاسباب الهامة ، حيث ان التربية لم تستطع مسايرة الزمن بجميع تطوراتها وحوادثه وانها قد فشلت في تأدية رسالتها والقيام بتسليتها من المسؤولية والواجب لقد انتشرت المدارس الحديثة في جميع البلاد العربية وفتحت الامة صدرها للتعليم ورحبت به وانتظرت منه نجدة ومعونة ، فاذا به لا يحقق هذه الأمنية ولا يستطيع حل المشكلات الاساسية فاخذت الاتجاهات تتحول نحو تغيير اساليب التعليم وتطلب من القائمين على امره ان يعنوا بالتربية اكثر من ذي قبل وبدأ الناس يضعون ثقتهم في التربية وهم الآن ما يزالون ينتظرون منها عوناً كبيراً على حل هذه المشكلات .

على ان العلاءم الأولى قد بدأت تضعف الامل في نفوس الكثيرين بان اسلوب التربية، سواء كان الاسلوب العائلي أو الاجتماعي أو المدرسي لا يبشر بنجاح كبير وان الحياة قد تراكمت فيها المشاكل وتعمقت اكثر من ذي قبل . ولقد تصادمت اساليب التربية هذه فيما بينها وما زالت تتصادم دون ان يتغلب اسلوب منها على آخر فبسود الاتجاه العام ويوجه الحياة .

أجل لقد اختلطت الاجيال الحالية بما فيها من تقاليد ونظم متباينة واساليب غير مذبذبة ، لذلك فتمد ضعف الانسجام بين الاجيال وبدأت هذه الاجيال تتنافر فيما بينها وتتصادم قواها لا سيما وانها جميعاً تغذيها منابع غير نقيّة وتوجهها تيارات ذات مطامع خاصة واتجاهات متضادة .

(ب)

ومثل هذه الحالة ، تدعو جميع المفكرين في البلاد أن لا يدعوا الزمن يفعل مفعوله في تباعد وجهات النظر وفي توسيع الشقة بين الاجيال والفئات ، ونفقد بذلك ثقتنا بمقدرتنا ونفقد حرمة الامم الاخرى ايضاً .

وأمتنا تحملنا مسؤولية هذه الفوضى وتضع على المدرسة والقائمين بأمرها مهمة اصلاح الحياة وتثبيت أسسها الجديدة . وهذه مسؤولية كبرى تتطلب الجهد المتواصل والعمل الدائم والتفكير العميق والتعاون المستمر . والامة معذورة في ذلك لأنها رأت أن رجال التربية وقادة التعليم قد قاموا في جميع فترات التاريخ وفي مختلف التطورات الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والعلمية بنصيب كبير في سبيل تثبيت أسس النظم الجديدة وتدريب الاجيال الناشئة على قبولها وتبنيها .

واننا اليوم نشعر ان مثل هذه المسؤولية اكبر مما نستطيع تحملها ، وذلك لأن الاوضاع المختلفة التي نحن فيها والتي تسودنا تريناً بوضوح اننا دخلنا اليوم فترة من التطور الاجتماعي العام ضعفت فيه المقاييس وبدأ التعب النفسي يفكك قوة الارتباط بكل المقاييس الدقيقة مهما كان نوعها . ولقد تشابكت فيه المصالح وتطاحت فيه المطامع فصبغت التربية وجميع الاتجاهات الاخرى بصبغتها وهي لون مزيج من اشياء كثيرة ليس فيه وضوح ولا جاذبية مقبولة مثل هذه الحياة تفرض علينا ان نسرع في التفكير وتبادل الرأي وان نكثر من الابحاث العلمية والتربوية ، كي نستطيع تقصير فترة الانتقال والوصول الى حالة استقرار مرضية .

فالتربية بمقدورها أن تساهم في هذه الخدمة فيما اذا قام رجالها بواجبهم الاول وهو بحث أسسها واساليبها على ضوء التطورات الحديثة وقدموا للناس خلاصة آرائهم واتجاهاتهم خالصة لوجه الله والمصلحة العامة .

ولقد آمن كثيرون قبلنا بإمكانية التربية على تغيير الاحوال واصلاح الهيئات الاجتماعية ، حتي لقد كان لايمان المربين بقيمة التربية الاثر الفعال في كل ذلك .

(ج)

وربما تكون كلمة (فشته) الربى والفيلسوف الالماني في اثناء احتلال نابليون
لألمانيا ، من انه يؤمن بأن التربية قادرة على ازالة جميع المساوىء التي تزهق
النفوس وانه يؤمن أيضاً بأن التربية قادرة على استعادة المجد والعزة ، خير برهان .
واذا كان بعض العلماء هم وحدهم الذين كانوا يؤمنون بقيمة التربية وقدرتها
فقد اصبحت المجموعات البشرية اليوم تشارك العلماء في الاعتراف بقوة التربية
وأثرها . وانها الوسيلة الفعالة الاولى لاصلاح الاحوال وازالة كثير من المآسى
والآلام من نفوس الجيل الجديد بتوجيهه وجهة في الحياة صحيحة .
ان انتشار هذا الايمان قد سهل للتربية ان تنال مساعدة كبيرة من
رجال الدولة والمنظمات الشعبية وان تستعين بجهود مختلف اعضاء المنظمات
للوصول الى غاياتها واهدافها .

وهذا ما جعل الناس جميعهم يساهمون في مساعدة المدرسة . وجميع المعاهد
التربوية الاخرى ويشاركونها بعض اعمالها ومسؤولياتها .
ان هذا الكتاب انما هو وضع لطلاب الصف الأول من دار المعلمين العالية
ليكون لهم مرجعاً اساسياً في موضوعهم (مدخل في التربية) وانى اعترف بان
ضعف مدرستنا الثانوية في الناحية الاجتماعية والفلسفية قد جعل بعض مواضع صعبة
على الطلاب لانهم لم يتعودوا بعد البحث في الظواهر الاجتماعية على اسلوب
العلم السائد وانما كانوا ينظرون الى جميع هذه الامور بعين الرغبات الشخصية
والاراء التي لا تستند الا على افكار متقطعة واتجاهات خاصة .

واخيراً آمل ان يسد هذا الكتاب بالرغم مما يحويه من نواقص فراغاً
في حقل التربية وان يكون خير عون لطلاب دور المعلمين وللمعلمين عامة في
الاستمرار في بحث امور التربية والتعليم باتجاه علمي وبحماسة مهنية وان يقوم
بنصيبه في تحقيق الوعي التربوي الحديث والله من وراء القصد .

التربية بمعناها العام

لم يكن تعريف التربية ثابتاً في جميع القرون والعصور ولا عند كافة الشعوب والأمم. لأن التعريف غالباً يستخلص من الغايات المطلوبة أو الوظائف التي تنجز وفقاً للصفات والخصائص. لهذا فقد عرفت التربية في الماضي بتعاريف مختلفة لاختلاف الناس في الغايات التي يبتغونها منها. ومازلنا حتى اليوم نجد اختلافاً في ذلك إلا أننا نستطيع تحديد وظيفتها، بأنها تعنى بتأثير الأفراد بعضهم في بعض مقصوداً كان هذا التأثير أو غير مقصود. ويحدث هذا التأثير في كل هيئة اجتماعية وفي جميع العصور التاريخية، نتيجة لاختلاط الأفراد بعضهم ببعض، لأن الإنسان يتأثر بنظم الجماعة التي يحيا بينها، ويؤثر أيضاً في جماعته أحياناً كثيرة. إذن فهو في حالة تمازج وتفاعل مستمرين مع هيئته الاجتماعية.

ومادام الإنسان (اجتماعياً بالطبع) فالتربية تصبح إذن عملية اجتماعية مستمرة تؤدي وظيفتها وفقاً لمستوى الهيئة الاجتماعية، وأهم واجب للتربية الحديثة قيامها بتحرير ما في الإنسان من قوى كامنة، وإصلاحها وتهذيبها تهذيباً راقياً ليستطيع الإنسان القيام بواجباته الشخصية والعامة لأجل أن يكون فرداً منتجاً في هيئته الاجتماعية.

إن التربية الحديثة ترى لزماً عليها أن تعني بثلاثة أمور: (أولها): عملية إيقاظ وتحريك. و (ثانيها) تحسين للخصائص و (وثالثها) توجيه ذلك نحو هدف معين. وتؤدي هذا الأمر لا يكمل إلا إذا وجدت خطة مرسومة ذات هدف واضح. لهذا جميعه وجدنا التربية (قيادة واعية للنمو وتوجيهاً له نحو الطريق الأمثل، حيث صحة الفرد الحسنة، وإنتاجه الجيد.) ويشمل هذا التعريف جميع الأحياء (النبات والحيوان والإنسان) علماً بأن الأخير منها يتمتع بمكانة ممتازة لقدرته على التربية ومميزاته الخاصة أيضاً. فنجد هنا أن

حدود التربية واتجاهاتها، تخضع لميزات المورثة من جهة، ولتطور الحياة لاسيما في فترة النمو، من جهة ثانية، لأن المحيط يعمل دوماً على تفتح القابليات والخصائص الموروثة.

ومهما حاول الانسان أن يسلسل قوة الوراثة وقوة المحيط فإن حقيقة تبقى ماثلة لنا: هي أن هاتين القوتين تحققتان المرحلة الرئيسية للتربية. لهذا نجد أن عمل التربية هو مساعدة الطلاب (أطفالاً كانوا أو شباباً) بصورة خاصة على تفتيح القابليات الكامنة فيهم وتحريك قواهم الخاصة، مراعية ما ينتظر الطالب في المستقبل، ومعاونة له على فهم المحيط، ومعرفة واجبات الهيئة الاجتماعية. مثل هذا العمل يستوجب مسؤولية كبيرة وشعوراً صحيحاً بها. نخلص من هذا جميعاً أن التربية (هي ما تبحث في قيادة الأطفال والشباب بخطة مرسومة إلى هدف معين) وأهم الفروع التي تشملها فرعان: (١) تاريخ التربية (٢) نظم التعليم وتاريخ التربية يبحث في مراحل تطور التربية والتعليم في العصور الغابرة، لدى مختلف الشعوب، لاسيما التي كان لها نصيب وافر في الحضارة والمدنية. أما نظم التعليم فيختص بالبحث عن أصول التدريس ونظام المدارس وسائر الأعمال التعليمية الأخرى. ولعلم التربية صلة وثيقة بالعلوم الأخرى لاسيما ما كان مباشرة بوظائف التربية وأهدافها، التي لها أثر فعال في تنظيم الهيئة الاجتماعية. إن جميع أسباب الحياة ومؤثراتها، تفعل فعلها في التربية. لأن الأخيرة مرتبطة بالحياة، ومن العسير كما يرى الربون المحدثون فصل الواحدة عن الأخرى، فنظم الحياة الاقتصادية والاجتماعية تؤثر في عملية التربية والتعليم، وتقوم بتوجيه البلاد والشعب نحو وجهات معينة.

هذا التعريف الجديد للتربية تم اليوم نتيجة لتطور مكانة الفرد الحديث بتطور حياته الحاضرة، وهيئته الاجتماعية. أما سابقاً فقد كان الفرد يعيش في القرون الأولى خاضعاً لنظام الجماعة وقواعد الحياة العشائرية، من غير أن يتمتع بالاستقلال الذاتي وأنه لم يكن إلا شيئاً ثانوياً في الجماعة، وجميع ما لديه من

خصائص وقابليات لم يلتفت إليها - من قبل - لفقدان الحاجة إليها ولضعف أثرها بالنسبة إلى حياة الجماعة آنذاك . كذلك كان في القرون الوسطى إذ قد خضع الفرد أيضاً لنظم دينية ذات سلطان مطلق فكان تابعاً لها . لهذا وجدنا تعريف التربية حينذاك منسجماً مع حالة الفرد الماضية ومنزلته تجاه جماعة ، وكيانه الديني . أما العصر الحاضر فقد قدم للتربية مفهوم جديد ينسجم مع متطلبات الوضع الجديد . فقد أخذ الفرد يبال الرعاية الخاصة ، ويوجه له الاهتمام الكافي ، لهذا اتجهت التربية نحوه ، لتساعده على تنظيم أموره وزيادة إنتاجه الذي يوجه لخدمة الهيئة الاجتماعية ، التي يعيش فيها .

الاهداف التربوية

لقد كانت أهداف التربية هي الأهداف نفسها التي تتطلبها الهيآت الاجتماعية من الثقافة العامة . وهدف الثقافة مرتبط بهدف الحياة لكل جيل في كل جماعة أو هيئة اجتماعية لذلك نجد أهداف التربية متغيرة بالنسبة للأمم وبالنسبة للعصور حتي أننا نجد أن هدف التربية يختلف في العصر الواحد في بلاد واحدة فمثلاً نجد في أثينا أن هدف التربية كان تنمية القابلية العقلية وحده التفكير كذلك نجد الاسبارطين يطلبون القوة الجسمية وتقوية روح الشجاعة والاقدام . لذلك لا نستطيع أن نجد أهدافاً عامة موحدة للتربية في التاريخ القديم أو الحديث حيث أن ذلك يتبع التطورات الزمنية بالنسبة للأفكار السياسية والانتقالات الاجتماعية ويخضع إلى نسبة المستوى الثقافي والأسس الاقتصادية . ولذلك قد نجد تشابهاً في أهداف التربية بين أمة وأخرى أو عصر وعصر آخر بالنسبة للحالة التي تسود تلك الأمة أو ذلك العصر . فمثلاً نجد أن اليونانيين قد استهدفوا في القرون الأولى من التربية إخراج جيل جديد يخضع للدولة وقادر على أداء واجبات المواطن الحققة . كذلك نجد شبيهاً لذلك عند الألمان بعد حروب نابليون .

وكثيراً ما نجد أهداف التربية تختلف في أمة واحدة بالنسبة لاختلاف العلماء ونظرتهم للحياة وأهمية المواضيع التي يمارسونها ولا يخلو علماء الموضوع الواحد من اختلاف في بعض الأمور فلو أخذنا علماء الأخلاق الذين قد يهمهم هذا الموضوع قبل غيرهم نجدهم ينظرون الى عناصر الخلق نظرات متفاوتة فمنهم من يرى أن تكون عناصر الخلق أموراً معينة فيعتبر بعض الصفات والمثل العليا هي التي يجب أن تحتل المقام الأول من التربية كما نجد آخرين يرون أن صفات خلقية أخرى أهم منها أو أكثر قيمة للتربية من سابقاتها وعلى أساس ذلك يتطلب كل مدبر رعاية خاصة بالصفات التي يراها ضرورية للهيئة الاجتماعية .

وقد تدخل النظرة الدينية وأثرها في نفوس العلماء لهذا العلم في تقرير أهداف التربية . ولهذا فتاريخ الحركة العلمية والتطورات الاجتماعية مملوءة بالأمثلة الكثيرة عن تباين وجهات النظر بين العلماء في أمة واحدة .

والأمم تختلف أيضاً اختلافاً كبيراً في نظمها ومثلها العليا وهذا الاختلاف يؤثر في وجهة التربية ويسيرها في طريق خاص ملائم للأمة، قد يكون أحياناً لا يلائم العصر الذي تعيش فيه . فيذكر لنا بعض العلماء مثلاً أن الحضارة الصينية وجهت التربية الصينية وجهة انتجت الاستقرار والفن إذ أنها تولد الشك والزهد ولذلك فالترية الصينية لم توجد للشعب الصيني الانتاج والتقدم على حين نرى التربية اليابانية على العكس من ذلك قد أو جدت نزعاً جعلت العظمة الوطنية الهدف الأسمى وهذه شبيهة بما كان عند الرومان من أن واجب التربية يجب أن تخرج مواطنين مخلصين للدول عن طريق تربية عواطفهم والمعارف التي يدرسونها ، فالأدباء الصينيون كانوا حسب رأى هؤلاء يسرفون في الشك ويساعدون بذلك على الكسل على حين أن اليابانيين يسرفون في الخضوع لهذه القوة .

كذلك ظهر ان الكنيسة الكاثوليكية في القرون الوسطى قد وجهت التربية نحو اهدافها الدينية المحضة بان حاولت ان تجبر المدارس على اخراج شخصية

دينية قادرة على فهم الدين ،مفدزة لآراء الكنيسة ،حتى ان لوثر نفسه الذي حارب الكثير من تعاليم الكنيسة . قد استهدف هذا الهدف واكتفى بان حارب الطريقة المتبعة من قبل الكنيسة لأنها لا توصل الى الهدف الدينى الصحيح .

فلقد حارب لوثر مثلاً البابا والمؤسسة الكنسية كسلطة دينية وزمنية وفي الوقت نفسه قاوم انتشار آراء ارسطو في المدارس والتعليم لأنها كما يري كانت تبعد المرء عن الاعتقاد بالدين كما انه كذلك لم يرغب فى تشجيع العلوم الطبيعية لأن هذه العلوم برأيه كانت مزعجة حيث انها توجد الشك في الإنسان مما يضعف العقيدة الدينية ويوجه الفرد المسيحى في رأيه وجهة طبيعية بعيدة عن اسس الدين المسيحى العاطفية .

وأننا لنجد التربية في هذه الفترة الدينية كانت شبيهة بالتربية اليابانية القاسية من حيث الاسلوب الا أن الهدف عند اليابانيين كان ينحو نحو تقوية الدولة اما الكنيسة فقد حاربت الدولة الزمنية وجعلت نفسها هدفاً لهذه التربية .

كذلك لما اشتد الخلاف بين الكنيسة ولوثر وجدنا ان تلميذ لوثر (Philipp Melanchthon) يعود ثانية فيطلب تدريس فلسفة ارسطو ويحاول الاستفادة منها وتوحيدها مع آراء الدين المسيحى لان فلسفة ارسطو حاوية على قواعد ثابتة للخطابة والمناقشة والاخلاق للمواطن كما ان الدين المسيحى فيه احسن القواعد للاصلاح الدينى فأمتراج فلسفة ارسطو بتعاليم الانجيل ليخرج لنا جيلاً مزوداً بالمعرفة ومتجلياً بالخلق الدينى لذلك سادت هذه الفكرة كافة الاقطار التي اعتنقت المذهب البروتستنتى اى استخدمت الفلسفة كواسطة لتثبيت الخلق الدينى المسيحى وتلميذ لوثر استطاع ان يستفيد من فلسفة ارسطو لمصلحة العقيدة اكثر مما ظن لوثر نفسه .

اما في زمن اليقظة الفكرية فقد كان هدف التربية تقوية التفكير العقلي والمحاكمة المنطقية لذلك اصبح العقل عند هؤلاء العلماء يقوم مقام الاله حتي لقد قال (Dante) ان العقل هو الذي يجعل الانسان القاعد الاول لحياته والذي يوضع

علاقة الشخص مع المحيط او الاشخاص الذين يعيش معهم ومعرفة ماهو حق او خطأ او جيد او رديء هي من احكام العقل الاساسية لذلك فالانسان له عقله فلا حاجة الى الكنيسة . وهذا التصادم بين الاتجاهين ، اتجاه الكنيسة الديني واتجاه رجال اليقظة العلمية اوجد اهدافاً مختلفة للتربية في كل شعب من شعوب اوروبا التي حصل فيها هذا التصادم .

وفي هذه الفترة اصبح هدف التربية العقل والشعور الطبيعي ، كذلك أيد باسكال بأن العقل اساس الكرامة الانسانية وينبوع العلم ومصدر الفلسفة . لذلك نودى بحرية التربية وجعل الطفل يجرب بنفسه وقيل ان تجربة الانسان بنفسه هي خير من المعلم (المرء يتعلم من الخطأ) لذلك يجب ان يتحرر الطفل من قيود الكنيسة والدولة ولا يوجد احسن من الطبيعة ملجأ له فهي القوة التي تسير بنظام متناسق ولذلك فهي المثل الذي يجب ان يتبع ولو اتيح للبشر التحلل من القيود المصطنعة التي وضعها الانسان لأتت البشرية ثمرتها كما تأتى الطبيعة ثمرتها والعالم الافرنسي (روسو) هو زعيم هذا الاتجاه في التربية بما احدث من اتجاه جديد في فرنسا وفي وسط اوروبا التي تأثرت بأرائه وحاولت تطبيق بعضها على حين نجد اثر ذلك ضعيفاً في التربية بالنسبة للشعب البريطاني القريب من فرنسا لان الشعب البريطاني اراد في هذه الفترة الزمنية من التربية الانكليزية ان تخرج له ال Gentleman الشخص المتخلق بما يشبه اخلاق الفارس في القرون الوسطى .

كذلك عندما تنوعت الحياة ونمت المدن في اوربا تغيرت اهداف التربية باختلاف نظم الحياة واهدافها اذ نرى كل ذى مهنة يحاول ان يكون نصيب مهنته من التربية الحظ الاوفر فالتاجر يهدف من ذلك غير ما يهدف اليه المهندس والعالم الديني يريد غير ما يتطلبه الطبيب فذشوء الصناعة وتغيير نظم الحياة الصناعية اخذت مكاناً مهماً في الحياة وتغيرت فكرة الدولة عن ذي قبل فبعد ان كان مدلول الدولة مثلاً في زمن لويس الرابع عشر الملك هو الحكم اصبح مفهوم الدولة بعد

نمو الصناعة هو رعاية مصلحة الافراد جميعهم وان واجب الدولة هو ان تؤمن مصالحهم
وتدير اعمالهم بدلا من تأمين مصلحة الملك واصبح المثل السائد هو نحن الدولة بدلا
من انا الدولة (في كلمة لويس الرابع عشر) (ونحن هنا تعني ابناء الشعب)
لذلك اصبح الشعب هو مصدر السلطات وله الحق الاول في توجيه التربية وفقا
لدستور الأمة الذي سادته الروح الديمقراطية .

وحتى في الوقت الحاضر ما زال نجد اختلافاً كبيراً ايضاً في هدف التربية
بالنسبة للأمم وحالتها السياسية ومركزها العالمي ونوع التقاليد التي تسود فيها
فالتربية الانكليزية التي تأثرت بالتوسع الاستعماري في القرون الثلاثة الماضية الى
نالت مركزاً عالمياً ممتازاً تستهدف من التربية في بعض المدارس الناحية الارستقراطية
التي توجد في الطالب فضائل معينة منها مثلاً ان يكون الطالب نشيطاً جليداً صحيح
البدن تمتلكه معتقدات معينة يمتد ان له رسالة في الحياة . لذلك فالتربية
الانكليزية هذه تريد اخراج شخص يستطيع ان يحكم غيره لاسيما الشعوب الابتدائية
في المستعمرات ، لان صفات رجل الحكم في المستعمرات تختلف عن الآخرين
حيث يطلب من الفرد مثلاً ان يضحي بالعطف من اجل الصلابة الضرورية . وان
لا يعبأ كثيراً بالتفكير الفلسفي الدقيق الذي يدعو الى الشك والتردد في الامور
العملية التي تتطلب البت والحزم . حتى لقد بالغ الانكليز بهذه الصفات فقالوا :-
ان معركة واترلور بحث في ملاعب اتيين الرياضية . وقد يكون هذا الهدف سائداً
منذ ايام جون لوك (١٦٣٢ - ١٧٥٤) الفيلسوف الانكليزي الذي غنى بالتربية
عناية خاصة ونظر الى المصالح القومية الانكليزية نظرة تقدير ورعاية لذلك كان
يرى ان تعني التربية بالتطور العالمي والشعور القومي لتستطيع بذلك ايجاد شعب
نشط وامة قوية وان يسود الأمة كيان مستقر يحافظها على العادات والتقاليد
وان تجعل الفرد خاضعاً لنظام الهيئة الاجتماعية اكثر من خضوعه لفرديته
المطلقة .

ومع ان فلسفة جون لوك لم تختص بالشعب البريطاني بل عمت كثيراً من شعوب

اوروبا فقد تأثرت بها المانيا تأثراً قوياً الا اننا نجد ان العلماء الالمان رغم تأثرهم بأراء لوك فانهم ينحون نحو هدف آخر من التربية فقد كانوا قبل حرب نابليون يريدون ان يكون هدف التربية هو الفكرة البشرية الانسانية المتحررة من اغلال الدين والسياسة وان تكون هذه الفكرة غير خاصة بطبقة واحدة لان الفيلسوف (كنت) قد عبر عن ذلك بأن طالب التربية بأن تخرج من الفرد انساناً صحيحاً كائناً خلقياً عاقلاً حراً، وآمن (كنت) بأن التربية قادرة على ايجاد هذا الشخص بهذا الشكل . على ان حرب نابليون وأثرها في المانيا قد اوجد انعكاساً مفاجئاً حتى في طلبه (كنت) الذين كانوا يسيرون وبقالارائه (كنتشه وهيكل وغيرهما اذ اخذوا يجرون بانهم ابتعدوا عن الهدف الاول وأنهم يريدون من التربية ايجاد فرد يخضع للدولة مؤمن بانها هي القوة الاولى المطاعة وهي المسؤولة الاولى عن ايجاد الاستقرار وتأمين مطالب الفرد لذلك يجب ان تتجه التربية نحو هذا الاتجاه لحاجة المانيا القصوى الى ذلك .

كذلك نجد ان الخصائص التي تفردت بها امريكا دون غيرها من الشعوب الغربية قد اوجت لها اهدافاً معينة للتربية تختلف عن غيرها فغاية التربية في الولايات المتحدة كانت تحويل مجموعة من البشر المتباينة الى أمة متجانسة ودمقراطية وهذا الهدف يشبه ما حدث في التربية الاسلامية الأولى التي عملت على تحويل كثير من العاصر غير العربية الى أمة عربية استعربت بواسطة نظام الدين .

وقد يكون لميزات الولايات المتحدة الامريكية الخاصة بها وأهمها - المستوى الاقتصادي العالي وما يستند اليه هذا المستوى من ثروة طبيعية كبيرة كذلك ان بعد امريكا عن أوروبا، أبعدها عن تصادمات كثيرة وتركها في جو حري عمل لأن قطع الصلة بأوروبا التي هي المنبع الأول لسكان الولايات المتحدة، جعل هذه المسافة الطويلة كافية لأن تبعد الحرب والمنازعات عن الولايات المتحدة وتجعلها في أمان ولم تتعرض لخيبة الانكسارات ونكبات الهزائم شأن أكثر الدول الأوروبية . كذلك نجد ان تكوين شعب الولايات المتحدة بهذه الصورة أي من المهاجرين

المختلفين في الجسديات واللغات والأديان قد افقد الشعب الأمريكي قوة التقيد بالتقاليد الموروثة وحرصه على القديم الجامد . يضاف الى ذلك ملازمة الولايات المتحدة لنشوء الصناعة وتطورها . كل ذلك عمل على تحقيق هذا الهدف التربوي في الولايات المتحدة . مع ان بعض هذه الصفات تشابه ما في بعض دول اوروبا ومناطقها لكن مجموع الخصائص متعاونه كلها قد جعلت الحياة وأخيراً التربية تسير في طريق خاص عليه طابع الولايات المتحدة .

وكما نجد الآن اختلافاً كبيراً في اهداف التربية بالنسبة للذكور كذلك دخلت مشكلة جديدة للحياة عندما دخلت المرأة منذ قرن أو يزيد هذه الحياة العملية واصبحت مضطرة لكسب عيشها بنفسها . لذلك فقد تغير طراز حياتها في اكثر الأمم الغربية واصبحت تعادل الرجل أولها حقوق عامة كما للرجل . فبدأ النقاش ايضاً في وجهة اهداف التربية بالنسبة الى هذه الناحية الجديدة وكذلك بدأت النظرتان تتنازعان بشدة ولقد دخل في هذه المعركة اكثر المفكرين والقادة وهاتان الفكرتان كونت المشكلة التالية وهي هل الاصلح ان يكون هدف تربية البنت ايجاد سيدة وربة بيت فقط أو اعدادها لكسب عيشها بنفسها كما يفعل الرجل؟ ورغم حدوث الاستقرار في بعض الامم فان اهداف التربية بالنسبة للبنت لازالت قلقة وموضع بحث وتجربة .

ولم تخل اية دولة حديثة من هذه المشكلة الاجتماعية الكبرى التي اصبحت حيوية جداً وتتطلب الحل السريع من قبل رجال الدولة انفسهم لأن التربية وحدها لا تستطيع ان تقرر ذلك فهي تقرر طرقها واهدافها بالنسبة لحاجة الأمة وطراز حياتها أو بالنسبة للغاية العامة التي تريدها البلاد وهذه تقرر من قبل رجال الدول فتفرع الحياة ودخول البنت المدرسة كالولد وتنوع الحياة العامة وانتشار الحركة النسوية العالمية جعل التربية في بعض الدول الحالية في حيرة من امرها في تقرير التربية بالنسبة للمرأة . اننا نجد انه من الوجهة العملية قد دخلت المرأة منذ نصف قرن أكثر نواحي الحياة العملية في الغرب وقد ارغمتها الحرب العالمية

الاولى على ان تقوم بكثير من الواجبات التي كان يختص بها الرجال لهذا السبب طالبت المرأة ان تعطى حقوقاً مقابل الواجبات التي قامت بها وقد نالت هذا المطلب في اكثر الممالك الغربية حيث اضطرت كثير من الحكومات الغربية الى تغيير قوانينها بالنسبة للمرأة وما دامت القوانين قد تغيرت والدوائر والمهن قد ملئت بالسيدات فلا بد للتربية اذن ان تسير في اهدافها وفقاً لهذا الانقلاب الكبير .

وتوضيحاً لما مر ذكره من المستحسن لنا الآن ان نعرض بعض آراء المربين في اهداف التربية لنرى بوضوح نوع الاتجاه فيها وآراء كل منهم وشدة الاختلاف بينهم وذلك بالنسبة للعصور التي عاشوا فيها أو طبع الامم التي ينتمون اليها .

قال افلاطون ٤٣٧ ق م - ٩٤٧ : إن نظام مجتمع من المجتمعات يكون ثابتاً إذا كان كل فرد يعمل فيه ما يؤهله له استعدادة الفطري على النحو الذي يتحقق فيه الخير لغيره وان وظيفة التربية هي اكتشاف هذه الاستعدادات والدأب على تهذيبها من أجل خير المجتمع لذلك فالتربية لا تنجح إلا تحت حكومة عادلة (الفلاسفة حكماء) من ذوي الحس والوجدان التي تستعين بكل فرد للعمل الذي تؤهله له طبيعته في الحياة .

وقال افلاطون أيضاً : الغاية من التربية هي اعطاء الجسم والروح كل ما يمكن من الجمال وكل ما يمكن من الكمال .

وقال ارسطو ٣٨٩ ق . م . ٣٢٢ - ان الغرض من التربية هو اعطاء العقل لكسب العلم كما تعد الارض للنبات والزرع .

وقال ملتون ١٦٠٨ - ١٦٤٧ اتنا كثيراً ما نقول مفتخرين . هذا ما قاله شيشرون وهذه آراء افلاطون هذه كلمات ارسطو تلك طرائق سقراط ولكن اين ما نذكر عن آرائنا الخاصة؟ أين ما نعجب به من اعمالنا وافعالنا؟ أين ما نفتخر به من عقولنا وتصرفنا للأشياء؟ (ان التربية الصحيحة هي التي تعد الرجل ليقوم بمهارة في واجباته الخاصة والعامة في السلم والحرب) .

قال كنت ١٧٢٤ - ١٨٠٤ - الغرض من التربية ان نعزل بالإنسان الى الكمال

الممكن . ان الله تعالى خلق الانسان واودعه بذرة كماله المذشود ثم تركه للعمل
ينمي فيه البذرة حتى اذا ما اشتد ساعده واصل تربية نفسه بنفسه محققاً
بذلك ارادة السماء .

قال بستالوتري ١٧٤٦-١٨٢٧ - التربية هي تنمية كل قوى الطفل تنمية كاملة
متلازمة .

وقال هربرت ١٧٧٦ - ١٨٤١ : ان الغرض من التربية هو تهذيب الاخلاق
واكتساب الفضائل .

وقال آدم سميث ١٧٢٣-١٧٩٠ - ان الفرق الذي لمسته في كثير من الاحيان
بين الفيلسوف ورجل الشارع يكون مذهب التربية اكثر من الطبيعة .

أما لوك فيرى ان الغرض الاول من التربية هو تكوين الشخصية القوية النافعة.

قال تورندايك - ان التربية اعظم مساعد للناس جميعاً على تحقيق خيرهم

المطلق .

قال جون ديوي ١٨٥٩-١٩٥٢ التربية هي الاسلوب الذي يجعل الانسان قادراً

على حكم نفسه وقواه حكماً متوازلاً متزايداً بالاشتراك المتواصل المتزايد في اعمال

الجنس .

قال كرشن شتاينر ١٨٥٤ - ١٩٣٢ اننا لا نستطيع ان نحصر اغراض

التربية في أمر واحد وكل ما هناك ان التربية يجب ان تتناول الابقاء على الماضي

ابقاء لا يستر عيوبه ولا يعمينا عن خيرات الحاضر والوقوف على الازمنة والبيئات

والطبقات المختلفة حتى نستطيع ان نوسع مدى اتصال الناس بعضهم ببعض وان

نتناول تمدن الناس ومحو الوحشية من بينهم الى الطريق الذي يتفق وميولهم الخاصة

حتى يبلغوا اقصى ما هو كفء لهم ونفوس العادات الطيبة من غير ان نستعبد الناسي .

وأخيراً يحسن بنا أن نستعرض رأى الربى الأمريكى جون ديوي

في معايير الأهداف وبعض خصائصها . فيرى جون ديوي في كتابه الديمقراطية

والتربية . بأن التربية في حد ذاتها ليس لها هدف وان اصحاب الأهداف هم

الأشخاص والآباء والمعلمون لذلك لا نهاية لتسوع أهدافهم .

ويرى أيضاً بما أن الهدف له صلة كبيرة بالنتائج لذلك لا يمكن تقرير الهدف قبل التفكير في النتائج التي تنتج عنه ولذلك فحينما لا تسمح الفرص بأن يتطلع الناس إلى عاقبة العمل يبقى الرأي في الهدف موضع نقاش . والهدف هو غاية يسعى الإنسان للوصول إليها لذلك فهو الذي يقرر طريقة العمل ويؤثر على الخطوة تأثيراً تاماً فهو يوجه العمل ويسوق الإنسان إلى نوع الخطوة الصالحة له ، ولاهمية ذلك يرى جون ديوى أن الهدف الصالح يجب أن يتصف بما يلي : -

١ - يجب أن يكون الهدف التربوي وليد الظروف الراهنة مبنيّاً على الأمور الجارية فعلاً وعلى ما في الوضع من وسائل وصعاب ويبنى على الفعاليات الذاتية للطلاب وحاجته

٢ - يمكن تحويل الهدف بالاضافة إليه أو النقص منه حسب نتائج الخطوات الأولى للعمل .

٣ - ينبغي أن يمثل الهدف دائماً اطلاقاً لفعاليات الإنسان وتحريرها . وإذا اخذنا برأي جون ديوى في ذلك فنرى أن تقرير الهدف يتوقف إلى حد كبير على نوع خصائص الأمة وامكانياتها فهو اشبه بالمنطقة التي يصبوب إليها والفرد يخضع في انتاجه إلى خصائصه إلى حد كبير .

هرف التربية في الامة العربية

ان كل من يشتغل بامور التعليم في البلاد العربية يشعر بان أكثر الأهداف التي اصبحت مقررة في التربية عند الأمم الغربية لازالت بعيدة عنا رغم محاولتنا الاقتداء بهذه الدول والاستفادة من النتائج التي حصلت عليها بنتيجة البحث الطويل والاختبارات المختلفة . والأمة العربية وان استطاعت ان تحاول اعتناق النظام الديمقراطي بتطبيق كثير من النظم البرلمانية في الحكم وعمليات الانتخابات ما زالت في حاجة الى كثير من مقومات النظام الديمقراطي الصحيح أو المذهب الذي تسير عليه أكثر شعوب أوروبا الديمقراطية ، وهذا شأن الحياة الجديدة فالأمة العربية حديثة الاتصال بأوروبا وكل ما اقتبسته الآن يجب ان تهضمه أولاً وتغيره وتحوره وفقاً لخصائص الأمة وامكانيات البلاد وهذا هو بعض السر في عدم تطبيق كثير من النظم الغربية التي اقتبستها أمتنا على النسق الذي تطبق عليه في الغرب وفق خصائص الأمم الغربية ورغباتها لذلك فهي مستقرة عندهم ولكنها قلقة في أكثر البلدان التي اقتبستها اقتباساً .

وعلى هذا فاذا ما حاول قطر عربي ان يعتنق النظام الديمقراطي ويسير في التربية على قواعدها لا يمكنه ذلك لما ذكرنا من الفرق الجوهرية بين روحية الأمة العربية وطرز حياتها وتقاليدها وبين النظام الديمقراطي الغربي . ولذلك فسوف يصعب علينا تطبيق الاسس التربوية الديمقراطية في المدرسة العربية بالشكل الموجود في المدرسة الغربية لفقدان الفلسفة للحياة الضرورية لهذه الاسس والتي تكفل لنا التناسق بين عناصر الحياة . والأمة العربية ليس لها لحد الآن فلسفة واضحة للحياة الجديدة وانما تسير بها وفقاً للفتة من أمثال العليا التي سادتها عصوراً طويلاً وما زالت تسعى لتحقيقها ومسايرة نظم الحياة الجديدة القادمة من الغرب لذلك تبقى التربية في الأمة العربية الى زمن طويل متأثرة بالخصائص البارزة في الأمة العربية مع مسايرة قوة هذه الحياة الجديدة .

ان طبيعة الأمم كطبيعة الافراد تبرز فيها صفات : الاولى اجتماعية والثانية :

فردية لذلك نجد بعض الامم تغطي على نفوس افرادها الصفة الاجتماعية بقوة بينما نجد الأخرى تسودها الصفة الفردية وهذا المظهر في الامم والافراد ليس ثابتاً دائماً فان بعض الامم تتخلق بالصفة الاجتماعية في فترة معينة من فتراتها ثم تنسحب الى الصفة الفردية في فترة أخرى وأحياناً بالعكس .

ولقد ظهر ان طبيعة امتنا العربية ميالة منذ القديم الى الناحية الفردية لذلك أصبحت طاغية على أكثر البلاد العربية بنسب مختلفة حيث نجد بعض الاقطار العربية اليوم بدأت تسودها نوع من الروح الاجتماعية واخذت تتغير تدريجياً عن الروح الفردية القوية . وبما أن الناحية الاولى أي الاجتماعية أصبحت اليوم سائدة في أكثر الأمم الديمقراطية لذلك فان المدرسة تصبح فيها نموذجاً مغفراً للمحيط الذي تعيش فيه اما في بلادنا فان الشعب مازال بحاجة الى الاتجاه نحو الناحية الاولى أي الناحية الاجتماعية فيما اذا أراد مسايرة هذه النظم الجديدة التي تسود العصر الذي نعيش فيه وعلى التربية ان تحاول التخلص من الفردية وتسعى للاخذ بالروح الاجتماعية فاصبح واجب التربية والمدرسة اذن أن تهيب للفرد العربي الجوارح اللازمة لنقله او تحويله من الفردية السائدة الى الناحية الاجتماعية التي نسعى اليها .

لقد أصبح النمو الطبيعي والكفاية الاجتماعية في أكثر أنحاء العالم المتمدن اليوم من جملة اهداف التربية الهامة وتعمل المدرسة في تلك الاقطار جادة في تحقيقه ونجد المدارس العربية - الا ما ندر منها - لا تسير في طرق التدريس وجوها المدرسي على خطة توصلها الى هذا الهدف العام او تحقيق جزء كبير منه ، هي مازالت تتبع الروح القديمة البعيدة عن نمو الكفاءات الخاصة وتحقيق الهدف الاجتماعي بل مازالت تضع الامة الاولى على تلقين المعلومات بطرقها المألوفة مكتفية بأن يكون مظهر المدارس الخارجي والطلاب مشابه لما في الغرب تقليداً لما هو موجود هناك . لذلك نشعر بان مدارسنا لا تعزل في انتاجها مرحلة تتحارب المدارس الغربية المقاربة لها في الامكانيات .

ورغم ان الامة العربية يختلف انتشار المدارس فيها باختلاف اقطارها

وكذلك طريقة التعليم لاختلاف قوة صلاتها بالغرب فهناك اقطار عربية لازالت الحياة فيها بدوية كما كانت قبل أكثر من الف سنة على حين نجد أقطاراً أخرى قد أخذت نصيباً وافراً من المدنية وأحكمت الصلة بالغرب وأصبحت حياتها العامة أقرب لأوروبا منها لهذه الأقطار العربية النائية في المسافة والزمن ، فأوجد هذا بين الأقطار العربية هوات كبيرة في نوع الحياة وطرز المعيشة وأصبحت تعرقل نسجام أهداف التربية فيها وتغير أساليبها ونظمها .

اننا نجد في البلاد العربية تقارباً في الفكر والروح الاجتماعية فالتأريخ العربي ما زال يشع على كافة الاجيال في مختلف بقاع العرب فيعطيها لونا واحداً منسجماً أو لواناً متشابهة جداً . كما ان الدين الاسلامي الذي يألف والروح القومية اللامعة العربية عامة يسود شعبنا بمختلف طبقاته ويكون تناسقاً في روح الأمة الاجتماعية وشعورها الروحي . كما ان المصائب التي حلت وتحل بالأمة العربية تؤثر كثيراً في ايجاد تقارب روحي وفكري ومادى لدفع الاذى وللمحافظة على الحياة لاسيما وان اكثر البلاد العربية مبتلاة بمرض واحد وهو الاستعمار أو النفوذ الاجنبي المباشر لذا فان الحياة في اكثر الاقطار العربية اليوم متأثرة كثيراً بالحياة الماضية . والحالة السياسية التي طغت على البلاد العربية بأهداف واحدة ولكن اشكالها مختلفة وعلى هذا نجد رغبة هذه الأقطار واضحة حيث تريد من التربية ان تخرج مواطنين صحيين اقوياء يستطيعون ان يحسنوا اقتباس ما هو مفيد من هذه المدنية العربية التي طغت على بلادنا وبماكانهم تحقيق المثل العليا للأمة ومكافحة ما فيها من مرض وجهل وفقر وان يحافظوا على ما هو صالح من تقاليدنا وعاداتنا والتي لا تحول دون السير على الأساليب العلمية في تسود هذا العصر .

فهدف التربية الآن يشبه كثيراً الاهداف التي وضعتها المانيا لنفسها بعد حروب قابيلون وهي تقوية الفرد من ناحيته الشخصية والانتاج وادخال روح النظام القوي الى نفسه ومحاربة الفردية الطاغية ليصبح عضواً فعالاً في الدولة ويقوم بالرسالة القومية التي تتطلبها حلة بلاده .

كما أن هدف التربية الذي وصفه جون لوك للتربية الانكليزية ينسجم كثيراً ورغبات أمتنا وينسجم وهذه الأهداف على أننا نجد أن هدف التربية هذا في الأمة العربية لم يدرس دراسة فنية عميقة مستندة على الدراسة الاجتماعية والسياسية والاقتصادية الضرورية لتقرير ذلك . يستدل على ذلك من طابع المدارس وأهداف الطلاب والآباء حيث أن أهم غاية لهم من المدرسة إخراج موظفين للدولة كما كان الأمر في أوروبا في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر . وقد يكون ذلك ناتجاً عما الفناه في غاية المدارس أيام حكم الأتراك حيث طغت هذه الموجه على مدارسنا ولا زالت توجه حياة الطلاب دون رغبة الدولة والأمة الى هذا الهدف وتدفعهم بقوة في هذا السبيل .

والجامعة العربية التي نشأت في ظروف الحرب الماضية والتي تسعى لتحقيق أهداف الأمة العربية العامة قد وجهت همها الى التربية وأوصت الدول المشتركة فيها بالاستفادة من النصائح التي تسديها اللجنة الثقافية في الجامعة . وقد جاء في نشرتها التي ضمنتها قرارات المؤتمر الثقافي الخاصة بالتربية الوطنية ما يلي : -

« يرى المؤتمر أن الغرض من التربية الوطنية بث الروح الوطني في نفوس الشعب وارتباط الوعي الاجتماعي فيهم حتى يشعروا بارتباطهم بوطنهم ويدركوا واجباتهم العامة ويتعاونوا على القيام بها ويقدموا مصلحة الوطن على مصالحهم

الخاصة»

لذلك ترى اللجنة الثقافية في الجامعة العربية أنه يمكن اختلاف طرق التعليم في البلاد العربية نسبة لحالة البلاد المختلفة وامكانياتها الاقتصادية والسياسية ومستواها الاجتماعي على أن يبقى هدف التربية في كافة الأقطار العربية على ما ذكرته في نشرتها لتستطيع الأمة العربية بمرور الزمن إزالة الفروق الموجودة ولايجاد جيل عربي يشعر بواجبات الأمة العربية ويؤديها على وجهها الأكمل .

وظائف التربية

لقد مر بنا في تعريفنا للتربية بأنها هي العلم الذي يبحث في قيادة الأطفال والشباب حسب خطه "مرسومه" ولذلك فوظيفته "التربية" الأولى هي إدارة الطفل والشباب ومساعدة كل منهما في عمله ونموه لتحقيق الأهداف العامة للحضارة والتقدم والنهضة القومية.

فالتربية "أصبح واجبها النهائي" بالمجموع وجعل الفرد منسجماً معه لذلك عليها أن تنمذ الطلاب أو المدرسة "نحو الهدف التربوي الذي تختاره الهيئة الاجتماعية" فتعمل على أن توجد بين هذا المجموع والفرد جواً من التعاون الانسجام وذلك لضرورة الانتاج الفردي واستمرار التقدم الشعبي باصلاح الفرد ومساعدة نموه ليكون عضواً منتجاً ونافعاً في المجتمع ولهذا تشعبت التربية الى شعب مختلفة كالتربية الشعبية والتربية الفنية والتربية العلمية والتربية الزراعية أو الصناعية وفقاً لقابليات الافراد من جهة وحاجة المجموع من جهة أخرى وسارت كل واحدة منها للوصول الى أهدافها بالطرق التي تراها ملائمة لها ومنسجمة مع مستوى العصر والامكانيات الموجودة . ان وظيفة التربية لا تنحصر في المدرسة كما يتصور بعض الناس بل ترافق الانسان طوال حياته فما دام الانسان حياً يعيش ضمن مجموعة بشرية ، عليه أن يقوم بواجباته المختلفة لهذه المجموعة البشرية كما أنه أن يتمتع بكامل حقوقه التي تمنحه اياها هذه المجموعة لذلك فالتربية تعينه على القيام بهذه الواجبات كما تعينه على نيل حقوقه أيضاً والمتمتع بها ولذلك فهي ترافقه ما دام حياً لأن الفرد بحاجة دوماً الى مساعدة التربية لاستمرار عملية التفاعل بينه وبين الناس الذين يعيش معهم فهو خاضع الى المحيط الذي يوجد فيه ويفرض عليه الانسجام معه بالتكيف وفقاً لشروط ذلك المحيط لتأمين نموه من الناحية الجسمية والنفسية إذ على أساس اصلاح غرائزه وتهذيب خلقه تتوقف قوة الروابط الاجتماعية الضرورية . ومهما حاول الانسان أن يعيش

منعزلاً عن غيره لا يستطيع ذلك لما حوى طبع الانسان من غرائز اجتماعية ولما في الحياة من ضروريات كثيرة تدفع كل فرد من أفراد المجتمع لأن يتعاون مع غيره بالطرق التي يرغب فيها للتغلب على صعوبة الحياة التي تزداد يوماً بعد يوم وحتى لو استطاع الانسان الاستقلال في أمور كثيرة فهو يبقى مع ذلك خاضعاً لكثير من تأثيرات المجتمع الذي تسيطر الهيئة الاجتماعية والمحيط الطبيعي عليه على أنه لا ينكر مع ذلك ان اقوى مؤثر في عملية التربية سيبقى دوماً الانسان فتأثير الانسان على الانسان اقوى من أي تأثير آخر وان كنا نعترف ان العوامل المؤثرة في العمليات التربوية لا تنحصر بالانسان وحده وانما كما قال رسو تشمل الطبيعة والاشياء ايضاً حيث ان الخصائص التي اختص بها الانسان كالحب والاخلاص والتواضع والاحترام ، هي التي تؤثر بقوة في نفس الانسان وهي التي تقرر نوع الهيئة الاجتماعية وتكون نظم حياتها وطرز معيشتها . ولذلك فوظيفة التربية هي التأثير على هذه الصفات الفكرية والنفسية والخلقية لتوجيهها نحو الغاية العامة التي تسمى اليها . لذلك فعملية التربية إذن عملية روحية اكثر منها عملية ميكانيكية لأن اقوى العلاقات بين أفراد الهيئة الاجتماعية هي علاقات روحية . والانطباعات الروحية في الهيئة الاجتماعية لا يمكن ان تعلم وتكتسب بالتعلم بل تجرى بطريقة مباشرة وذلك بالتبادل الروحي بين الاجيال المختلفة . وهذا التبادل الروحي لا يمحصر في طبقة معينة أو مستوى ثقافي خاص بل لا يتفقد بكل هذه الحدود فقد يحدث تأثير روحي بين الصغار والكبار أو بين المعلمين ومن هم أقل منهم تعالماً . وكثيراً ما نرى ان تأثير شخص بلغ الحسنيين على طفل عمره سنتان اكثر من معلم لم يتجاوز العشرين من عمره . لذلك نرى ان الذكاء لا يلعب دوراً حاسماً وقوياً في مثل هذا التمازج الروحي ولهذا فسير هذا التأثير الروحي يختلف عن سير التأثير الثقافي لأن الأخير له قواعد معينة وحدوده المعلومة كالعمر أو الذكاء أو المهارة الفنية أو الجنس حيث يشترط في الشخص الذي يصبح قائداً ثقافياً أن يكون في مستوى أعلى من الشخص

الذي يخضع لهذه القيادة . والتأثير الثقافي يتطلب مستوى معيناً في كل مرحلة الى درجة معينة تتقبل منه هذا التأثير .

اما التأثير التربوي فهو غير محدود ولا يرتبط بقواعد معينة محدودة . لذا فالتأثير الثقافي بحاجة الى طريقة ميكانيكية ووسائل مادية معينة بينما التربوي لا يتقيد بكل ذلك .

وكثيراً ما نرى أن التأثيرين أحدهما يساعد الآخر فمثلاً يسعى الاول لايجاد صفة المحافظة على الوقت والوعد وأن يتقيد الفرد بقواعد معينة في مقابلة الآخرين ومعاملتهم بالنسبة لما يتمتع به من حقوق ، فاذا استطاعت الثقافة بواسطة التعليم تثبيت هذه الصفات في النفوس استطاعت التربية أن تشق طريقها بسهولة . على أن التربية لا تكفي بذلك لأنها لا تكفي بأن يكون الفرد مطيعاً للنظام محافظاً على الوعد ، حسن المعاملة نتيجة لنظام قائم أو قواعد محددة وإنما تريد أن تكون كل هذه المظاهر النفسية نتيجة لتفاعل داخلي في الانسان وهي لذلك تعتبر أحسن مثل لهذه العلاقة ما يحدث بين الأم وطفلها إذ هنا يظهر التأثير الروحي جلياً ذلك التأثير المعتمد على العاطفة المتبادلة بين الأم والطفل دون التقيد بقانون معلوم أو نظام ثابت ، فسلطة الأم الروحية أقوى سلطة تؤثر على الطفل دون أن تتمتع الأم بسلطات زمنية محدودة . ومثل هذا التأثير يجب ان تتخذه التربية مثلاً اعلى للعربية وتكون الأم المثل الحي الذي يقتدى به في العطف والحنو والتأثير على الطفل .

لذلك أخذ بعض المفكرين من الشعوب الغربية يستفيدون من هذه الظاهرة وبدأوا يدرسونها ويكتبون الارشادات الكثيرة المعتمدة على دراسة هذه العلاقة الروحية بين الطفل وأمه وقد كثرت دراسة هذه الظاهرة التربوية في القرنين السابع والثامن عشر ويعد أول من بدأ بذلك العالم الالماني كومينوس Comenius (١٦٧٠ - ١٤٩١) فيعتبر أول المبشرين بالتربية الحاضرة إذ نادى بأن تكون المرحلة الأولى من التعليم ، مرحلة التأثير التربوي ولذلك دعاها

(مدرسة الأم) واكتفى بأن تكون مهمة هذه المرحلة من التعليم تمرين الحواس، وتميز الأشياء المحيطة وتسمية الخيال وتقوية الحافظة، وهذه الصفات تستطيع الأم أن تنمونها بها. لهذا شعرت الأمم الغربية بحاجة قوية إلى تأسيس معاهد خاصة لايواء الأطفال، فأنشأت معاهد كثيرة للأطفال المشردين تعنى بهم كعناية الأم بطفلها وتحضت هذه المعاهد الأولى بفضل المربي الألماني فروبل الذي أوجد أسساً متينة لتربية الأطفال لأنه وجه همه إلى العناية بالأطفال قبل سن المدرسة أي بين السنة الثالثة حتى السادسة من العمر لأن التأثير التربوي على الطفل يبدأ منذ الولادة، وابتكر حدائق للأطفال ليستطيع الطفل أن يعيش فيها بصورة طبيعية وينمو كما تنمو الأزهار والأشجار وقد أصدر مجلة تربوية وجهت كل همها إلى دراسة الأطفال وحاجاتهم وطرق تربيتهم وقد دعى الآباء والأمهات والحكومات إلى الاعتناء بالأطفال حتى جعل شعار المجلة هذه (تعالوا نعيش لأطفالنا) ونتيجة لهذا الجهد الذي بذله فروبل في إظهار التأثير التربوي المبني على العلاقة الروحية عمت حدائق الأطفال العالم المتمدن كله وتنوعت الطرق في إدارتها وتسابقت الأمم في الاعتناء بها حتى دعي القرن العشرين بمصر الطفل، فالطفولة ذات أثر بين في حياة الإنسان جميعها لأنها الفترة التي يكون فيها الطفل كثير التقليد سريعاً في اكتساب العادات المختلفة ولذلك يجب أن يمتنى بالطفل فلا يوضع أمامه إلا كل حسن يصلح لأن يتلمذه الطفل أو يكتسبه فإذا ما اكتسب عادات طيبة منذ الطفولة الأولى وفر على أهله والهيئة الاجتماعية جهوداً وتعباً كثيراً، لأن العادات المكتسبة في أيام الطفولة قوية كقوة الغرائز الطبيعية ويصعب التغلب عليها بواسطة العادات الجديدة. لذا فاعلم ما يجب أن يراعى في ذلك ناحيتي الصحة والخلق لذلك يجب أن لا نهمل تكوين هاتين الناحيتين تكويناً صحيحاً من يوم الولادة. ودور الأم واضح جلي في الاعتناء بالصحة. فهي أكثر الناس ارتباطاً روحياً بالطفل وأقدر على التأثير على خلقه أيضاً. على أن التربية لا بد لها من قواعد معينة

معلومة لتساعدنا على إيجاد الصلة الروحية بين الأجيال ، لكن هذه القواعد
 مهمما وضحت أو قوى مفعولها لا تستطيع أن توجد الصلة الروحية ما لم يصحب
 ذلك أيضاً وجود قابليات خاصة معينة فالصفات المهمة التي تؤهل الانسان لأن
 يكون مربياً هي فطرية أكثر منها مكتسبة ، ولذلك لا يمكن تحقيقها بوسائل
 ميكانيكية . فالشخصية العامة للمربي هي التي تشع بمجموعها لأن العمل
 التربوي يتطلب مجهود الشخصية بكاملها وتأثير المربي لا يتوقف على مقدار
 التجارب ونوعها بل على قوة هذه التجارب ومفعولها في نفس المربي والذي يخضع
 لها فهذا المفعول الدائم للتجارب هو الذي يجعل الانسان ناضجاً والهيئة
 الاجتماعية تتطلب النضج من الافراد لتكوين منهم هيئة اجتماعية ذات درجة
 كاملة من النضج أيضاً والنضج لا يتم إلا في جوامع وتحت شروط معلومة كما
 هو الحال في الامور الطبيعية الاخرى . ان النضج التربوي بحاجة الى قوة تربوية
 من الخارج بحيث يفتح الانسان نفسه لتجارب الآخرين والاستفادة منها
 بالإضافة الى الهدوء والتفكير الشخصي والمحاكمة الخاصة حول ذلك لأن الانسان
 يجب أن لا يكتفى بالملاحظة والملاحظة بل عليه أن يفكر فيما يلاحظه ويحسب
 ما يشاهده في حياته اليومية « ولذلك فقد وصف بعض العلماء الرجل الناضج
 بأنه هو الذي يقوم بعمله في كافة الاوقات دون يئس على ما قام به . لأن
 الشخص الناضج يكون بعيد الافق عالماً بنتائج عمله مقدراً لما قد يحدث أثناء
 خطوات العمل المختلفة » لذلك أصبح من وظائف التربية الاتصال بكافة
 العلوم ذات التأثير المباشر على الانسان لتطلع على نتائج أبحاث هذه العلوم وتأثير
 ذلك على الانسان في احدى الفترات التاريخية وهذا ما تقوم به التربية النظرية
 العامة وفقاً للقواعد التي تضعها « ولما كان الانسان قابلاً للتغير والتطور ويحدث
 معظم هذا التطور وفقاً لفترات معينة من الحياة لذلك أصبح من وظائف التربية
 أيضاً أن تراقب الانسان في فتراته المختلفة وبصورة خاصة في مراحل تطوره
 الطبيعية على أن تكون هذه المراقبة دقيقة وعامة . وقد أصبح اليوم بإمكان

التربية أن تستعين لذلك بالنتائج العلمية التي وصلت إليها العلوم البيولوجية (الحياتية) حيث أن هذه العلوم الأولى هو معرفة الحياة وشروطها . وكما اتصلت التربية بهذه العلوم استطاعت أن تعين المرأ على التكيف وان تقوم بوظيفة أساسية من وظائف التربية . لأن التكيف شرط ضروري للانسان ليعيش هادئاً ومستقراً أما إذا عجز الانسان عن ذلك اضطربت حياته وحدثت فجوة بينه وبين البيئة ولذلك يصعب على التربية أن تعينه على التمتع بالحياة الصحيحة له . وما دام الانسان أقدر الأحياء على التكيف لذلك تستطيع التربية أن تقوم بهذه الوظيفة بالاستعانة بهذه العلوم وما تتوصل اليه من نتائج حاسمة . كذلك نرى الحوادث الاجتماعية كالاتقلابات والتطورات الفجائية توجه الانسان وتسيره في طرق معينة لذلك أصبح من وظيفة التربية أن لا تهمل دراسة كافة الانقلابات الاجتماعية والسياسية لنفس الغرض أيضاً ولما كان من أهم أهداف التربية الحديثة إيصال الفرد الى التوفيق بين فرديته وواجباته الاجتماعية لذلك لا يمكن للتربية ان تحقق هذه الغاية ما لم تهيبء للفرد الوسط المناسب لا يراز مواهبه والكشف عن استعداداته وقابلياته الخاصة : فالتربية تسمى حقاً لايجاد شخصية قوية على ان توجه هذه الشخصية في اتجاه المصلحة العامة ولغاية سامية ولذلك فوظيفة التربية لا تقتصر على ايجاد الجو المناسب لنمو الشخصية بل ان تضمن نمو هذه الشخصية في الاتجاه الذي تقوده التربية ليتفق هذا النمو وحاجات المجتمع وليخدم النهضة القومية العامة فعندما يقرر مفكر و الامة حاجات المجتمع والامة بالنسبة للفترة التاريخية التي يعيشون فيها تستطيع التربية ايجاد الجو المناسب والوسائل الضرورية لسد هذه الحاجات .

اننا نشعر كأمة خاصة بأن امتنا العربية اليوم أو كل شعب من شعوبها المختلفة بحاجة الى نواح اصلاحية متعددة نظراً لهذه الفترة التاريخية لذلك كان وظيفة التربية العربية هي أن لا تكتفي بناحية واحدة كأن تكون وظيفتها إخراج جيل جديد يستطيع دخول الحياة الاقتصادية أو كسب الرزق اليومي فقط، أو ايجاد تربية عملية نظراً لحاجة

البلاد العربية الكبرى الآن الى هذه الناحية من الحياة بعد نمو الصناعة هذا
 النمو السريع ولما الأمة العربية بحاجة الى هذه كلها واشياء اخرى لأن النهضة
 الجديدة هي نهضة عامة وشاملة تتطلب رفع المستوى الاقتصادي والثقافي والعلمي
 والاصلاح الاخلاقي الاجتماعي أيضاً . فالامراض الاجتماعية استوطنت في البلاد
 العربية عامة منذ أجيال كثيرة حتى اصبح القضاء عليها امراً ليس يسيراً
 ووظيفة التربية العربية ايضاً ان تساعد الامة على تهيئة الوسائل الضرورية لمحاربة
 كافة الامراض الجسمية والخلقية في الامة العربية . لذلك فالامة العربية تحتاج
 الى ايجاد شعور وطني عميق في نفوس الاجيال القادمة ولا يتم مثل هذا إلا
 بواسطة التربية الاساسية للامة، فالاجيال العربية لم تتعلم حتى اليوم القيام بواجبات
 المواطن ولا تتمتع بحقوق المواطن حيث مازال مفهوم المصلحة العامة غير مغفل
 في النفوس ولا ينظر اليه كما ينظر للمصالح الخاصة فوظيفة التربية عندنا تعمل
 على ايجاد العناصر الشعبية ذات الاختصاص المتنوع والعمل المستج فتعمل على
 مساعدة تكوين حكام وقادة اداريين وموظفين وعلماء وادباء ومزارعين
 وفلاحين واصحاب معامل وعمال وفنيين وتجار الخ . . . بما تحتاجه النهضة
 الجديدة من اختصاصات ومهارات معينة . وربما يتم ذلك بتقوية الصفات
 الخاصة للافراد والعمل على اطلاق الفعاليات والمقددرات وان تدرب الفرد على
 ان يقوم بعمله مهما كان نوعه على الوجه الذي يحقق الهدف التربوي العام واذا
 لم تقوم التربية بهذه الوظيفة فسوف لا تستطيع الامة تحقيق أهدافها حتى ولو
 دخل الملايين من طلابنا المدارس المختلفة ، فاذا لم يكن هدف التربية واضحاً
 ووظائف التربية جلية فسوف لا تستطيع المدارس القيام بذلك وإنما ستكون
 محلات تعليم فقط ولا تقوم بالاعباء التربوية الموجهة لهذا التعليم .

واذا ما علمنا بان الاعمى قد اصبحت تحمل المدرسة اليوم مسؤولية كبيرة ، هي
 توجيه الجيل الجديد توجيهاً صحيحاً نحو الحياة والعمل على ربط الجيل بالحياة
 حتى في اثناء دراسته لذلك اصبحت من وظائف التربية الاساسية اليوم ان تعمل على

ازالة ما يشكو منه الناس من ضعف في جميع حقول الحياة بهذا التوجيه . لذلك
فان تدريب الطفل والفتى على تحمل اعباء الحياة ، والقيام بالواجبات المختلفة اصبح
ركباً اساسياً من اركان التربية الحديثة .

وقد نكون ونحن في هذه المرحلة من حياتنا العامة اكثر حاجة الى ان
 نجعل التربية مسؤولة عن تأدية هذه الوظيفة . رغم صعوبتها ومتطلباتها ولكن
 الحالة تدعو التربية جدياً الى القيام بهذه الوظيفة لأنها قد تكون اقدر من اية
 قوة اخرى في تحقيق الاهداف .

تاريخ التربية

وتأريخ التربية إنما هو العلم الذي يظهر لنا جميع التطورات التربوية التي حصلت عند الأمم وبمختلف العصور فيشرح لنا بوضوح الأساليب والطوق التي اتبعتها الأمم في تربية النشء وتهذيبه وعلاقة ذلك بالحياة السياسية والاجتماعية والدينية وأثر كل منها في الثانية فيجدر بنا أن نستفيد منه بمعرفة الصعوبات التي لاقاها رجال التربية والطرق التي اتبعوها في تذليل هذه الصعوبات وأسباب الفشل والنجاح إن كان هناك فشل أو نجاح .

التربية عند اليونانية

إن الحضارة الغربية الحالية مستمدة بالدرجة الاولى من الحضارة اليونانية القديمة حيث اقتبست أكثر الأمم الغربية في فترات متباعدة شيئاً من اليونان ولذا فإن التربية اليونانية كانت وما زالت تحتل المقام الاول في تأريخ التربية . ولقد قدم الشعب اليوناني لتأريخ العلوم ومنها تأريخ التربية ثروة علمية قدرته عليها كافة الأجيال في الأمم الأخرى . لقد كانت التربية عند اليونان جزءاً من الحياة العامة ومررت بأطوار مختلفة وإتبع أساليب متباينة . وقد قسم بعض العلماء التربية اليونانية الى عصرين ، التربية اليونانية في العصور القديمة والتربية اليونانية في العصور المتأخرة ، وأعتبر منتصف القرن الخامس قبل المسيح حداً فاصلاً بين التريتين . وكل ما وصلنا من معلومات عن التربية اليونانية القديمة يشير إلى أن التربية كانت غير مستقلة وليست منفصلة عن الحياة العامة الطبيعية السائدة آنذاك . فلقد كانت حياة اليونانيين في تلك الفترة التاريخية كحياة الانسان في العصور الاولى تسودها البساطة وتسير وفقاً للنظام العشائري السائد آنذاك . ومثل هذه الحياة تتطلب تربية طبيعية تلامس بساطة الحياة وتسير بالتقليد والمحاكاة ، دون خطة واضحة أو أسلوب معين . فلم تكن عند اليونانيين آنذاك مدارس ولا معاهد علمية ولا متعلمون ولا متعلمون وإنما كانت التربية هي ممارسة الحياة نفسها والتعود على شؤون واساليب الحياة العملية بواسطة العائلة أولاً والعشيرة ثانياً .

ولقد كانت مصلحة الجماعة اهم غرض في الحياة لأن الفتى كان يعيش بين بني قومه ويعمل على المحافظة على هذه المصلحة متقيداً بما للجماعة من تقاليد وعادات وطباع كما كانت التربية آنذاك تهدف الى أن ينشأ الفتى منسجماً مع نظام الجماعة ليستطيع أن يكون مصيب الرأي في المجالس وشجاعاً في الحروب ، لأن الحياة اليونانية كانت تنظر الى هاتين الصفتين بنظر الاعتبار والتقدير .

واختلفت التربية في (أثينا) عنها في (اسبارطة) ، وذلك لاختلاف الحياة العامة نفسها فتدنت تحت اسبارطة في تربية ناشعتها الناحية الحربية لذلك كانت عنايتها توجه الى تقوية الجسم والتعود على الخشونة والشجاعة مع اطاعة القانون وكانت محلات التربية انما هي ساحات الالعب ومحلات الموسيقى . كما ان الدولة قد سيطرت على التربية فيها فربت الأطفال منذ الصغر ووجهتهم لمصلحتها ووفقاً لخطتها الحربية ، إذ كانت تهدف من وراء ذلك الى ايجاد مواطن محارب . فاتبعت طريقته المشهورة وهي انتقاء الاطفال الاقوياء ، ثم ايداعهم من السابعة الى مربين معينين يدرّبونهم على الأعمال التي وضعت لذلك وعندما يبلغون الثامنة عشر من عمرهم يقومون بتمرينات عنيفة لغاية الانخراط في القوة الحربية وبعد سنتين من هذا التدريب يلحقون بالجندية .

وانحصرت غاية التربية السبارطية في ثلاث نقاط اولاهـا تحقيق المثل العليا للحياة الحربية وكانت هذه أهم الغايات الثلاث وثانيتهما هي الثقافة الحرة للشعر وثالثتها هي معرفة قوانين البلاد .

ومع إن القبائل اليونانية كانت ذات عادات وطباع متباينة إلا أن اسبارطة طبعت أكثر بالتربية اليونانية القديمة بهذا الطابع . ولم يكن الاسبارطيون يعنون بالقراءة والكتابة وإنما كانوا يحفظون ذلك عن ظهر قلب . واكثر الاشياء كان يتعلمها الاسبارطيون بالاختلاط بالدراسة وكل أب هو في الحقيقة معلم وكانوا يعنون أيضاً بأن يستطيع القراءة وأن يفكر صحيحاً ويحجب صحيحاً . لقد اشتهرت التربية الاسبارطية بالعنف والقسوة وكانت هذه التربية واجباً على

جميع الاسبارطين حيث كانوا اقلية بالنسبة لبقية اليونان إذ كانوا يبلغون واحداً من عشرين من نفوس اليونان فاضطروا لقلة عددهم أن يكونوا محاربين ممتازين وذلك بواسطة هذه التربية .

ومن مغريات التربية في التربية اليونانية وجود الحفلات الرياضية التي يظهر فيها الشبان مقدرتهم وكانوا يعقدون آمالاً كبيرة على حصولهم على الاوسمة في حفلات الاعياد ، وهذا ما حدا بكثير من الشبان للعلم .

ولقد خالفت (ائينا) (اسبارطة) في تربيتها وفقاً لتقاليدها وطرز حياتها فند كانت ائينا غير عابئة بالناحية الحربية شأن اسبارطة ولذلك لم تسيطر الحكومة على التدريب والتمرين كما سيطرت حكومة سبارطة فكان الطفل يبقى عند أمه حتى السابعة ثم يرسل بعد ذلك إلى المدرسة . ولم يكن التعليم الاولي في ائينا من واجبات الحكومة وإنما هو من واجبات الآباء ولهم السيطرة التامة عليه ولا تقوم الحكومة الا بعملية الاشراف فقط .

وكانت (ائينا) ترمى الى هدف مدني من وراء التعليم فند كانت تريد الفكر وتكوين أخلاق فاضلة والحصول على الجمال . وكانت القراءة والكتابة أساس التربية الادبية الاثينية كما كانت الموسيقى والرقص من مقومات العواطف وتهذيب الجسم والروح .

وقد اختلفت ايضاً تربية البنات في (اسبارطة) عنها في (ائينا) فقد كانت (اسبارطة) ترى أن تربي البنات على الخشونة ويقمن كالبنين بالالعاب الرضية والرقص والغناء . إذ كانت (اسبارطة) ترمى من وراء ذلك الى تربية البنت لتكون اماً صالحة تلد جنوداً أقوياء وتستطيع غرس الروح الدينية والوطنية في أولادها .

بينما رأينا (ائينا) تغفل تربية البنات إذ كانت تعتقد ان اعباء الحياة العمة يقوم بها الرجال وحدهم والبنت تربي بحيث تصبح مدبرة بيت جيدة تستطيع بذلك ادارة بيتها بعد الزواج ، اما المعارف الاخرى فليست بضرورية للمرأة .

ولذلك لم تتل المرأة الأثينية حظاً وافراً من عناية التربية آنذاك . ومهما اختلفت التربية في (اسبارطة) عنها في (أثينا) حيث كانت ترمي اسبارطة الى الناحية الحربية بالدرجة الاولى وتعطي الدولة السيطرة التامة على البنات وتمنح اليذت تربيته مماثلة كانت (أثينا) تعمل على تربيته رجال كاملين يعنون بالناحية الفكرية والعواطف الجمالية . فان التريبتين كانتا متشابهتين كثيراً في كثير من الأغراض والمناهج ، حيث كانت الحياة آنذاك في كلا المنطقتين تسودها الروح العشائرية والبساطة البشرية لان أثينا كانت تهتم بالدولة كاسبارطة وتريد تربيته للخدمة العسكرية ولكنها لم تقتصر على التدريب العسكري الجسمي بل يصحب ذلك تعليم للقراءة والكتابة والموسيقى أما التدريب الجسمي هنا يختلف عنه في اسبارطة إذ كان خالياً من القسوة الاسبارطية . ومع مرور الزمن تغلبت التربية الأثينية وسارت على جميع مناطق اليونان وأصبحت هي المثلثة للتربية اليونانية وعنها اقتبست أوروبا أكثر نظم التربية اليونانية .

التربية في العصر المنأخرة

لقد تغيرت الحياة في اليونان منذ القرن السادس قبل المسيح ، وكان من أهم العوامل الفعالة في تغيير الحياة هي الحرب الفارسية اليونانية وازدياد العلاقات الاقتصادية مع اقسام اليونان بعضها ببعض وبعض الاقطار الاخرى فاستمت بذلك التجارة وكثر الاختلاط بالشعوب الاخرى وامتلات اليونان لا سيما أثينة بالاجانب الذين قدموا اليها للتجارة والعمل او سبوا اليها سباية . ولقد رافق ذلك تقسيم الشعب الى طبقات . وتوسعت الطبقة العليا وامتدت الى افراد كثيرين كما ان مستوى انتاجها هبط كثيراً فضعفت بذلك رغبة العمل في هذه الطبقة الواسعة وأصبح العمل شيئاً غير محترم عندهم لا بل اعتبر العامل المنتج (Banausos) وهي كلمة يدعي بها الشيء العديم الشرف تحقيراً للعمل والافراد الذين يزاولونه حتى لقد قال سقراط : ان الدولة المثالية هي التي لا تجعل الـ Banausos مواطناً . واعتبر العمل من خصائص الاجانب والعبيد

اما المواطن الشريف (المنتمي الى الطبقة العليا) فهو لا يمارس عملاً خاصاً وإنما يمارس الحياة العامة كحضور المجتمعات والحفلات الخطابية والالعب والنقاش السياسي . وأخيراً تبدل نظام الحكم وتغير نظام الطبقات حيث منح جميع المواطنين الرعوية والاشترك في الحكم .

لقد احدثت هذه الحوادث والارتباطات بالخارج تغييراً كبيراً في الاخلاق وفي النظرة الفلسفية والعقيدة الدينية . واصبح الفرد يشعر بأنه حر في سلوكه واحياناً في معتقده ، كذلك صعب ذلك تغيير تام في طرق المعيشة وعلاقة الافراد فيما بينهم والتصرف العام ، على ان الثروة الفردية كانت محاربة ، وقد كثرت الاقوال في ذم جمع الثروة من قبل الافراد حتى قيل: الغنى اكثر خطراً من الظلم . لذلك فقد استطاع الاثنيون بناء البنايات العظيمة والكبيرة ملكاً للدولة دون أن يشيدوا قصوراً او بيوتاً لافراد معينين . كذلك اتخذت الوظائف الحكومية وسيلة لخدمة الدولة لا طريقة للنفى والرفاهية وكان تملك العبيد إنما يستخدم لخدمة الارض في الفلاحة اكثر منه لخدمة الاشخاص وهذا ما جعل الحسد بين المواطنين قليلاً وعلاقة الافراد رغم الفروق علاقة هادئة . على ذلك فان بدء التريبة الصحيحة يعتبر من نهاية القرن السادس ، لأن التريبة تطلبت تنظيمًا جيداً فقرر قبل كل شيء ان الحالة الصحيحة للتريبة والتعليم هي الخطة المقتبسة من نظم حياة الشعب والتي ترمى الى خدمة مثله العليا .

لقد اتخذ للتريبة هدف واضح هو (نمو الافراد وتكامل شعورهم بحيث يستطيعون حماية الدولة) . ولقد سيطرت الدولة سيطرة تامة على المواطنين في أثينا حتى ان الفرد اصبح ملكاً للدولة ، يضحى من أجلها بماله وحياته ، بل ان جميع اعماله ونتاجه ملك لها ، كما أن الدولة اصبحت تحكم في انتاج الفرد كما تتحكم العائلة وتدار كما تدار العائلة ايضاً لذلك كان كثير من الاثنيين يعملون لصالح الدولة دون أجر . ولم يكتف اليونانيون بوضع الهدف الدائم للتريبة دون بحث طريقة الوصول اليه فشرحوا ذلك وقرروا ان تريبة الشعور تكون بواسطة الغناء

السياسي وان يتوصلوا كذلك الى الهدف العام تربية الارادة والشعور وخضوعهما لارادة وشعور الدولة .

كذلك نمت المدارس وتنوعت واصبحت محلات تعليم ومراكز قريبة عامة بينما كانت قبلا بسيطة وابتدائية ، اصبحت في هذا الدور منتظمة وجيدة ، إذ كانت اكثر المدارس قبل هذا العهد في الفضاء وعملية التعليم تجري على احجار عارية وتكون في دور خربة أو وراء بعض الدور أو في غرفة اعتيادية ولهذا كان ينظر الى ذلك المعلم نظرة احتقار حيث كان المعلم رخيص الأجر وهو نفسه بمستوى ثقافي واجتماعي ضعيف فلم يكن بحاجة لمن يمارس هذا النوع من التعليم الى ثقافة عالية . وكان يقوم بعمله متى شاء ولذلك كانت حالة هذه الطبقة من المعلمين رديئة جداً شأنهم في ذلك شأن الاطباء وكان المثل آنذاك « اصبحت ميتاً » او اصبحت معلماً (منسياً) ولذلك كان يمارس التعليم هذا كثير من العبيد على ان هذا النوع من التعليم لا يزود الصبيان بشيء كثر من التفكير الذاتي او المناقشة او الابداع . ولكنها اصبحت في هذا الدور تقوم في بناء مربيح ومحل معتنى به وتحسنت مكانة المعلم وتنوعت المدارس فأصبحت الابتدائية التي تقوم بتدريس القراءة والكتابة والحساب وبعض القواعد النحوية .

ثم انشئت مدارس للغناء والموسيقى ايضاً لتربية الذوق العام والشعور العاطفي . كذلك انتشرت المدارس الثانوية التي تدرس البلاغة والبيان والشعر وفيها أساتذة محترمون . ان الحياة اليونانية العامة استمدت تكوين مدارس البيان والخطابة والاجتماعات العامة والمحاضرات المفتوحة والاعياد الدينية كانت تتطلب مقدرة حسابية وخصائص معينة .

أما المرأة فقد اختفت من الحياة العامة وابتعدت بذلك عن الحياة الفكرية وأصبحت العمة انما تستخدم لا تتاج اولاد للدولة وما المرأة إلا لادارة البيت فقط حتى قال Domastheus باستهجان « لدينا زوجات لتوليد أطفال

مواطنين ولادارة البيت » ولذلك ابتعد الناس عن الزواج وأكثروا من اقوال
التشاؤم من الزواج حتى قال Menander كلمته المشهورة (الزواج شر ولكن
شر لا بد منه) .

لقد ذكر التاريخ ان اليونانيين أيام رفاهم كانوا لا يرغبون في الزواج وان
تزوجوا كانوا يقللون من النسل إذ يفضلون أن ينجبوا قليلا من الاولاد ليعيشوا
في الترف . وكثرة الأياما عند اليونانيين لا سيما الاثينيين كان يؤثر في وضعية
المرأة اذ كن يزاحمن الزوجات وكن أيضاً عاملا هاماً من عوامل نظرة اليوناني
الى المرأة وعدم اشراكها في الحياة العامة والعناية بتربيتها تربية توازي الرجل
من حيث الرعاية والاهتمام .

لذلك فقد بقيت المرأة رهينة البيت ولا تساهم مطلقاً في الحياة العامة وفقد
الشعب الاثيني بذلك عنصراً هاماً من عناصر التربية الاساسية .

ولذلك كانت تنقص التربية في أثينا المرأة المستقلة لذلك ضعفت تربية الاولاد
بفقدان هذه المنزلة للمرأة ولم يستطع العبد الذي يوكل اليه امر الصبي العناية
بتربيته كما تقوم به المرأة ، وانما كل ما كان يهم العبد هو حراسة الصبي اليوناني ،
حيث كانت السلطة ليست بيد العبد ، ولذلك لم يكن العبيد يسيطرون على الصبيان
فابتعد المرأة عن هذا الحقل قد أثر على الخلق اليوناني تأثيراً واضحاً . فجعله
ضعيفاً مما أثر على تربية الاولاد . ولهذا السبب فقدت التربية عنصراً الاول
الهام ألا وهو العائلة ومع هذا نرى ان التربية اليونانية ايضاً قد اعطت للعالم متبعاً
غزيراً للاقتباسي وان كان ينقص تلك التربية وجود خطة عملية منظمة حيث
انها رغم تقدمها واهتمام المواطنين اليونانيين بها ، بقيت تسير بصورة حرة دون
ان تتقيد بمنهج محدود ولا بطريقة خاصة فيها .

وفي الاخير فاذن لا ننكر ان الحضارة اليونانية قد شعت على العالم آنذاك وقد
اصبحت منبعاً للاقتباس لا سيما في ناحيتي انتشار الروح العالمية والتفكير
الفلسفي مما جعل العالم جميعه يعترف لليونانيين بقوة التفكير ومقدرة الابداع .

التربية عند الرومان

لما كانت الحياة العامة أساساً للتربية ومنبعاً لنظمها لذلك فالتربية الرومانية كانت تسير هذه الحياة وتنسجم ونظمها وعلى هذا فالتربية الرومانية تختلف عن التربية اليونانية بعد اختلاف الحياة الرومانية العامة عن اليونانية ، فالشعب الروماني له خصائص خاصة وصفات معينة . كما ان الحالة الاجتماعية والسياسية تطورت عند الرومان بطريق يختلف عنه عند اليونانيين . فالإونيانيون الذين يسكنون الشواطئ اليونانية ذات . الصفات الخاصة والذين يتمتعون بحياة اجتماعية راقية ، حيث اختلطوا قبل الرومان بكثير من الشعوب القديمة الأخرى كانوا يتمتعون بفكر حر يمتاز عن غيره بقوة الشعرية وقابليته الخيالية وحتى الفرد المتوسط اليوناني تأثر بهذا التفكير . أما الروابط العائلية فلم تكن قوية لتمتع الشعب بهذا الفكر الجوال والشخصية الفردية .

مقابل ذلك نجد الشعب الروماني يتمتع بقوة الكيان العائلي والارادة العملية البعيدة عن الطابع الخيالي ، ولذلك فالطابع الفردي عند الرومان ضعيف يقوم مقامه طابع الجماعة فتكون مصلحة الجماعة أساس الحياة العامة .

لذلك يصف (شيشرون) Cicero الفرق بين (اليونانية والرومانية بمايلي) « نجد بين الإغريق من يوجه جل تفكيره الى الشعراء وآخرون نحو الرياضيين ونحو الموسيقيين وآخرون نحو تربية الشباب وتعويدهم على الحياة العامة العالمية (Humenitat) وغرس الفضائل ، أما اطفال الرومان فهم يربون بحيث يستطيعون خدمة الدولة ويتعلمون القوانين والانظمة . ان الوطن قد أوجدنا لنقوم بخدمته ونستخدم كل ما لدينا من قوة وتفكير لمصلحته وفائدته .

ولما كانت التربية مظهراً من مظاهر الحياة العامة لذلك نجد أن الحياة العامة عند الرومان قد تغيرت فحدثت معها تغيراً ايضاً في نظم التربية ، وهذا التغير هو نتيجة فتوحات الرومان وإتصاهاهم بالأمم الأخرى التي أثرت بالرومان ومن هذه

الامم اليونان - وقد يعتبر تأثير اليونان في الطابع الرومانى كبيراً لأسباب كثيرة لا حاجة لشرحها ، لذلك فقد كانت التربية الرومانية قبل إتصال الرومان بالاغريق تربية ابتدائية منسجمة الى حد كبير مع حياتهم . فقد كانت الرومان شجعاناً يحبون الحياة الحربية ويتعلقون كثيراً بوطنهم وكانوا مشهورين بطاعتهم للقوانين ، حتى كان الرجل الرومانى يضع خدمة الدولة فوق مصلحته كما أشار الى ذلك شيشرون .

لذلك كانت التربية الرومانية وفقاً لهذه الحياة ذات طابع مادي ومظهر عسكري أو حربى لا يعير للجمال والتفكير أهمية كبيرة ، لذلك كانت نظرتهم منطبقة مع شروط الحياة العامة ، بينما كانت اليونانية في ذلك الوقت عقلية تهدف الى تقدير الجمال المبني على التناسق .

وهذا هو السبب الذي حمل الرومان على وصف اليونانيين بانهم خياليون ذوو احلام بعيدة عن الواقع .

ولم تكن عند الرومان ايام حياتهم هذه مدارس منتظمة ولا تربية منسقة وإنما كانت التربية تجري بواسطة العائلة والحياة العامة ، شأن الحياة الابتدائية في اكثر شعوب العالم فالتربية بواسطة الاسرة تسير دوماً وفقاً للتقاليد العامة وبواسطة المحاكاة والتقليد لذلك كانت الام مرشدة وملقنة للبنت والأب مرشداً وموجهاً للفتي .

ولقد اهتم الرومان باعمال الفروسية التي كانت تشابه التربية البدائية عند اليونان الا أن غاية هذه هي تدريب فتيان على فنون الحرب بينما كانت اليونانية تستهدف الجمال الجسمي والتهديب الخلقى .

وليس في الحياة الرومانية أي تقدير للفنون التي كانت تحتل مكاناً ممتازاً في حياة اليونانيين كالرقص والغناء والموسيقى والتصوير . إذ أن الحياة الحربية الخشنة لم تكن تنظر الى مثل هذا الفنون بالاحترام والتقدير .

فلهذا الفرق الكبير بين حياة الشعبين الرومانى واليونانى ، ولتجاوزهما من جهة وامزاجهما سياسياً بواسطة الفتوحات الرومانية من جهة أخرى فتمد حدث تفاعل

ثقافي كبير بين القسمين وقد تأثر الرومان باليونانيين الى حد أن مظهرهم الثقافي أصبح منسجماً مع طابع اليونان وبدأت فترة جديدة في حياة الرومان .

التربية الرومانية بعد الغزب الاغريقي

ان العلاقات السياسية والتجارية بين الشعبين قبل احتلال الرومان لليونان كانت كبيرة لذلك فقد أثرت على حياة الشعبين وجعلتهما مستعدين لقبول تبادل اشياء كثيرة بينهما وفي مقدمة ذلك النواحي الثقافية والتهديبية . ولما كانت بلاد اليونان قد سبقت الرومان في نموها الثقافي فتمد كانت مؤثرة في الحياة الرومانية رغم ما أبدى بعض الرومان من المقاومة الشديدة لهذا النفوذ . إلا ان هذه المقاومة قد ضعفت كثيراً بعد فتح الرومان لبلاد اليونان فزالت العقبات الكثيرة التي كانت تحول دون تمازج قوى بين الشعبين واخذ اليونانيون يخضعون للرومان ويسبرون في حياتهم السياسية بأجهاهم الا انهم من جهة اخرى وجدوا متسعاً كبيراً في العمل الثقافي التهديبي الذي كان الرومان بحاجة الى نموه ورقيه .

ولهذا السبب نجد انه من الطبيعي ان يقوم العلماء اليونانيون بنشر آرائهم الفلسفية وعقائدهم الدينية بين الشعب الروماني ويتوسل الكثيرون من اليونانيين لكسب الرزق بواسطة العمل التهديبي مما ساعد على طبع الشعب الروماني من هذه الوجهة بالطابع التهديبي الاغريقي لذلك فتمد اسست المدارس على نمط مدارس اليونان وقد وضعت المناهج مطابقة لمناهج اليونان ، لا بل ان الكثيرين من رجال التعليم والتربية كانوا من الشعب اليوناني نفسه .

ولم يكن تأثير الاغريق الثقافي منحصراً في الاتجاه الثقافي ونشر الحركة الفلسفية ، وانما كان أيضاً في طرز معاهد التربية والتعليم . فتمد أسست المدارس عند الرومان على غرار ما كان مألوفاً عند اليونان لذلك نجد المدارس تنفتح الى ما يلي ، -

١ - المدارس الابتدائية Ludus

ويقال انها قديمة العهد أى انها كانت مألوفة في العصور الاولى التي سبقت العلاقة الرومانية اليونانية . وكانت بوضعها لا تختلف كثيراً عن المدارس اليونانية إذ ان ما يدرس فيها لا يتعدى القراءة والكتابة ومبادئ الحساب والطقوس الدينية البسيطة والافاصيص التاريخية .

وكان مستوى المدارس الابتدائية من حيث نوعية المعلم ومقامه الاجتماعي كان صغيراً واجر المعلم زهيداً وطريقة التدريس انما كانت الحفظ . والعصا والخوف كانتا وسيلة لا جراء التعليم . ولا يفضل بناء المدرسة الرومانية وأثاثها عن بناء المدرسة اليونانية وأثاثها واليوم المدرسي من حيث التنظيم مزعج اذ يكون النهار كله مخصصاً للعمل المدرسي في جو مزعج وبطريقة قاسية . ونجد حتى بعد اختلاط الرومان باليونان هبوطاً في مستوى التعليم الابتدائي . ففي التربية اليونانية كان يقوم بدور المعلم العبد الرقيق وهنا يقوم بدور المعلم كثير من اليونانيين الذين يضطرون الى الرزق وكسب العيش عن طريق الجهد التعليمي لذلك لم يكن التعليم بيد رومانيين بل بيد يونانيين مخلصين وخاضعين للرومانيين والذين يقاربون العبيد في مقامهم الاجتماعي بالنسبة للمواطنين الرومان . فكما ان العبد لم يستطع أن يعلم الطفل الموكل اليه وانما كان يستطيع حراسته فقط إذ كانت تفقده السلطة القوية على الاولاد الضرورية للتربية كذلك الاثيني لم يستطع أن ينال هذه السلطة القوية لأجل التربية والتعليم .

٢ - المدرسة النحوية (Grammar)

نشأت لزيادة الحاجة الى التعليم . لقد كانت تدرس نحو اللغة وآدابها بصورة مفصلة . كذلك سيرة وانتاج الشعراء والكتاب وكذلك الفلك والجغرافيا والموسيقى .

كانت تقوم هذه المدارس بتمرينات جسمية في بعض الاحيان وتحسنت المدارس من حيث الاثاث والابنية على ان النظام ووسائل التدريس بقيت ضعيفة .

كانت أشبه بمدارس نحوية اختصاصية تعد الطلاب للوظائف الهامة السياسية والإدارية . وأهم ما يدرس فيها الخطابة والقانون والتاريخ واللغة والآداب . وعند انتهاء هذه المدارس كانت العادة تجري بأن يلتحق الطالب بأحدى الجامعات المشهورة كجامعة أثينا ورودس والاسكندرية وروما .

نرى من تطور الناحية المدرسية في روما بأن إنشاء المدارس كان باديء الأمر من أعمال الأفراد لكن الحكومة في زمن الامبراطورية الثانية أخذت تعين المدارس وتعطيها منجاً وإعانات فكانت تدفع رواتب المعلمين وتمنى الطلاب من الخدمة العسكرية والضرائب . ولما كثرت المدارس أصدرت الامبراطورية مرسوماً يجعل إنشاء المدارس بيد الامبراطور وخضعت لأشراف الحكومة .

وقد اختلف التعليم عند الرومان كما يقول (دلتاي) العالم الألماني عن اليونان في ناحية حقيقية إذ يرى انه لم تكن في أثينا قديماً فكرة واضحة عن الحق والعدل وإنما كانت هناك رغبات لا تستند على فكرة واضحة عملت هذه الرغبات على تمزيق العدل العام وفقدان ذلك أثر على الاخلاق فأفسدها ، حيث لم تكن العائلة قادرة على تعويض ذلك . اما عند الرومان فإن نظام التعليم كان معتدلاً بالنسبة لحالة أثينا حيث تكون العائلة الرومانية العنصر الفعال في تثبيت ذلك حيث كانت المرأة ذات أهمية في العائلة ومربية لها قوتها وللأم المقام الاول في الناحية التربوية فكان نحر المرأة الرومانية هو خدمة البيت وتربية الاولاد (١) كما ان التربية الرومانية لم يكن فيها عيب يفسد الخلق كما كان في أثينا ، حيث يتصل الولد بأبيه مباشرة بعد خروجه عن نطاق نفوذ تربية أمه على أن هذا التأثير بالتربية اليونانية قد سهل للتربية الرومانية نشر طابعها في العالم . لقد كانت في جوهرها عملية تساعد على نمو الحضارة حيث جعلت

(١) كانت الأم الرومانية تعلم ابنتها الفنون المنزلية كغزل الصوف ونسجه وتقوم بتعليم الاولاد القراءة والكتابة وحفظ الأساطير والأغاني والأناشيد الحربية والدينية

التربية اليونانية أساساً لها - مع اضافة وجوه عملية رومانية ، بهذا هيأت لها الاستمرار والتقدم وكانت عاملاً مساعداً لا استقرار نظام التربية الحديث الذي تبنته الكنيسة . نرى من ذلك ان تنظيم الدولة ، التنظيم المحكم الذي تقوم به دولة اليونان قد عمل ايضاً على تنظيم المدارس الرومانية لذلك نرى ان الحضارة الاغريقية قد تميزت قبلاً بالناحية الفكرية من علوم وفنون وآداب وفلسفة بينما نجد الحضارة الرومانية تتجه نحو التنظيم الحكومي وادارة الدولة لذلك فقد عنت بادارة الدولة وتنظيم التشريع وقد برزت فيه .

ولقد ساعد الحضارة الرومانية على ذلك عقيدة الرومان بان لهم رسالة بشرية عليهم نشرها بين الشعوب . ولقد ساعدت الحضارة اليونانية والثقافة اليونانية تركيز الحضارة الرومانية وتكامله نواقصها وعملت على تنظيم المعاهد العامة وتزويد المعاهد بالمصادر والكتب الدراسية ومواضع البحث واسلوبه . ولذلك كانت الثقافة اليونانية هي المعين الأول للثقافة الرومانية على ان ؟ هناك عيب واضح في هذه التربية الرومانية هو اقتصرها على طبقة واحدة من طبقات الشعب وهي طبقة الاعيان . حيث تهدف الى أن يدخل الفرد أخيراً في منظمات الجيش ويحضر الجمعيات السياسية وبعد ذلك يساهم في اداة الدولة .

التربية في القرون الوسطى

تتميز القرون الوسطى عن غيرها بأنها كانت تتمتع بحياة اجتماعية فيها نصيب كبير من الاشتراكية وهذه الحياة كانت ظاهرة في جميع المنظمات الدينية التي ظهرت في اوربا اثناء القرون الوسطى . إذ كان المثل الاعلى لجميع المؤسسات آنذاك مثلاً اجتماعياً ، فلقد كان يدرب الفرد بقوة في المنظمات الدينية على نظم الكنيسة واطاعة اوامرها كذلك سلكت الفروسية نفس المسلك في تدريب

المتنمين اليها للتعود على نظم الفرسات والتخلق بأخلاقهم . أما المنظمات المهنية فكانت تشترط على من ينتمى الى عضويتها ان يخضع فى انتاجه وعموده إلى نظام هذه المنظمات .

لذلك لم يسكن للعرد فى هذه الفترة التاريخية من حياة أوربا أثر بمفرده فى الحياة مجرداً عن المنظمات الآتفة الذكر . ونظرة سريعة الى هذه العصور من الوجهة التربوية تظهر لنا ان أهم المنظمات الفعالة فى التربية كانت .

١ - الكنيسة

٢ - الفروسية

٣ - المنظمات المهنية

١١. الكنيسة

عندما أخذت روما بالأخطاط ظهرت المسيحية وانتشرت بسرعة رغم جميع الوسائل التي اتخذت لمنعها . ويلاحظ ان معتنقي المسيحية الأول من طبقات الشعب الدنيا كالعبيد والفقراء لذلك فكانت غالبيتهم غير متعلمة كما هو الحال بالنسبة للترتية الرومانية التي اقتصرت عنايتها على طبقة الاعيان واضطر المسيحيون الأول لذلك من معرفة الدين الجديد قبل الدخول في عضوية الكنيسة .

ولقد كانت الكنيسة في القرون الوسطى تعتبر نفسها المركز الأوحيد المقدس الذي يستطيع أن يعالج الانسان ويديره ، فهي التي تنقذه مما يصيبه من مشكلات وما علق بنفسه من خبائث ، لقد اعتبرت نفسها وكيلة للقوة الإلهية على الارض وبما ان البشر هم جميعهم عبيد الله لذلك فعليهم اطاعة الله ووكلائه ، وهي وكيلة الله لذلك يحتم على الفرد المسيحي اطاعة أوامر الكنيسة تنفيذاً لاطاعة الله لم تكتف الكنيسة بالوعظ والارشاد وابداء النصيح وإنما رأت من واجبها تحقيقاً لغايتها أن تنظم نفسها تنظيماً مدنياً يكفل لها ذلك . ولقد اخذت بادخال بعض الافراد في عضويتها واحتفظت لنفسها بحق رفع الفرد الذي يطيع أوامرها الى مرتبة فوق المرتبة البشرية المادية .

والكنيسة بذلك تعتبر نفسها مؤسسة عامة للجميع وهي في الوقت ذاته منظمة سياسية تستمد قوتها من روح المسيح الذي هو سيد الأرض وسيد المجموعة البشرية ولذلك تستطيع تنظيم الجميع دون الالتفات الى ما بينهم من فروق ولا تبعاً بما يملكون من اموال أو ممتلكات او الى أى قوم ينتمون أو جماعة ينظمون ولما كان الرومان اعتنقوا الديانة المسيحية واصبح القياصرة مسيحيين استندت الكنيسة لتنفيذ خططها المختلفة على قوة الدولة الرومانية واصبحت روما الكنسية مؤيدة ومعارضة بالنسبة لروما الزمنية .

لقد وجدنا ان الكنيسة توجه همها في هذه الفترة الى الطبقة الوسطى من

الشعب فكانت تؤكد بصورة خاصة على الطاعة للكنيسة . لقد شعرت الكنيسة بحاجة ماسة لا عطاء هذه الطبقة شيئاً من التربية الخلقية لذلك انشأت المدارس العمادية (Catechumenal) والتي كانت عادة في قسم من اجزاء الكنيسة والدراسة فيها دينية تتضمن قراءة الكتاب المقدس وحفظه عن ظهر قلب مع ترتيل الاناشيد الكنسية .

ولقد كان المسيحيون الأولون يرتابون من أمر الفلسفة والتربية الاغريقية والرومانية وربما تكون لاضطهادات الرومان عليهم اثر كبير في هذا الشعور والابتعاد . ثم اضطرت الكنيسة لأن تقتبس من مدارسها شيئاً عن الماضي من تفكير اليونان والرومان .

ثم توسعت المدارس وتكونت مدارس الكهنوف في كثير من المدن . وتنوعت هذه وتشعبت الى فروع النحو والفن ثم مدارس الاديرة نظراً لنشوء وجهات نظرو صلات جد مع الثقافة الاغريقية والرومانية .

لقد جعلت الكنيسة طبقة الاكليروس اللاتين ارقى الطبقات البشرية خلقاً واقرب الطبقات الى الله لذلك فهذه الطبقة تستحق الاطاعة من البشر .

اننا نجد اختلافاً اساسياً في نظرة الفرد الشمالى الى الحياة ونظرة الفرد الجنوبي في اوربا وبما ان رجال الدين وقادته كانوا من الرومانيين لذلك نجد اصطداماً اقوياً بين طبائع الرومانيين والشعوب الشمالية لا سيما الجرمن منهم ، فالولى نقاط الاصطدام هو الفرق بين ما يوعظ به رجال الدين من جهة وتصرف رجال الدين انفسهم بالنسبة للحياة اليومية من جهة اخرى .

فمن مبادئ الدين المسيحي الاساسية التساوي بين الافراد بينما نجد الكنيسة لا تساوى بين اعضاء الاسرة المسيحية ، حيث سايرت التنظيم المدني السائد آنذاك وجعلت لها طبقة فوق مستوى الافراد تفرض لها الطاعة ويجب ان تحتل مقاماً ممتازاً في المعاملات اليومية أيضاً .

ومن المبادئ الأساسية للدين المسيحي ، الاقتداء بالسيد المسيح والسيد المسيح كان متواضعاً بسيطاً في حياته بينما نجد أن رجال الدين يظهرون بين الناس في أحسن المظاهر المدنية ويقلدون الأمراء والملوك وينافسونهم على هذه المظاهر. كذلك يؤكد الدين المسيحي على الاعتناء بالعائلة وتكوينها والمحافظة على حياتها في حين يمنع الرهبان أنفسهم من تكوين العائلة دون أن يوجد لهم مبرر ديني لذلك .

يضاف الى ذلك أن الفرد الشمالى الاوروبى بالاضافة لخصائصه القومية المعينة يتمتع بصفات خلقية تختلف عن الفرد في الجنوب ، حيث نرى الشمال يماشي الطبيعة ويألف المنطق الطبيعي وهو دؤب على العمل والتغلب على الصعوبات ، لذلك فهو يجد الوعظ الدينى تعبيراً صادقاً لما يحس به بينما لا يجد ذلك في تصرف رجال الدين أنفسهم .

هذه الفروق الهامة هي التي كونت روح الانتقاد والشك في كثير من رجال الكنيسة وقادة الدين المسيحي آنذاك .

إن هذا التنظيم المدنى قد اصطدام بالملوك والقيصرة الذين يطلبون الطاعة من الشعب لهم باعتبارهم القوة السياسية الوحيدة التي تفرض على الشعب إطاعتها إلا أن الكنيسة استطاعت أن تتعاون مع القياصرة ردحاً من الزمن لم يحدث فيه شيء من الاختلاف ، لكنها اختلفت أخيراً معهم وجر هذا الاختلاف الى نزاع شديد مع بعضهم ساق المنظمة السياسية والدينية الى حروب ومعارك دامية دامت طويلاً ، كان النصر فيها سجالاً وأخيراً استطاعت الكنيسة التغلب عليهم وفرض سلطانها على الشعوب .

مركنة لوتر

لا شك أن تدخل الكنيسة في الامور الزمنية قد اثقلها بعبء لم تستطع حمله وجعل لها خصوماً أقوياء كانوا قبلاً أكبر المساعدين على انتشار

الدين وهم الحكام والملوك ولقد كان الاصطدام بين الكنيسة والسلطة الزمنية قوياً في المناطق الشمالية في أوروبا لا سيما في المقاطعات الالمانية ، ويعتبر الكثير من المؤرخين سر حركة لوثر وظهوره في المانيا بعوامل مختلفة أهمها أن الدين المسيحي لم يستقر في نفوس الشعوب الجرمنية استقراره في نفوس الشعوب الرومانية لما جبات عليه الشعوب الجرمانية من صفات لا تنسجم وما جاء به الرومانيون - السادة الزمانيون وممثلوا الدين المسيحي . كذلك نجد أن أكثر رجال الدين كانوا من الرومان الذين يتصرفون وفقاً لخصائصهم ويصبغون الدين بلون من طباعهم لا سيما في الامور اليومية . يضاف الى ذلك ما اصطدم به لوثر من قبل طبقة الكليروس في قضية عرقلة زواجه . كل هذه الاسباب حملت لوثر على الاعتقاد ان الكثير من تصرف رجال الدين آنذاك لا يمت الى جوهر الدين بشيء كثير . ولقد درس لوثر الانجيل دراسة عميقة ومارس الحياة الدينية بمختلف درجاتها فوجد أنه من واجبه الديني انماذاً للدين أن يعلن ثورته الدينية وأن يحارب ما وضعته الكنيسة من قيود في العبادات والطقوس الدينية . فبدأ بترجمة الانجيل وحارب رجال الدين وأخذ يناصر الملوك والامراء الالمان ضد الكنيسة وطبقة الكليروس . لقد ثارت الكنيسة لهذا العمل المخالف للدين برأيها لذلك فتعد بدء الصراع بين الجبهتين واشتد النزاع وتطور وأخيراً أصبح لوثر أشد عقبة ضد الكنيسة مما أضعف الكنيسة وزعزع مقامها الديني والسياسي ، حيث اننهر الملوك هذا الانشقاق القوي في صفوف الهيئة الدينية فتعاون الامراء والملوك الالمان مع لوثر وناصر كل منهم الآخر للتخلص من الكنيسة وسلطاتها الجائرة .

واخيراً اندحرت الكنيسة ، حيث اعتنق مذهب لوثر عدد كبير من أفراد الشعب وانتشرت حركة الاصلاح الديني لافي المانيا وحدها بل في اكثر المناطق الشمالية الاوربية الاخرى وعملت على قيام مصلحين دينيين في بعض البلاد الاوربية الاخرى أيضاً كسويسرا وانكلترا .

ولقد شهد العالم في تلك الفترة نزاعاً شديداً بين رجال الدين والكنيسة المقيمين في روما وبين لوثر وأنصاره وأتباعه القاطنين في ألمانيا وبقية المناطق الشمالية الاوربية . وامتلات الكتب والنشرات بمختلف الادعاءات والالتهامات بين الفريقين ، حيث لم يقتصر النزاع هذا على الناحية الحربية والقتال المادى وإنما تعداه الى استخدام الدين والنظريات العلمية والآراء الفكرية سلاحاً في هذا النزاع .

فلقد ادعى كل فريق بأن الفريق الآخر لا يمثل الدين المسيحى على حقيقته ولذلك فإن الكنيسة حاربت لوثر بهذا السلاح أيضاً ، إلا أننا نجد أن ذلك لم يكن ضد الدين وإنما ضد طبقة الاكليروس الناطقين باسم الدين لأنه أكد على ضرورة إنقاذ الدين المسيحى من هذه الطبقة التي لصقت بالدين أشياء كثيرة لا تخدم الدين وإنما تسيء اليه وكان لوثر يؤكد في آرائه التربوية والتعليمية على الناحية الدينية وقد جهر بأن الاساس الخلقى للفرد هو إطاعة الله ونيل عفوه . لذلك حارب نظريات أرسطو الفلسفية ولهذا فقد بنى التعليم على أساس قواعد الانجيل لا على اساس فلسفة نظريات ارسطو التي كان يعتقد أنها ان انتشرت أضعفت العقيدة في الفرد المسيحى وأصبحت عاملاً من عوامل ضعف الدين في النفوس ، وقد حارب كذلك تدريس العلوم الطبيعية في المدارس خوفاً من خطرها على الدين ، لأن لوثر كان يهدف من الثقافة ايجاد شخصية دينية خلفية والتعليم برأيه إنما هو وسيلة من وسائل تثبيت العقائد الدينية ، لأنه يرى أن جميع المسيحيين الذين ينتمون الى الدين يجب أن يكونوا واعين في عقائدهم لأن العقيدة تثبت بواسطة الوعي والفهم وتكون أكثر انتشاراً بين الناس وأعمق في نفوس المعتقدين .

ولهذا فتعدش حملة قوية على الافراد والامراء لمحاربة الجهل وعمل على نشر التعليم بين البنين والبنات لهذا الهدف أيضاً . وقد كتب كثيراً وساعد كثيراً في نشر الحركة التعليمية في هذه المناطق ولكن بأسلوب غير اسلوب

الكنيسة وباتجاه غير اتجاه الكنيسة إذ كان يرى أن أعدى عدو للدين
وللمرأة هو الجهل فمحاربة الجهل برأى لوثر فرض واجب كالقرض العسكري
الذي كان سائداً آنذاك. وكتابات لوثر الى الامراء الالمان في هذا الامر
كثيرة ، حيث كان يحثهم على العمل لنشر التعليم فالتعليم خير وسيلة لنشر الدين
أولاً وللقيام بأعمال الدولة ومتطلبات الخدمة العسكرية وكانت تحمل هذه
الكتابات طابع التائب أحياناً لشدة حرص لوثر على نشر التعليم ، منها قوله
(إنى لأعجب كيف يصرف الامراء الاموال على التجنيد العسكري لمحاربة العدو
واعتقد أنه لا يوجد لدينا عدو أعدى من الجهل) لم يقتصر فضل حركة لوثر
على أنها أعطت بقضة دينية وإنما أضافت روحاً جديداً في التربية والتعليم .
فلوثر قد نادى بضرورة جعل التربية والتعليم مؤدية الى تحقيق مواطنة صحيحة .
ولذلك على الدولة أن تتولى رعاية التعليم والانفاق عليه . وجميع أقطاب حركة
الاصلاح الديني كانوا يقولون بهذا المبدأ أيضاً وعملوا على تثبيتها في المانيا
وسويسرا .

كما أن حركة لوثر قد حملت الكنيسة الكاثوليكية نفسها على ان تعيد النظر
في اسلوبها التعليمي وأن تعيد تدريس بعض العلوم القديمة كالفلسفة والآداب
وغيرها .

وقد تعد حركة نشر التعليم واشراف الحكومة عليه من تأثير هذه الحركة
الدينية لذلك فقد انتشرت فكرة التعليم الالزامي بادية الامر في المانيا والمناطق
التي انتشرت فيها حركة الاصلاح . حيث قامت الدولة بهذا الواجب وعممت
التعليم على المواطنين .

وأخيراً فإن هذه الحركة وما رافقها قد أثرت على سير الحضارة . حيث
جعلت الحضارة تسير في زمن الرومان ببطء وبخطى ثقيلة لسببين أحدهما سياسى
والآخر اجتماعى أو أحدهما من داخل الامبراطورية والثانى خارج منطقة مركز
الإمبراطورية وهما :

١ - الديانة المسيحية ٢ - القوة الحربية الجرمانية

على أن تتفاعل القوات الثلاث الحضارية : الرومان - الجرمن - المسيحية عملت رغم ما حصل بينهما من خصومات ومصادمات على إيجاد حضارة جديدة هي الحضارة الغربية وكثيراً ما يعتبر المؤرخون شارلمان الشخص الممثل لهذا المزج فهو جرمانى الاصل - توج من قبل المسيحية وسيطر على الامبراطورية الرومانية لذلك فهو يمثل هذا المزيج الحضاري ويكون خير ممثل له . كذلك أن هذه الحضارة الجديدة قد أحيطت بحضارتين اخرتين ، كانتا تعملان فيهما وتؤثران بهما ، وهما :

الاولى (١) حضارة الاغريق التي لم تتمثل تماماً في الامبراطورية الرومانية وكانت تسود القسم الشرقي من مركز الامبراطورية وتشع كثيراً وتؤثر على الاتجاهات لما فيها من تنظيم حضاري وابداع فكري وقوة فلسفية ولما حملها من رجال أقوياء حضارياً .

وثانيتهما (٢) الحضارة العربية في الجبهة الغربية (اسبانيا) وقد كانت راقية أيضاً بصورة خاصة في الرياضيات والعلوم الطبيعية والفلسفة والشعر ، حيث سجلت تقدماً في البحث العلمي والتفكير الفلسفي وتبلور هذه الحضارات وتمازجها واختلافها قد أثر على حياة القرون الوسطى حتى لقد كان مظهرها في اوروبا واضحاً إذ كانت هناك طبقات مختلفة في المكانة والامتيازات في أكثر الشعوب الاوربية التي سادت فيها هي :

١ - طبقة الحكام - وهم الارستقراطيون من رجال الدولة والامراء ورؤساء الاقطاع وكانوا يحكمون دوماً .

٢ - سكان المدن والفلاحون - وكانوا محكومين ويكونون طبقة تدار من قبل الحكام .

٣ - وأخيراً تمتع أهل المدن بنوع من التحرر وبقي الفلاحون يغطون في عبوديتهم . فتكونت الطبقة الثالثة .

وقد عمل الخلاف والفروق بين هذه الطبقات على إيجاد درجات كثيرة في جميع الاقطار الغربية التي تكونت فيها وأخيراً بزغت شمس النهضة الأوروبية وغيرت كل هذا التنظيم الاجتماعي الذي شع أجيالا كثيرة على التربية ووجهها في اتجاهه .

الفروسية

نظام اجتماعي انتشر في القرون الوسطى لا سيما اثناء الحروب الصليبية لعاملين : -

- ١ - كما يقول المؤرخون انه مقتبس عن العرب حيث بدأ نظام الفروسية في فرنسا المجاورة لاسبانيا اثناء حكم العرب وذات صلة كبرى باسبانيا آنذاك .
- ٢ - الحاجة المحلية في أوروبا ، وذلك لكثرة الحروب الداخلية والخارجية لا سيما الحروب الصليبية .

فالْحروب تحدث أزمات وتزيد في الحاجة الى المعاونة لذلك قامت الفروسية وانتشرت بسرعة في كافة أنحاء اوروبا لا سيما في ممالكها الوسطى .

لقد ظهر إن فكرة الفرسان والمثل الاعلى لهم كانت قد أخذت الشكل الافرنسي لكنها استمدت كثيراً من مثيلها العليا من مثل الكنيسة العليا لا سيما في الناحية الخلقية أما شكل الفرسان واعمالهم فقد طبعت بالطابع الجرمانى الذي يقدر البطولة ويميل إلى اظهار هذه الصفة بصورة مقدرة محترمة . لذلك فهي أميل إلى تربية اسبارطة . ولذلك فهذا العمل مستمد من المثل الاعلى لاسبارطة فعصر البطولة الرومانى والجرمانى كان يهدف قبل كل شيء إلى تكوين فرد شجاع محارب . قالتشابه هذا بين اليونان والرومان والجرمن مبني على الفكرة القديمة السائدة في هذه الشعوب أيام البطولة فيها وهي : يجب ان تكون هناك طبقة ترفع عن العمل اليدوى أو اليومي وتخصص لا دارة الدولة سياسياً وعسكرياً . لذلك فهذه الطبقة هي التي تفقد كل تقدم لا سيما التقدم التجاري والعامى والصناعى . ومثل هذه الفكرة كانت موجودة عند اليونان

وعند الرومان والجرمن أيضاً وهي توجد التشابه بين الرومان في عصر البطولة .
إن التربية لأجل الحرب تتطلب تكامل القوى الجسمية واكتساب اسس
الشجاعة والرجولة .

كذلك كانت الفروسية تتطلب اطاعة القوانين السائدة آنذاك مع اننا نعلم
إن الفرق بين عقلية الفرد في اسبارطة وفي روما اثناء البطولة انما هو قليل
بالنسبة لعقلية كل قوم فقط في الزمن وإن كان نظام الحكم يختلف
بالنسبة للفترات التاريخية ، حيث انه ساد النظام الجمهوري في العصور الاولى فيما
حكمت الملوكية في القرون الوسطى والفارس على هذا يخضع للنظام ويطيعه كما
خضع الاسباطي لنظام الجمهورية وخضوع الفارس للنظام الملكي أو للامراء انفسهم
انما يشبه خضوع الاسباطي لنظام الجمهورية والدولة الاسبارطية وهناك تشابه
ايضاً في التمرين فكانت مثلاً المنازلة عند اليونانيين شائعة في السباق والغناء ويميل
اليها الشبان ويمارسونها وكذلك سار الفرسان في القرون الوسطى لكنها
امتازت عند الفرسان بالتسلح والمبارزة . نظراً لتطور الحياة والاسلحة المختلفة .
أما وضعية الفرسان تجاه المرأة فكانت تسير الفكرة الدينية - فالكنيسة
كانت تؤكد مثلاً خدمة المرأة ومعاونتها ولهذا فهي تقديس مريم العذراء وتجعل
منها مثلاً اعلى للنساء المسيحيات وبذلك ارتفعت قيمة المرأة في الحياة العامة
بواسطة الكنيسة لذلك فقد برزت الفروسية بهذا الميل في العمل على مساعدة
المرأة والاخذ بيدها ولقد سارت الفروسية في تنظيم التربية للفرسان فقد كانت
تبدأ منذ السنة الرابعة عشرة من العمر حيث يتصل أحد الفتيان بالفارس الفتى
ويتمرن معه حتى يصبح بعد ذلك فارساً وكانت التربية تؤكد على الناحية
الجسمية والخلقية لان تحقيق المثل العليا للفروسية من اطاعة النظام والقيام
بمساعدة الضعفاء والنساء يتطلب العناية بهاتين الناحيتين قبل كل ذلك حيث
كان يفرض على من يريد أن يصبح فارساً ان يقطع مرحلة تدريب طويلة وبعدها
ينتقل الى احدى القلاع بصفة تابع لفارس هناك هو سيد القلعة وعليه أن يرافق

السيد في الألعاب اولى ساحات القتال وأن يؤدي بعض المراسيم عندما يصبح فارساً .
 لذلك نشاهد في التربية عند الفرسان اهمالا قوياً في الناحيتين التاليتين :
 ١ - اهمال للناحية الفكرية العقلية ٢ - اهمال للناحية الحرية لا سيما ناحية
 التحرر عن الكنيسة والحكومة حيث ركزت الفروسية كل جهودها على
 تقوية الجسم والارادة مع العلم إن الفروسية لم تكتف بذلك فقط وإنما اقتبست
 من ائمتنا بعض النواحي الخاصة ، حيث إن الفارس اصبح ايضاً مغنياً وشاعراً
 وكان يهتم بالموسيقى والشعر
 وأخيراً وضعت له الفنون السبعة التي عليه أن يمارسها وهي :

- ١- ركوب الخيل ٢- السباحة ٣- الرمي بالرمح ٤- المبارزة ٥- الصيد ٦- لعبة
 الشطرنج ٧- نظم الشعر
- لقد سارت الفروسية بهذا الاسلوب التربوي الخلفي في اوربا عصوراً كثيرة
 ولقد طبعت الشبان الاوربيين بهذا الطابع حتى انه ليظهر أثر الفروسية حتى اليوم
 في خلق وتصرف الاوربيين الاجتماعي في مناسبات كثيرة حتى وإن كانت قد زالت
 الفروسية نهائياً من اوربا ولم تكن هناك قبلاً منظمة عامة للفرسان - وإنما
 منظمات صغيرة متقطعة في بلدان مختلفة . وعلى هذا فالفروسية كان قوياً في
 التربية اثناء العصور الوسطى .

المنظمات المهنية

لقد ورثت القرون الوسطى الفروق الاقتصادية والاجتماعية من القرون التي
 سبقتها لذلك فقد استغلت الطبقات الدنيا كثيراً من الوجهة الاقتصادية من قبل
 الطبقة العليا كما انها ورثت عدم العدل في التوزيع الاقتصادي وفي التمتع بالحريّة
 بالنسبة لبقية الطبقات .

ولما كانت كل من الدولة والكنيسة قد أسست كيانهما المدني على اساس
 تتطلب فيه صرف مبالغ كبيرة لذلك فقد اصبح ما يتحملة الفرد من العبء

الاقتصادي ثقيلًا .

زيادة على ذلك فإن الحروب الكثيرة في اوربا قد عطلت الزراعة من جهة وحملت مصاريف حربية كبيرة لذا فقد أصبح الفلاح يضيق ذرعاً بهذا الحمل من الضرائب المختلفة ، حيث ان كلا من الكنيسة والدولة كانت تطلب منه ضرائب ولما كانت املاك الحكام الكبار واملاك الكنيسة قد عفيت من الضرائب وهي كبيرة آنذاك لذا فأن حمل الضرائب جميعه وقع على الفلاحين وهذا هو الذي حمل الفلاحين بين القرن الثالث عشر والسادس عشر على ثورة عنيفة للتحرر من هذا الضغط الاقتصادي والاجتماعي . حيث كانت حالة الفلاحين تعسة جداً ولقد انتهت ثورة الفلاحين باصلاح قوانين العمل وتلك القوانين التي خففت من اعباء الضرائب على الفلاحين ولقد تمت هذه الاصلاحات باشكل مختلفة بالنسبة لدول اوربا في بروسيا كان الملك عاملاً مساعداً لتحقيقها أما في فرنسا فقد انتهت الحركة بالثورة الافرنسية المشهورة .

وهذه الثورة وما رافقها من حركات اصلاحية عملت بجد على ايجاد المنظمات المهنية لاسباب في المدن فالمنظمات المهنية كانت حقاً مهنية حيث وضعت قواعد للمنتسبين للمهنة وحددت ازمناً الانتماء لذلك وهذا التنظيم المهني اثر على سير الترقية في كثير من بقاع اوربا وبنهوض التجارة والصناعة في العهد الاخير من القرون الوسطى نشأت مدن تجارية وطبقة من التجار للتجارة ولذلك فقد الف العمال لانفسهم نقابات كانت تتولى مراقبة الصناعة وتعني بأمر تعليم الصناعة غاية كبيرة قصد حماية جودة المنتج وضمان الرفاهية للعمال وكان لهذا التعليم ادوار ثلاثة .

١ - تلميذ ٢ - أجير ٣ - استاذ .

١ - التلميذ كان يتناول اجراً ولكنه يبقى تحت حماية النقابة ما دام يتعلم

٢ - الاجير يعطى اجراً ما دام يشتغل تحت اشراف استاذ وكان عليه أن

يجتاز امتحاناً تضعه له النقابة ليصبح استاذاً

وكانت النقابة تعد قسماً يقومون بتعليم الدين واخيراً تكونت مدارس

النقابات ثم اندمجت أخيراً في المدارس البلدية . وكانت تمثل مصالح طبقة الصناع والتجار ولم يقتصر فضلها على أنها رفعت التجارة والصناعة وإنما استطاعت أن تربي أبناء الشعب أيضاً في الفنون الحرة وعملت على تهيئة الطريق للنهضة العلمية . وبما أن المهن كانت في المدن كذلك فقد تمتعت المهن نفسها وأخيراً المنظمات بصلة مباشرة مع رجال الدولة ورجال الكنيسة لذلك كان أفرادها أحسن حظاً من حال الفلاحين الذين كانوا بعيدين عن نفوذ الحكومة وتحملوا العبء الأكبر من الضرائب ولا ينكر بأنه للكنيسة فضل كبير على المهنة الصناعية حيث اعتبرت الديانة المسيحية المهنة ضرورية للفرد المسيحي وإن العمل ليس وضعياً كما كانت تنظر إليه الشعوب القديمة فعند الله تتساوى الأعمال جميعها فأصبحت نظرة الناس بفضل ذلك وبفضل المنظمات المهنية غير ما كانت عليه في السابق على أن انتشار هذه المنظمات قد أثر على التفكير القديم الرامي إلى الاهتمام بالأمور الحربية والإدارة العامة

ربحت المهن المختلفة بفضل هذا التنظيم عناصر فنية استطاعت أن تقدم للمهن مقدرة عقلية خاصة مما ساعد على نموها وازدهارها وهذه المنظمات الفضل الأكبر في الزيادة الصناعية في أوروبا حيث وجهت اهتمام الفرد والمدرسة ناحية مهنية وأعطت للعمل قيمة كبيرة وغيرت نظرة الفرد الغربي إلى العمل كما أثرت على اتجاه التربية المدرسية فغيرت الحياة المدرسية ومناهجها ونظمها وفقاً لذلك .

أثر المسيحية في التربية

لقد رأينا أثر الديانة المسيحية في حياة الشعوب الأوروبية في الفترات التاريخية السابقة ولهذا فإن أثر هذه الديانة كان كبيراً بالنسبة للتربية وبالنسبة للحياة . لقد بدأت الكنيسة تنظم نفسها وتهيء الوسائل لتكوين أسس نظامها المدني ، حيث تطورت بعد انتشار الديانة المسيحية واعتناقها من قبل الملوك والأمراء فأخذت تسعى لتكوين عاطفة وشعور في الفرد لايجاد هيئة اجتماعية مسيحية

وبناء دولة خاصة هي دولة الله .

ولقد أخذت هذه الدولة الجديدة العامة التي لا ترتبط بمحدود الارض . ولا تكتفي بشعب واحد أو مجموعة شعوب لأنها اعتبرت الارض مملكتها وجميع الهيئة الاجتماعية شعبها الذي تسعى لأن تنظمه وتهديه ، أخذت هذه الدولة تسن لها نظاماً يهدف الى انقاذ الفرد مما علق به من شوائب وذلك بالاستعانة على ذلك بقوة الله . فبدأ بذلك صراع عنيف بينها وبين الممالك المحدودة ذات السلطات الزمنية والشعوب المعنية .

لقد ركزت الكنيسة همها الاول بعد نشر رسالة الدين في الالتفات الى العلاقة الجنسية بين أعضاء هذه الهيئة الاجتماعية الجديدة فأخذت تعني بصورة خاصة بالزواج واعتبرته شيئاً مقدساً ورغبته للناس ، لذلك أقبل الناس عليه ارضاء لارادة الله وخشية من أخطار ذنوب جديدة قد يعاقب عليها الانسان في الدار الثانية .

وكذلك نظرت المسيحية نظرة احترام الى الأم مما أحدث ذلك تغييراً أساسياً في التربية ، بالنسبة لما كان سائداً آنذاك من التقاليد والعادات كذلك استخدمت الكنيسة التعميد وطقوس الانتهاء الديني فحدثت تغييراً هاماً في أسس حياة الفرد آنذاك تجاه القوة المنظمة له فدخلت الكنيسة في الحياة العامة كسلطة زمنية بجانب الدولة ، إذ أصبحت الكنيسة هي التي تتولى تنظيم الاطفال والشبان بينما كانت الدولة هي التي تقوم بذلك من قبل

انقد أكدت الكنيسة أيضاً على أن الله هو أبو الاطفال يرعاهم بعنايته ويحنو عليهم ويساعدهم وان السيد المسيح قد مليء بعاطفة الحب للاطفال ، كما أخذت تنشر أقوال المسيح الكثيرة في هذا الموضوع برهاناً على ما تقول وتثبتاً لما تريد .

إن هذا الاتجاه الجديد في التربية قد أثر كثيراً في الاجيال الماضية الاوربية وقد عمل على تغيير اتجاهها لذلك وقد كان هذا عاملاً هاماً في اضعاف

الفكرة القومية وكذلك سمح للكنيسة بالتدخل في الحياة العائلية وذلك لرعاية تربية الاطفال والعناية بهم ولقد عملت أيضاً على ايجاد مثل عليا للحياة خاصة بها وتحاول تثديتها في نفوس أعضاء الهيئة الاجتماعية . ولقد أثر ذلك على اتجاه التعليم أيضاً حيث نرى ان الكنيسة قد شجعت الناس وحملتهم على التعليم . وأثر هذا الاتجاه واضح بالنسبة لوضعية الدولة حيث أنه خلق مشكلة قوية بين اتجاه الدولة واتجاه الكنيسة لم تحل حتى اليوم في أكثر الامم الاوربية .

على أن الكنيسة المسيحية لم تقم في بادئ الامر بإنشاء مدارس خاصة لها ولا بتربية خاصة لأولاد المسيحيين ضمن الامبراطورية الرومانية بل كانت تربية المسيحيين تجري بواسطة المدارس المألوفة آنذاك كالمدارس الادبية ومدارس الخطابة ، وهذه المدارس كانت تسير على النمط القديم الذي ألفته منذ أيام الوثنية ، أي قبل انتشار الدين المسيحي .

إلا أن الكنيسة لم تسكت بل انتقدت هذه المدارس واعتبرتها غير ملائمة للدين ، حيث أن أسس الوثنية الاولى كانت مفسدة للاخلاق في نظر الكنيسة ولكن المسيحية رغم كثرة انتقاداتها وشدتها فإن الناس استمروا على ارسال أولادهم الى هذه المدارس حتى القرن السادس بعد الميلاد .

بعد ذلك أخذت الكنيسة تفكر جدياً وعملياً في تكوين مدارس جديدة تلائم اتجاهها وتحقق لها هدفها الديني فأخذت تقوم بتدريس الدين الذي كان جل همه بحث تأريخ تطور الدين المسيحي ويقوم بتوضيح قواعد الدين ثم تطورت هذه الخطوة الاولى الى القيام بالتدريس الاولى أيضاً . لذلك أصدرت الكنيسة أوامرها الى القسس بتأسيس مدارس تعليمية في المحلات التي تصلح لهذه المدارس ان هذه الاوامر اظهرت للكنيسة التعصب القوي في القوى التعليمية فرأت نفسها بحاجة الى ايجاد معلمين خاصين وفقاً لاتجاهها ويصلحون لهذه المدارس التي أمرت بإنشائها . ولم يكن هم الكنيسة الاول الناحية الايجابية ، حيث أن هذه ليست صعبة وإنما الناحية السلبية أي أن الصعوبة ليست في تدريس الدين

المسيحي وتاريخه وأسسها وإنما كيف يستطيعون إبعاد الآثار الرومانية واليونانية والوثنية عن هذه المدارس وعن المواد الدراسية ، حيث أن المدارس لا تكتفي بتدريس العلوم الدينية وحدها ولكنها تقوم بتدريس العلوم الأخرى كالمهندسة والفلك والرياضيات والأخلاق الخ .. وكل هذه العلوم قد استمدت أهم مادة فيها من أبحاث العلماء والمفكرين الذين سبقوا الديانة المسيحية والذين يعتبرون وثنين بالنسبة للكنيسة .

كل هذا حمل الكنيسة على القيام بمدارس خاصة بتكوين المعلمين لذلك فتحت دورات تدريبية (Seminar) ، ولقد بقيت هذه الدورات مدة طويلة وما زالت قائمة حتى الآن في كثير من أنحاء أوربا بين الرهبان والقسس . لقد اصطدمت الكنيسة عند تأسيس المدارس كذلك بالحاجة الكبرى إلى إيجاد الأماكن الخاصة بالتدريس مما حملها على أن تجعل الأديرة مراکز للتربية المسيحية الجديدة ، لذلك أصبحت الأديرة ليست محلا للعبادة فقط وإنما لتربية أطفال المسيحيين وفقاً للقواعد التي وضعها الكنيسة . كذلك نشطت الكنيسة لابتدال الكتب المدرسية ومواد الدراسة فأخذت تؤلف كتباً لها عن تاريخ الديانة المسيحية مملوءة بالقصص الدينية بدلاً من التاريخ العام والقصص العامة تنسجم مع اتجاه الكنيسة وتنظيمها الحديث .

كل هذه المحاولات والأعمال عملت على تثبيت أسس التربية المسيحية بين المسيحيين لذلك قامت مدارس خاصة دينية كثيرة بجانب مدارس الدولة . مما حمل الدول الغربية على مقاومة الكنيسة ، حيث رأت بعض الدول أن هذا التنظيم الديني الجديد لا يقتصر في عمله على نشر لواء الدين وإنما يهدف إلى السيطرة على الاتجاهات العامة والقيام بمهام الدولة نفسها بحيث يجعل المواطنين خاضعين مباشرة وبصورة عملية للكنيسة لا للدولة فالدولة شعرت بأنها ستفقد سلطانها على المواطنين وسوف تصبح الكنيسة لا مؤسسة دينية وإنما سلطة زمنية عليها وهذا ما حملها على مقاومتها .

بدأ هذا الصراع في عدة بقاع من الغرب كان أعنفه في المقاطعات الالمانية ، حيث الفروق كبيرة بين طبائع الجرمن ومطالب الكنيسة وأخيراً أنتهى الصراع بعد المعارك الشديدة الاولى بانتصار الكنيسة على الدولة واخضاع الامراء الجرمن لسلطان الكنيسة .

لقد أثرت مدارس الأديرة على الحياة العامة وحياة الأديرة فينبما كانت الاديرة في محلات بعيدة عن المدن والحياة للاتطاع للدين اضطرت أن تقترب من المجتمعات ومن المدن للاتصال بالهيئات الاجتماعية وليستطيع عدد كبير من الراغبين في الدراسة أن يؤموها ويتعاملوا فيها .

ولقد كانت التربية في هذه المدارس الدينية تربية قاسية في نظمها وما تتطلبه من الطالب حيث كانت تأخذ الطالب من عمر ٧ سنوات حتى السنة الخامسة عشرة من عمره أي مدة ثمان سنوات ليدرس ما تقرره له الكنيسة وبالاسلوب الذي تضعه هي له فكانت مثلاً لغة التخاطب بين الطلاب ليست اللغة المحلية وإنما اللغة اللاتينية التي تعتبر لغة الديانة المسيحية . كما يجبر الطالب على ان يدرس العلوم الاخرى التي تراها الكنيسة ضرورية لتحقيق غايتها لا سيما الأدب والشعر وتمرنه على محاولة نظم الشعر في الاتجاه الذي تريده .

أما طريقة التدريس فقد كانت على الاسلوب القديم ، الذي يعتمد بالدرجة الاولى على الذاكرة حيث أن المادة التي تعطى كلها مواد ثقيلة لا عقلية ، لذلك كانت تحمل ذاكرة الطلاب بحمل لا يطيقه اكثرهم .

ولقد عنت الكنيسة أيضاً بالموسيقى ولكنها حولتها الى موسيقى دينية وفقاً لذوق الكنيسة والتي رأتها ضرورية للطقوس الدينية . على أننا نجد بعد توسيع هذه المدارس المسيحية لم تستطع أن تتخلص من جميع العلوم الاخرى ولم تستطع التخلص إلا تدريجياً من الكتب القديمة ، إلا أنها عملت بجهد وباستمرار لا ببدال هذه الموضوعات بموضوعات دينية تخدم الدين وتعمل على تقويته وكذلك استطاعت بفضل جهد رجالها ابدال كثير من الكتب القديمة بكتب جديدة توافق

الاتجاه الديني وتقود اليه .

أما العقاب فقد كان قاسياً في جميع هذه المدارس الدينية إذ كانوا يعاقبون الاطفال بالحرمان والحبس والعقاب البدني لذلك نشأ الطلاب خشين ويسأمون من الحالة التي هم فيها من حمل بعض الطلاب على الخروج بقسوة على نظم الكنيسة كما أن بعضهم كانوا يقومون بأعمال انتقامية ضد الدير الذي يدرسون فيه إذ لم تفكر الكنيسة بحالة الطالب وطبيعته بالنسبة لنوع العقاب الذي تفرضه حيث أنه لا يهمها من كل هذه الاساليب إلا شيئاً واحداً وهو إيجاد الطاعة المطلقة في نفوس الطلاب لذلك كان من نتيجة ذلك أن قتلت في الطلاب روح الحماس والشخصية الذاتية الضرورية لحياة الفرد ونموه مع الهيئة الاجتماعية .

بقيت المدارس المسيحية تسير على هذا النمط حتى نمت الحركة العامة وتوسعت المدارس وتنوعت ، عند ذلك أخذت المدن الاوربية بعد نموها تقوم بإنشاء المدارس وفقاً لحاجياتها ورغباتها فأقامت المدارس المهية المختلفة مما جعل المدن تتراجع وتتنازع مع الكنيسة ، وما زال النزاع مستمراً الى اليوم إذ أن المدن قد اعتدت بالعلوم العملية التي تتطلبها الحياة الجديدة ، كما انها لم تسر على الطريقة القاسية التي سارت عليها الكنيسة . لذلك أصبحت المدن تهدد كيان المدارس الدينية حيث أن الفرد أصبح يريد أن يؤمن له مستقبله وقد أصبح المستقبل مضموناً بهذه المدارس الجديدة لا بواسطة مدارس الكنيسة لذلك . فان كانت الكنيسة قد انتصرت قبلاً على الدولة فان المدن لم تخضع حتى الآن للكنيسة ولذلك فالنزاع ما زال قائماً في أكثر البقاع الغربية ، وقد جعل الكنيسة تتراجع في كثير من مطالبيها الزمنية وتقتصر تدريجياً على النواحي الدينية .

التربية العربية الاسلامية

لما كانت الطبائع والخصائص الهامة للدولة الاسلامية مستمدة من العرب لذلك نستطيع أن ندعو التربية آنذاك بالتربية العربية الاسلامية ، حيث لم يكن آنذاك حد فاصل بين السلطتين الدينية والسياسية وإنما بدأت الدولة الاسلامية متحدة في الناحيتين المذكورتين

ولقد كانت التربية آنذاك متميزة بالصفات التي كانت سائدة وهي صفات منحدره عن البادية وحياة العشائر العربية واخرى مستمدة من الحضارة التي كانت قائمة في بعض البلدان العربية .

عند ما جاء الاسلام كان العرب يعيشون اما في المدن أو بحالة عشائر رحل فالذين كانوا يستوطنون المدن كانوا ذوي نصيب وافر من الحضارة أما الذين كانوا يتنقلون في البادية ويعيشون تحت اخيام فانهم لم يقتبسوا من الحضارات القديمة شيئاً ذا قيمة في الحياة . ولقد حارب الاسلام بعض الطبائع والعادات القبلية كما أنه أبقى بعضها وشجعها لذلك بقيت حياة العربي تحمل طابعين في آن واحد طابع البداوة وطابع الحضارة ، وبقي العربي يعز بأمر كثيرة تعز بها القبائل وحاول أن يلازم البعض الآخر مع اتجاه الدين الاسلامي ومقتضيات العصر آنذاك . وأهم الصفات البدوية التي حاربها الدين كانت جفاء الطبع والجهل وضعف المرونة الفكرية وقلة تهذيب الطبائع والسجاي . فلقد آلم الاسلام قلق البدوي الفكري وعدم تمسكه بالعقائد الدينية والعصبية والابتعاد عن العمل وتحمل الصعوبات على أن هناك بعض الصفات التي نماها الاسلام وحافظ عليها مما كان البدوي يتصف بها وهي : الشجاعة والكرم والوفاء والعفة والكرامة والشرف . حيث أكد الاسلام عليها وحافظ قادة المسلمين وهم القادة الدينيون أيضاً عليها . وخير ما يشير الى هذه الفروق هو وصف (جعفر بن أبي طالب) الخلق العرب قبل الاسلام وبعده بقوله :

« كنا قوماً همجاً نعبد الاصنام ونأكل الميتة ونرتكب الذميمة من الفعال

وقد لا نعبأ بحق ذوي القربى أو الجار ، القوي منا يؤذي الضعيف ، وبقينا هكذا الى أن بعث الله رسولا من بيننا نعرف عراقة منبته ونثق باخلاصه وأمانته يدعونا الى عبادة الله وحده وهجر أصنامنا التي كنا نعبد كما عبدها آبؤنا من قبلنا وقد أمرنا بالصدق في القول ، وتأدية الامانات الى أهلها ، ومراعاة حقوق ذوي القربى والجار واجتناب المحرمات واراقة الدماء ، وأمرنا بالبعد عن الرذائل والخداع وأكل مال اليتيم الخ . . . »

وقد تكون هذه الصفات جميعها من مقتضيات البداوة ومنسجمة مع الحياة المتنقلة آنذاك وهذه الصفات كغيرها من الصفات الاخرى ليست ثابتة ولا هي سجية لأمة معينة أو شعب من الشعوب وإنما هي على الاكثر ترافق حياة البداوة وتسايروها ، فإذا ما زالت البداوة زالت معها أكثر الصفات الملازمة لها .

لذلك نجد أن الكثيرين من البدو تحضروا بعد الاسلام وساهموا في نمو الحضارة الاسلامية العربية . وأصبحوا قادة لها كما قادوا الفتوحات الاسلامية ونشر الدين في جميع شعوب الامبراطورية الاسلامية . فأصبح الكثيرون منهم الذين كانوا قبلا قوماً رحلا لا يطبقون النظام والاستقرار والخصنين في معيشتهم والضعفاء في مداركهم على عكس ذلك مترفين ناعمين رقيقين يقومون باعباء تنظيم الامبراطورية وادارة بعض أمصارها وتنظيم امكانية توسعها والدفاع عن كيانها وأخيراً في إيجاد روح حضارة لها تلاءم العصر وتنسجم واسلوب الحياة آنذاك .

وأخيراً استطاع العرب المسلمون بقسميهم البدو والحضر رغم جميع الصعوبات تكوين الامبراطورية العربية وإيجاد الحضارة العربية الاسلامية ، تلك الحضارة التي كانت خلاصة لتفاعل عدة ثقافات وساهم فيها مختلف الشعوب الاسلامية وكانت ثقافة منسجمة موحدة بفضل الدين واللغة العربية . إذ بواسطة هذه الوحدة اللغوية قد تضاءلت الفروق بين الشعوب الاسلامية وقد سهلت صفة التساوي بين المسلمين في الفترات التاريخية الزواج بين مختلف الشعوب

الاسلامية مما سهل التقارب الثقافي وزاد اتصالهم ببعضهم وأوجب تساوياً في الحقوق السياسية والاجتماعية . فأوجد ذلك وحدة روحية عقلية استمرت عدة قرون حتى بعد تفكك الكيان السياسي الاسلامي الموحد .

لقد ساءرت التربية الحضارة في تطورها وسيرها ولذلك فاننا نجد اختلافاً في التربية في الفترات الاسلامية المختلفة وبعض المؤرخين يقسم تطور الحضارة الاسلامية (أسماء حنا فهمي) الى ثلاث مراحل : -

(١) - المرحلة الاولى هي مرحلة تأسيس الامبراطورية واكمال الفتوحات ، وذلك من عهد الرسول حتى أوائل العباسيين حيث امتازت هذه المرحلة بأن وضعت فيها المبادئ الرئيسية الدينية والسياسية والاسس العامة للحياة الاجتماعية والخلقية وتكاملت فيها الفتوحات العسكرية . ولقد سار المسلمون في بدء المرحلة وفقاً لمبادئ الدين مندفعين في فتوحاتهم الى الاقطار البعيدة شرقاً وغرباً ناشرين لواء الاسلام . وفي هذه الفترة تخلى عدد كبير من العرب عن طور البداوة فاتصلوا بالعالم الخارجي وذلك بتمشككهم في الفتوحات كما قد الفوا الحضارات الاخرى التي واجهوها آنذاك وأهمها الحضارة الفارسية والرومانية . لقد كان انتشار القراءة والكتابة بطيئاً قبل ظهور الاسلام وانتشاره ، حيث يذكر ان عدد الذين كانوا يستطيعون القراءة والكتابة من القرشيين كان سبعة عشر رجلاً فقط ، لكن الدين الاسلامي وما فيه من نظم الحياة واتجاه سياسي شجع الناس على تعلم القراءة والكتابة وليس ادل على ذلك من قول الرسول (ص) (اطلب العلم من المهد الى اللحد) و (اطلب العلم ولو بالطين) والآية الكريمة ، (هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون) .

وقد اصبحت القراءة والكتابة ضرورتين للاسلام والمسلمين عندما انتشر الاسلام وكون دولة مدنية تحتاج الى رجال لادارة اعمالها . كذلك فان ضبط القرآن في بادئ الامر وضبط الحديث كانت تستدعي القراءة والكتابة .

ثم اخذت حركة تعليم القراءة والكتابة تنتشر بسرعة وقد قام بعض الخلفاء الامويين لا سيما عبدالملك بن مروان بترجمة الدراوين الى العربية للاسباب المعلومة مما دعى الكثيرين الذين يمارسون الاعمال في الدولة الى تعلم القراءة والكتابة .

وكما توسعت الدولة في فتوحاتها كلما زادت الحاجة عند المسلمين الى تعلم القراءة والكتابة ثم تطور ذلك الى اتقان اللغة وتنظيم قواعدها لسبب هذا التوسع والاختلاط بين العرب والشعوب غير العربية .

لذلك كان الاسلام منذ ظهوره عاملا فعالا في نشر التعليم وتوسعه وقد شجع المسلمين لاجل حثهم بحماس على التعليم مما سهل انتشاره والرغبة فيه لنشر الدين وقراءة كتاب الله واستخدامه في الحياة العامة .

لذلك نجد ان الحركة العلمية سارت بنشاط رغم جميع المشكلات السياسية والمصادمات والحروب الداخلية بين المسلمين في القرن الأول للهجرة . وأخيراً بلغت الحركة الفكرة مرحلة النضج بسرعة .

(٢) - المرحلة الثانية هي فترة النضج الفكري فبعد أن قلت الفتوحات انصرف المسلمون فيها الى نشر لواء العلم والعرفان والعمل على ذلك دون كلل أو تعب ولقد بلغ النشاط والجهد العلمي أشده في القرن الرابع الهجري أو العاشر الميلادي .

ولم يقف انقسام الامبراطورية الاسلامية الى دويلات دون تقدم العلم وبلوغ النضوج الفكري وكثرة الانتاج الادبي .

وفي هذه الفترة اقتبس المسلمون الشيء الكثير عن الهنود والفرس والاعريق فترجموا الكتب وشرحوا النظريات العلمية فيها وقاموا بتطبيق بعضها عملياً في الحقول التي تحتاج الى تجارب .

ولقد ساهمت المراكن الاسلامية السياسية الكبرى الثلاثة وهي بغداد وقرطبة والقاهرة في هذا الانتاج الحضاري وفي نمو الثقافة ، إذ بلغت الاندلس اوج

عظمتها في القرن العاشر الميلادي كما بلغت بغداد ذلك في القرن التاسع .
لقد تميزت هذه المرحلة بكثرة التسامح وزيادة الانتاج العلمي وتعدد المذاهب
الفلسفية والدينية والابتعاد كثيراً عن المثل العليا السابقة .

فعملت الترجمة وزيادة البحث الفلسفي على تكوين مذاهب بين المسلمين
وشيعة متعددة واصبح بعض الخلفاء انفسهم يشتركون في ذلك . على اننا لا ننكر
ان تقدم العلم والعماء قد زاد في جميع المناطق الاسلامية وليس ادل على ذلك
من قول المقرئ في نفح الطيب يصف أهل الاندلس :-

انهم أحرص الناس على التمييز والجاهل الذي لم يوفقه الله لعلم يجتهد ان يتميز
بصفته ويربأ بنفسه أن يرى فارغاً عالة على الناس لأن هذا عندهم نهاية القبح .
والعالم عندهم معظمهم من الخاصة والعامة يشار اليهم بالبنان . وكل العلوم لها
عندهم حظ واعتناء .

٣ - المرحلة الثالثة فترة التوقف أو الانتكاس العلمي وهو دور السلاجقة في
القرن الحادي عشر .

لقد امتازت هذه الفترة بما يلائم ما عرف عن السلاجقة من صفات حيث كانت
تطغي عليهم القوة الحربية والاندفاع نحو القتال لذلك لم يألفوا التسامح الديني
ولا الروح الفلسفية . فهم لا يقبلون الجدل ولا المناقشة . ولا يسمحون بتعدد
المذاهب والعقائد الدينية . ولذا سادت الفترة فكرة دينية وضعف البحث الفلسفي
والنقاش الديني وسار المسلمون في انتاجهم الحضاري والفكري نحو تقوية العلوم
المنقولة وتقوية الدين والتطرف في مبادئه ومحاربة العلوم الطبيعية والفلسفية .

على ان السلاجقة عملوا مع ذلك على اعادة الوحدة الاسلامية السياسية في
اكثر جهات الامبراطورية الاسلامية وانا نجد ان الحروب الصليبية كانت عاملاً
هاماً من عوامل توجيه التفكير في هذه الفترة نحو هذا الاتجاه لان هذه الحروب
قامت لمقاومة الاسلام وللقضاء على المسلمين مما حمل الشعوب الاسلامية جميعها على
التمسك بمبادئ الدين والدفاع عنه سياسياً وحرياً واخيراً علمياً وفكرياً ايضاً .

لذلك فقد ظهر الانتاج الثقافى في هذه الفترة في بناء المساجد الكثيرة والمدارس التى كانت تعنى بالثققة والعلوم العقلية والدينية بالدرجة الاولى وهذا يظهر فى كتاب الامام الغزالي احد مشاهير القرن الثانى عشر الذى يحمل على دراسة الفلسفة والعلوم الطبيعية ولا يبيحها الا للعلماء الراسخين فى العلم .

على أن كل هذا الانتاج الحضارى توقف منذ استطاع المغول تحطيم معالم المدنية فى بغداد وما جاورها وما أصاب المسلمين فى اسبانيا من اندحارهم امام المسيحيين وخروجهم منها نهائياً عندئذ تقطعت اوصال الصلة العالمية بين الاقطار الاسلامية وضعفت بطبيعة الحال الوحدة الفكرية مما جعل الثقافة تميل نحو لون الثقافة المحلية لمفعول الخصائص الاقليمية .

١-٥- التربية العربية الاسلامية

لقد كان الاسلام انقلاباً عاماً فى حياة الفرد العربى اذ بفضل الاسلام استطاع العرب ان يبتعدوا عن بدويتهم ويسيروا بسرعة فى طريق المدنية والحضارة ، كما نال العرب وحدتهم وتكون فيهم الشعور الذاتى القومى واوجد الاسلام قوة روحية عامة مما عمل على تغيير الطباع السائدة وصقلها وتهذيبها .

ولقد استطاع الاسلام أن يوجد مثلاً علياً للهيئة الاجتماعية غير المثل العليا التى كانت سائدة فى القبائل البدوية وفى المدن . كما اصبح الاسلام نظام دولة سابقة فجأة اعظم الامبراطوريات فى ذلك العصر وتغلبت عليها ، فخضع العرب اسكان الدولة وقاموا بتنفيذ اوامرها وتحقيق هدفها وهو نشر الدين وعبء الدعوة الاسلامية .

ولم تكن الفتوحات الواسعة والسريعة من الامور الهينة على العرب ومع ذلك فقد استطاعوا أن يختلطوا بشعوب كثيرة ويحكموا اجناساً متعددة وان يديروا دولة أصبحت هي الاولى فى ذلك الزمن . وكان ذلك بفضل ما أمتاز به العرب من وعي للحضارة وما أتصفوا به من صفات وسجايا . هى أن الاسلام كفكرة وكدولة عمل عمله فى تغيير أساليب الحياة ونظم العيش كما ان الاختلاط الواسع

السريع عمل عمله أيضاً في صقل النفوس والتأثير عليها بأشكال متباينة لذلك نجد ان التربية العربية بعد تكوين الدولة الاسلامية قد أخذت طابعاً آخر يختلف عن قبله ، وهذا الطابع مزيج من الصفات القديمة وما دخل من صفات جديدة . فلقد حافظ العرب على الصفات الاساسية لمقومات حياتهم ولم يتنازلوا عن السجاياء المكونة لخلقهم وطباعهم ، ولكنهم قبلوا صفات اخرى جديدة . وأهم حدث جديد بعد ظهور الاسلام هو طريقة نشره والوسائل التي اتخذت لتفهيمة للناس . ولما كان التعليم هو المركز المطل على اساليب التربية لذلك نجد ان التعليم قد بدأ في الاسلام يؤثر أيضاً على سير التربية العربية ويوجه اتجاه الفكر نحو اهدافه ومرامييه . لذلك لا بد لنا لفهم التربية العربية من القاء نظرة سريعة على التعليم في الدولة الاسلامية .

التعليم في الاسلام

منذ بدأ الاسلام يشق طريقه نحو الحياة ويخطو نحو تكوين الدولة بدأ الاهتمام في التعليم يظهر ، فقد رأينا الرسول (ص) يبدأ في نشر التعليم منذ واقعة بدر حيث جعل فداء الاسير تعلم عشرة من اطفال المسلمين القراءة والكتابة ولقد أستمر هذا التشجيع طيلة حياة الرسول عليه السلام وصحبه . ولا بد لمعرفة التعليم على وجهه الصحيح من البحث في الامور التالية : —

- (١) — المعاهد التي انشئت لاجل التعليم .
- (٢) — اهداف هذه المعاهد واعمالها .
- (٣) — الاساليب التي كانت تتبع في التعليم .
- (٤) — المعلمون وصفاتهم .

المعاهد

لقد بدأ الرسول منذ الهجرة ينظم محلات العبادة ، لذلك فقد انشيء الجامع ليكون محلاً للعبادة على ان الجامع ما لبث بعد مدة أن أصبح محلاً للتعليم

لتقدير العلم وجعل التعليم بالمرتبة الثانية بعد أمور الدين .

على ان تطور الحركة الاسلامية وتوسع الفتوحات واثار الحضارات الاخرى في العرب والمسلمين أوجدت ضرورة لتأسيس معاهد خاصة للتعليم وفقاً للحالة آنذاك . لذا فقد بدأ المسلمون في انشاء الكتب لتعليم القراءة والكتابة واخيراً تطور الى تعليم مبادئ الحساب ايضاً ولقد كان الهدف الاول من التعليم هو تعليم قراءة القرآن الكريم إلا أن هذا الهدف قد تحقق بسهولة مما حمل المسلمون على أن يقوم الكتب بتعليم الاولاد الكتابة والقراءة ومبادئ الحساب .

ولقد بقي الجامع والكتاب محلات للتعليم منذ بدء تكوين الدولة الاسلامية حتى يومنا هذا ولم تتغير فيها الا المواد الدراسية واشكال الدراسة .

على اننا نجد ان المعابد قد تنوعت وقد تعددت في الفترة العباسية لاسيما في القرن الرابع الهجري مما اعطى الناحية العامة رونقاً خاصاً وظهر التعليم آنذاك باجلى مظاهره . لقد تكونت دور الكتب التي تضم آلاف المجلدات والكتب ولقد ترجمت امهات الكتب اليونانية والفارسية والهندية . كذلك بدأت الحلقات العلمية في الجوامع وفي قصور الخلفاء والامراء تعقد وكثر النقاش وتعددت المذاهب وسادت حرية البحث جميع هذه الحلقات العلمية ثم قامت دور الحكمة والعلم للبحث العلمي والترجمة واخيراً انشئت المدرسة التي تمثل اتجاهاً خاصاً وهدفاً واضحاً هو الحد من توسع المنافسات الدينية والاعتناء بالفقه الاسلامي . واخيراً تكونت الزوايا والربط للدراسة والعبادة ونظمت معاهد خاصة بالاعمال الطبية كالمارستانات وما شابه ذلك .

ولقد قامت هذه المعاهد ليس في مركز واحد من العالم الاسلامي وانما في بغداد والاندلس والقاهرة . حيث كانت هذه المراكز العلمية متشابهة في قيام المعاهد وتوسعها ولو كان ذلك باختلاف بسيط بالنسبة لاختلاف هذه المقاطعات الثلاث واتجاه الدولة فيها

تنظيم الدراسة والمناهج

لقد ذكرت لنا المصادر المتعددة التي تصف لنا هذه المعاهد العلمية الاسلامية نوع التنظيم الدراسي السائد آنذاك وشيئاً عن حياة الطلاب والمدرسين يستدل من كل ذلك ان ناحية تقدير العلم كانت قوية حيث نجد الكثيرين من المسلمين يتبرعون بأموال طائلة لانشاء معاهد للعلم . لقد تعددت المعاهد التعليمية في الدولة الاسلامية وفي الدول التي نشأت عنها بعد فقدانها لوحدها السياسية .

على ان هذا التنظيم لم يسر بصورة دقيقة من حيث المرحلة التعليمية ومدة الدراسة في كل مرحلة فلم يتخذ له حداً واضحاً للانتقال من مرحلة الى اخرى وانما جرى بطريقة اختيارية لا تتقيد بشروط معينة فالطالب يبدأ بدراسة القراءة واصول الدين وبعد أن يتم ذلك كما يراه ويراه له الاستاذ ينتقل الى دراسة بعض العلوم الاخرى بنفس الطريقة الفردية دون اجراء امتحان خاص وقد تكون دار الحكمة ودار العلم اقرب المعاهد العلمية الاسلامية الى التنظيم الجامعي السائد الآن والذي ساد في بدء تكوين الجامعات الغربية . حيث كانت الدراسة تتطلب مقدرة عقلية خاصة ونضوجاً شخصياً ولذلك يقوم الفرد بالبحث والاستقلال الذاتي ومراجعة الكتب والمصادر العلمية .

لذلك فقد كثرت الرحلات والسفريات في الدولة الاسلامية طلباً للعلم وللتعرف على العلماء في مختلف البقاع .

اما الكتاب فقد اتخذ كوسيلة لتعليم القرآن ومبادئ القراءة والحساب والخط ولذا فهو أشبه بالمدرسة الاولى دون التقيد بصنف او بمستويات معينة إلا انه كان يضم الصبيان لتعلم هذه المبادئ .

اما الجامع والحلقات والمدرسة فكانت كلها تسير في تنظيمها وفقاً لرأي الاستاذ الذي يقوم بالتدريس . أي تعطى حرية تامة للمدرس لتنظيم الدراسة من حيث المدة والمادة كما يرى بالنسبة للفرع الذي يدرسه والمدة التي يتطلبها

من الطالب .

كذلك نجد ان مناهج التعليم ليست محددة بل هناك حرية قوية للاستاذ لاختيار مادة التدريس وكميتها ونوعها ونوع المصادر التي يعتمد عليها على أنه يمكن تقسيم المراحل التعليمية من حيث المنهج الى مرحلتين .
الاولى مرحلة تعليمية أولية يحوي المنهج فيها على تعليم القرآن وبعض مواد الدين الضرورية مع مبادئ الحساب والكتابة والقراءة .

ومرحلة عليا تتناول تدريسي المواضيع الدينيّة والدينية ولذلك فليس لها منهج خاص وليس هناك توزيع سنوي أو فصلي وإنما كل استاذ يسير مع الطالب وفقاً لمقدرة الطلاب وانسجامهم مع الاستاذ . وكثيراً ما نجد مدرسين مختلفين في المنهج اختلافاً كبيراً كذلك كثيراً ما نشاهد طالبين مختلفين مع بعضهما بالنسبة للمواد التي يدرسونها في حين أنهما في مستوى واحد .

وكثيراً ما كان يحدث ان الطلاب انفسهم هم الذين ينظمون مناهج الدراسة بالاتفاق مع أساتذهم والاستاذ إنما هو مرشد لهم في ذلك . حرية الطالب كانت غير محدودة لا من جهة الوقت فقط ولكن أيضاً من ناحية المصادر العلمية واختيار الاستاذ الذي يدرس عنده والدرس الذي يدرسه وأحياناً حتى الكتاب نفسه .

طريقة التدريس

لا ينكر ان المدارس الاسلامية قد سارت في تدريسها على الطريق المألوف آنذاك والتي تنسجم وطبع الشعوب الاسلامية ، فكانت هذه الطرق تختلف من كتاب الى آخر ومن مدرس الى مدرس آخر ، وإنما كانت في أغلبيتها تسير على أصول التدريس الفردي في المراحل العليا مع المناقشة المشتركة في بعض المواد والمواضيع .

أما في المرحلة الابتدائية أو الأولية فقد كانت طرق التدريس تنحصر نحو تعليم الصغار مشتركين مع بعضهم بالنسبة لكثيرتهم من جهة وبالنسبة لنوع المواد

المتشابهة لهم جميعاً . حيث كانت المواد الدراسية عامة إذ هي مواد أولية .
وقد كثرت طريقة التسميع والحفظ ، نظراً لما اعتاد عليه الطالب قبلاً من
تقوية الحافظة التي تعوض عن الكتب لعدم انتشار القراءة والكتابة . لذلك
فقد كان العرب يفاخرون بكثرة الحفظ وسرعته فيقال فلان يحفظ كذا من
الشعر وكذا من الامثال .

كذلك بدأ الاسلام في أن يشجع حفظ القرآن لضرورة ذلك للسبب نفسه
لذلك اصبح المسلمون يفاخرون بكثرة الايات التي يحفظونها والاحاديث التي
يروونها . كل هذا جعل طريقة الحفظ شائعة منتشرة محبة غير مستهجنة . وقد
يكون الاسلام عاملاً هاماً في التأكيـد على العلوم المنقولة دون الحاجة الى الاعتماد
على التفكير والمناقشة ، حيث كان الهدف الاول فهم القرآن والحديث ورواية
ذلك بالنسبة لما حصل آنذاك .

وكذلك نجد في التعلم الاسلامي ضعفاً بارزاً من جهة الامتحانات الدراسية
نظراً لحرية التعليم وضعف التنظيم لذلك فقد امتازت الدراسة باهمال كبير
للامتحانات فليس هناك في المدارس امتحانات تذكر . لذا فلم تظهر قيمة
للشهادات الرسمية او المدرسية انما كانت القيمة تظهر بالانتاج الذاتي سواء كان
ذلك عن طريق الترجمة أو التأليف اذ كان يشتهر العالم بمقـدار ما يؤلفه
وما يترجمه .

كذلك امتازت المدارس الاسلامية بفقدان العقاب البدني او العقاب الادبي
فقد ندر ضرب الطلاب وقل جداً التأنيب وكل ذلك مرتبط بحرية التعليم وان الفرد
يأتي ليتعلم مختاراً . كذلك نتيجة لفقدان المراحل الدراسية التي تحدد مدة
الطالب وتطالبه بالعمل المنتظم ليجتاز المرحلة .

كل هذا جعل الاستاذ يتمتع بحرمة من قبل طلبة لاسيما كثير من الاساتذة
لا يأخذ أجراً على ما يقوم به من جهد تجاه تعليم الطلاب .
هذه الطرق جعلت بعض المدارس الاسلامية في حالة جمود إلا في بعض

الموضوعات التي بحوث بحرية بالنسبة للعقائد آ نذاك .

ويلاحظ في التربية الاسلامية المدرسية انها كانت تهمل النواحي الجسمية رغم تأكيد الاسلام نظرياً عليها ، إذ كما ابتعد المسلمون عن طور البداوة أهملوا هذه النواحي كالغروسية والسباحة وما يشابه ذلك من ضروب الالعب والنشاط الجسمي وإنما ظهرت المدارس اشبه بالمدارس اليونانية الأولى محلاً للدرس والتعليم دون أن تحاط بملاعب أو مسابقات خاصة أو صفات معينة .

وطغيان الطرق الفردية في التعليم أفقدت المدرسة روح الجماعة وجعلت الطلاب كل يسير نحو وجهته وفقاً لغايلياته لذلك لم تظهر في المدرسة الاسلامية قوة جماعة أو تنظيم خاص بذلك .

وأخيراً فإننا نجد للمدارس الاسلامية آ نذاك طابعها الخاص في التكوين والمناهج وطرق التربية والتدريس ، وهذا الطابع كان ملائماً لكثير من الطبائع السائدة ومنسجماً مع الاتجاه الديني المنتشر والذي كان هو الهدف الاول من التعليم ، وقد أصبح عاملاً هاماً في نشر العلم آ نذاك وأفاد الشعوب الغربية عندما اقتبسته في الحروب الصليبية وحوارته قليلاً وفقاً لوضعيتها فأعطاهما أحسن الثمار ولهذا المدارس قوتها كما فيها ضعفها وليس من الصعب إزالة الشيء الكثير من هذا الضعف لتصبح ملائمة للاتجاه الجديد لاسيما وان الدين والتقاليد لا تنفد المدرسة في انتهاج الطرق التي تربدها ولا في تحديد المنهج الدراسي واتمددأت بعض المدارس التي كتب لها العيش حتى العصر الحاضر ان تكييف برامجها وأنظمتها وفقاً للاتجاهات الجديدة واعطت ثمرة أحسن ما كانت تعطى قبلاً .

المدرسة

لقد كان المسلمون الاول كثيري الميل الى التعلم بواسطة المدرس ، حيث انهم شعروا بان التعلم من الكتاب وحده لا يكفي ولا يمكن أن يعطى الفكرة بصورة صحيحة ، كما لو تلقاها المرء عن معلم .

كذلك كانوا يمتدّدون ان التعلم وسيلة من وسائل التربية والتهديب وان

المعلم هو العنصر الاساسي الاول في عملية التربية . ومهما حاول الكثيرون أن تعطى الاهمية الاولى من عملية التربية للبيت ، فإن المدرس يبقى رغم كل ذلك العامل الاول في حقل التربية وتوجيهها ، ولقد كثرت اقوال الاولين في قيمة البيت وأهمية العائلة ، كمنو لهم الطفل صورته عائلته الخ . كذلك كثرت ال جانب ذلك أقوال أثر المعلم وقيمه في اخلاق الطلاب وتوجيههم وارشادهم نحو الخير والصالح .

ومن ذلك يظهر اثر اتجاه العرب في التربية الاسلامية حيث أن العرب كانوا منذ القديم يعيرون الخصائص الموروثة أهمية كبرى وينزلون الوراثة منزلة عالية ولذلك كانت عنايتهم بالامهات كبيرة ويعتبرون أثر البيت والام بصورة خاصة لا يعادله أثر في التربية .

ولهذا فقد آمنوا بان الفضائل لا يمكن أن تكتسب في المدارس بل يجب ممارستها مع الطفل من يوم يعي الكلام . ومع ذلك فلم يهملوا شأن المدرس وأثره الواضح في تربية الفضائل واصلاح اخلاق الاطفال .

لذلك تجد أن المسلمين كانوا ينتظرون من المعلم والمدرس أن يقوم بوظيفتين اساسيتين اولاهما : عملية التعليم وثانيهما - تأديب الطلاب ونقويم اخلاقهم .

لهذا فقد سار المعلم العربي الاول حراً في الناحيتين ، ففي الاولى كان محور الدراسة القرآن والاحكام الدينية ، وفي الثانية كانت تصرفات المدرس و اخلاقه الخاصة هي الوسيلة الاولى ، كما يستدل على ذلك من الاقوال الكثيرة والنصائح العديدة التي سجلها العلماء الاقدمون . ولقد أكدوا كثيراً على أن المعلم يجب أن يكون هو نفسه حسن الخلق والسيرة عف اللسان ، نقي السريرة يصلح لأن يكون موضع الاجلال والاحترام .

وطلبوا منه أن يكون مشغولاً بالطلاب لا سيما الصغار يشعر بانهم والد لهم ويعاملهم كما يعامل بنيه - هذا بالاضافة الى ما يتحلى به من ثقافة ذهن وحدة فهم وسعة البال ومقدرة علمية وتفكير صحيح .

وكل هـ — هذه الصفات كانت تتوفر في أكثر المعلمين بصورة عامة ولكنها تتفاوت قوة وضعفاً من شخص لآخر ومن فترة زمنية لأخرى .

ولما كان التعليم آنذاك حراً ، يستطيع أن يمارسه كل من يأنس في نفسه المقدرة وكذلك يتعلم كل من يجد في نفسه الكفاءة في التعلم لذلك فقد كانت الصفات تظهر بصورة طبيعية .

على أنه رغم احترام المعلم إلا أن المعلمين قد تباينوا في نواحي عديدة أهمها المستوى الاجتماعي والأجر ففي المستوى الاجتماعي كان المدرسون يقسمون إلى طائفتين أحياناً إلى ثلاث . طائفة كانت تستمتع باحترام الناس وثقتهم وتقديرهم وهم درسوا الأحكام الدينية ومؤدبو أبناء الخاصة والأمراء والعلماء الآخرون في المساجد .

وطائفة كانت ضعيفة الاحترام وهي طبقة معلمى الصبيان الصغار ، حتى لقد كثرت الأقوال في التهكم بهم والخط من قدرهم ومقامهم . وربما تكون الأسباب لذلك هو ضعف الثقافة والاجوء إلى ذلك في بعض الأحيان هرباً من الجهاد المقدس المحترم أو أن الكثيرين من الماء كانوا يزاولون هذه المهنة .

وأما من حيث الأجر فإن المسلمين قد بدأوا التعلم بانيء الأمر بدون أجر ولا مقابل ، فكان المعلمون الأولون يقومون بتعليم القرآن في المساجد دون أن يتناولوا على ذلك أجراً ولكن الأمر قد تطور في الدولة العباسية ، حيث أن ذلك لم يستمر لجميع الناس . ولا ننكر أن الكثيرين من العلماء حتى في العصور المتأخرة كانوا يقومون بالرحلات ويصرفون الأموال ثم يقومون بالتدريس دون أن يتناولوا شيئاً ، حيث كان من يشتغل بالعلم يعتبر من أرباب المهمة العالية والنفس الزكية والذين يقصدون العلم لشرف العلم ولا كمال .

على أن الأجر بدأ في التعليم مبكراً وكان يعطى لمعلم الصبيان بعض الأجر من قبل الطلاب أنفسهم ولكن أجر قليل جداً فمعلم الكتاتيب كانت أجورهم

لا تكفي لعيشتهم حتى لقد قدرت بما لا يزيد على العشرة دنانير في السنة أيام العباسين . وفي زمن رخاء الدولة وفيضها المالي .

اما المؤدبون وبعض المدرسين في المدارس الحكومية فقد نظمت مرتبات لهم وهي مرتبات عالية تدفع اما من خزينة الدولة او من موارد الاوقاف . وكلها كانت سخية تساعد على العيشة المرفهة والحياة الرضية .

على انه رغم كل ذلك بقي المدرسون والمعلمون المسلمون في حالة حرة من حيث استلام الأجر ، حيث بق عدد كبير من المعلمين رغم اجراء مرتبات لبعضهم ، يرفضون تناول أجر عن عملهم ويقتدون بالرسول عليه السلام في هذا الامر .

واخيراً مهما كثرت اخبار المعلمين وأوصافهم ومآثرهم فقد بق أمرهم غير منظم تنظيماً عاماً وانما أستمر حتى آخر الامر يسير هراً بدون شروط حكومية قوية ولا رقابة شديدة . أي بق الامر في مجموعه أقرب الى الاتجاه اليوناني منه الى التنظيم الروماني وقد عمل على ايجاد ثروة علمية شهد العالم كله للمعلم فيها بقوة الانتاج والمقدرة على التفكير والبحث العلمي الصحيح .

التربية والعلوم الغربى

عند ما شاهد الغرب في القرن السادس عشر ولادة البحث العلمي وانتشار فكرة الهومانزم اى الحركة الانسانية اتجه الغربيون في تفكيرهم الى النظر الى ان الحياة هي غاية في نفسها وان الانسان انما هو مركزها وهو المقياس لكل شيء فيها وبذلك يكون الغرب قد ودع الفترة الدينية التي سادت الحياة في القرون الوسطى في تلك الفترة التي تنحدر الى الابتعاد عن الدنيا والتوجه كلياً نحو الآخرة وان مقياس كل شيء انما هي ارادة الاله .

والحركة العلمية بدأت تنتشر في الغرب وسارت العلوم في ابحائها على اسلوب جديد هو الابتعاد عن الاسلوب القديم التي يستند على الحفظ وانما ينحدر نحو الطريقه التجريبية .

ولقد سارت الحركة العلمية حتى القرن الثامن عشر دون ان تحدث الاستقلال في المواضيع وترتبط بدقة الاختصاصات لذا كان اكثر العلماء آنذاك يهتمون بعلوم كثيرة في وقت واحد اذ لم يحدث الانفصال في العلوم قبلا كما نشاهده اليوم .

لذلك لا نستغرب ان رأينا في الشرق والغرب علماء كثيرين يبحثون في امور علمية كثيرة ومتنوعة ويجمعون بين الفلسفة والعلم . حيث ان الحركة العلمية اسست على جهود علماء كانوا يدعون فلاسفة وادباء في نفس الوقت حيث كانت قبلا الرابطة قوية بين العلوم والفلسفة ولذلك استطاع العلماء الجمع بين الفلسفة والعلم كما ان كثيرين من الكتاب آنذاك كان تفكيرهم فلسفياً ولهم نظريات معلومة في الفلسفة ايضاً .

وكما توسعت الحركات العلمية ، انفصلت العلوم بعضها عن بعض واستغل كل علم بموضوعه وتابع بحثه ونظرياته كذلك تركز الاختصاص وتوسع حتى لقد شمل اجزاء لعلم واحد .

وبقيت الفلسفة تسيطر على مجموعة كبيرة من العلوم الاجتماعية من ضمنها التربية

التربية والفلسفة

لقد كانت التربية حتى أوائل القرن العشرين خاضعة للفلسفة ، إذ أن انفصالها عنها جاء متأخراً بالنسبة لبقية العلوم وحتى بالنسبة للعلوم الاجتماعية الأخرى . فقد كانت التربية تعتبر فناً من الفنون وليس علماً خاصاً لأن التربية كانت قبلاً تقتصر في عملها على الناحية العملية . أما الآن فقد أصبحت التربية علماً مستقلاً بذاته بعد أن استطاعت أن تضع قواعدها وتكون نظرياتها وتظهر ملاحظاتها وتجاربها وأن تستعمل في عملها المقاييس نفسها التي تستخدم في كافة العلوم الأخرى .

لذلك فقد أصبح من حق التربية أن تكون لها نظرية حول قواعد هذا الفن لتكون أساساً للتربية العملية ، على أنه لا زالت هناك أمور غير محددة كما هو الأمر في العلوم الرياضية أو الطبيعية فطريقة التربية العملية لم تصل في نتائجها إلى الصيغة الرياضية كما أن موضع التربية بالنسبة للعلوم العقلية والتاريخية غير محدود أيضاً وإن العلاقة بين نظرية التربية وكيفية التطبيق ما زال فيها شيء من التعميم أيضاً . وهذا أمر طبيعي حيث أن التربية لم تفكر في انفصالها عن الفلسفة إلا منذ أمد قصير لا يسمح لها بإعطاء نتائج حاسمة ولذلك ما زلنا نشاهد حتى اليوم أن التربية تستمد كثيراً من قواعدها وفرضياتها من الفلسفة نفسها . وهذا يفسر لنا كون أن جميع علماء التربية القدامى كانوا فلاسفة وفلاسفة اليونان الأول هم الذين وضعوا قواعد التربية وفلاسفة الألمان هم الذين قرروا أهداف التربية الألمانية وفلاسفة الإنكليز هم الذين بينوا طرق التربية في إنكلترا وحتى في عصرنا هذا ما زلنا نجد أن علماء التربية هم في الأصل فلاسفة وأكثر العاملين في بحث نظريات التربية ما زالوا يعيرون الفلسفة العناية الأولى .

لذلك فرغم انفصال التربية عن الفلسفة بقيت التربية محافظة على علاقتها القوية بالفلسفة وهذه العلاقة القوية هي التي أحدثت بعض الارتباك في وضع

التربية واخترت استقلالها كعلم مع انه اصبح اليوم ان لا علاقة داخلية قوية بين التربية والفلسفة . على ان الفلسفة والتربية ما زالتا في بحث مستمر لتثبيت العلاقة بينهما ولا استثمار النظريات والآراء الفلسفية في حقل التربية العملية .

وعندما سارت اكثر العلوم على اسلوب البحث بالتجربة طلب ايضاً من العلوم الاجتماعية ان تسير نظريتها بالتجربة ايضاً ولذلك سادت في القرنين السادس عشر والسابع عشر طريقة البحث العلمي وهي طريقة البحث في العلوم الطبيعية التي تعتمد على الملاحظة فالوصف فالقياس فالتجربة فالقوانين . لذلك بدأت التربية تطبق ايضاً المقاييس الطبيعية نفسها بأن تدرس المشكلات التربوية على النمط نفسه الذي تدرسه العلوم الطبيعية وتحللها على القوانين نفسها ، وبدأ المعلمون يقومون بالتجارب الضرورية لهم . لذلك بدأت بذلك فكرة جديدة وهي تثبيت نظام التعليم حيث يتلاءم وطريقة البحث العلمي هذه التي عمت جميع العلوم وعلى هذا فقد بنت التربية نظريتها على التجربة أيضاً واستعانت أيضاً ببعض العلوم الاخرى التي تم بحثها وفي مقدمة هذه العلوم علم النفس وعلم الحياة وعلم الاجتماع ، إذ أصبحت هذه العلوم مستقلة قبل التربية واعترف بها من الوجهة العلمية بأنها علوم منفصلة عن غيرها وأصبحت علاقتها واضحة كملاقة ببقية العلوم الاخرى ، لذلك اعتبرت هذه العلوم الثلاث علوماً مساعدة للتربية .

على ان التربية رأت لزماً عليها ان لا تكتفي بدراسات هذه العلوم او تقتصر على نتائج أبحاثها بل تقوم هي نفسها بتجاربها الخاصة وما هذه النتائج إلا مساعدة فقط فلا يكتفي المربي بأن يعتبر نتائج علم النفس مثلاً عن الطفل والشاب حقائق مطلقة بل ان يقوم هو نفسه بالتجارب التي يراها ضرورية لعمله التربوي لأن المربي يستخدم النتائج النفسية ليطبقها على الطلاب (الاطفال والشباب) مراعيًا بذلك الفروق الفردية في التطورات النفسية ، كما انه ملزم بأن يربط هذه النتائج باصول التربية والتدريس لان قواعد التدريس لا تعتمد على علم النفس ونتائج أبحاثه حول التطور النفسي وعوامله فقط وانما تستمد ايضاً من المعرفة والقواعد

العلمية الاخرى ولذلك فالتربية انما تستعين بعلم النفس ولا يمكنها لا تخضع له كما لا تخضع ايضا كلياً لتطور القابليات الطبيعية ووظائف النفس والجسم للفرد الانساني بل تراعي ايضا التربية العقلية والروحية التي تسمو فوق الجسم وتعلو على الطبيعة وان كانت الطبيعة المنبع المهم للتربية العلمية ومنه تستقي اهم حقائقها . ومثل ذلك تفعل التربية ببقية العلوم فهي لا تكتفي بأخذ جميع نتائج ابحاث علوم الحياة وتطبيقها كما هي وانما تأخذ نتائج علم الحياة المهمة فتستخدمها لغاياتها الخاصة وفي طرقها التي تسير عليها ومن واجبها بالاضافة الى الاستعانة بعلم الحياة ان تقوم هي نفسها بدراسة عوامل التطور ومفعول الوراثة في الطلاب الخاضعين لها وان تقارن نتائج بحثها بما هو معلوم في علم الحياة وربما تساعد هي نفسها بتجاربها وابحاثها علم الحياة بما تقدم له من حقائق علمية ونتائج هامة للتجارب التي تجربها .

وعلى النمط نفسه تسير التربية في علاقتها مع علم الاجتماع الذي يعين القواعد التي تقرر الحوادث التاريخية كما يظهر العلاقة بين الافراد وهيئتها الاجتماعية لاسيما من الوجهة الاقتصادية والسياسية والدينية .

فعلم التربية اذن لا يمكن ان يصبح حقلاً تطبيقياً لهذه العلوم الثلاثة بل هو علم مستقل له بحثه الخاص ونظامه الواضح ولكنه مع ذلك يرتبط بنتائج هذه العلوم الثلاثة على اننا لا ننكر انه رغم اهتمام التربية بالتجربة وارتباطها بهذه العلوم والاعتماد على نتائج ابحاثها وتجاربها لا يمكنها ان تعتبر النتائج لهذه التجارب هي الهدف الوحيد لها بل تعدى ذلك فانه هناك مثلاً علياً تنظر اليها التربية وتترف بها وهي مستمدة من الفلسفة أيضاً ولذلك فالعلاقة بين التربية العامة والمنظرة الفلسفية ما زالت قوية حتي لقد طاب لبعض العلماء والفلاسفة ومنهم (نشته) المربي الالماني أن لا يؤخذ بعين الاعتبار دوماً هذا العالم الحالي الذي نعيش فيه .

وانما يجب أن يكون هدف الانسان العالم المستقل والدائم، العالم الذي يسمو على الحواس لانه هو الثابت وعالم الحواس يزول ويتغير . فعالم الحواس انما هو

صورة للعالم الآخر (العقل) ومنه يستمد قيمته ومقامه لذلك فالترية تبدأ مع الطفل بتوجيهه نحو هذه الباحية الفلسفية وتستمر في تأثيرها على تفكيره وروحه حتى تقربه من العالم الثانى . وعلى هذا فيعتبر الترية انما هي فلسفة عملية وهدفها لا يكون الذاتية (Subject) وانما هو الموضوعية (Objective) على ان يؤخذ بعين الاعتبار طبيعة الفرد وقابلياته بالنسبة لهذا الهدف السامى .

وبهذا تخطو الترية في الاصلاح وتتقدم البشرية في تطورها . وتبنى قواعد الترية على طريقة المعرفة وتتعاون مع الفلسفة في تنظيم الهيئة الاجتماعية مستعينة بطرق التعليم المختلفة .

وبما ان حقل الترية يحوي العناصر الحية (الاطفال الشباب) لذلك عليها ان تجعل طرقها منسجمة مع خصائص هذه العناصر وطريقة نموها العقلي حتى تصبح مقبولة لدى الصغار والشباب ولهذا السبب فقد نشأ النزاع بين المربين والفلاسفة حول مقدار التأثير الفلسفي بالنسبة لنفسية الصغار والشباب . اذ ماذا يكون موقف الترية اذا تعارضت خصائص الطلاب مع فكرة الفلسفة . فاذا اهملت الترية خصائص الطلاب وقابلياتهم بقيت في مكانها دون ان تخطو خطوة واحدة في سبيل التقدم .

فالترية هي عبارة عن حياة وتطورات تاريخية لذلك فهي لا تقف بل تتقدم وتتحسن وتسير مع الزمن فما يلائم طفل اليوم لا يلائم طفل الغد ويختلف عما وافق طفل أمس . وذلك نتيجة للتطور البشري واختلاف الاجيال بالنسبة لاختلاف اساليب الحياة ونظم المجتمعات .

ولهذا فان قواعد الترية العلمية لا يمكن ان تكون ثابتة بل يجب ان تفحص من وقت لآخر لدى المربين انفسهم لاصلاحها وجعلها ملائمة للحالة الخاصة وفحص طرق الترية العلمية من خصائص وواجبات المعلم المهمة ولا يستطيع المعلم ان يقوم بهذا العمل الا اذا بقي شابا في روحه ومفتوحاً في عقله . وبذلك يبتعد عن محافظته على تطبيق قواعده التي اعتاد عليها ايام صباه على الجيل الذي

يخضع لتأثيره حالياً ولذلك يعترف (فيدشته) نفسه بأن الفلسفة لا يمكنها أن تهمل الخصائص الطبيعية للإنسان وأثرها في الحياة لاسيما وأن واجب التربية إثارة الفعالية الفعلية والرغبة الطبيعية للوصول إلى الهدف الفلسفي وهو السمو الروحي كما إن الحواس وتربيتها ضرورية لهذا الهدف ولا يستغنى عنها في إيجاد المثل العليا في الإنسان .

وقد يكون (هربرت) العالم الألماني هو أول من وضع الحجر الأساسي لاستقلال التربية العلمية لأنه هو الذي بدأ في بحث مركز التربية واستعانتها بعلم النفس بالإضافة إلى الفلسفة وقد أعطاها الحق المطلق في التفكير المستقل ثم نالت التربية بعد ذلك حرية البحث والاستقلال وخرجت من خضوعها لرجال الدين والفلسفة وأصبحت حرة في استنباط قوانينها بنفسها ووفقاً لرغبتها لذلك فقد أوجدت تشريعاً خاصاً للشباب وفقاً لقواعد التربية وأبطلت القانون الجزائي على الأحداث فأثرت بذلك حتى على الناحية التشريعية العامة للأحداث على أن هربرت يعترف بأن جون لوك الأنكليزي وروسو الأفرنسي خدما التربية خدمة لا تنسك لاسيما من وجهة شخصية الطفل ورغباته وقابلياتها وقوله « لولا تأثير لوك وروسو على الشخصية الفردية للطفل لما تقدم جوهر التربية كما نراه اليوم فبينما كانت التربية في خدمة مؤسسة خارجية كالدولة أو الكنيسة أو المهنة ، أخذت الآن لأول مرة تتبدل في اتجاهها وأصبحت في خدمة الطالب وحياته » لدليل على مساهمة هاذين العالمين من الاتجاه الجديد وعلى هذا الأساس فقد وضع (هربرت) طريقة التعاليم وبنائها على نتائج أبحاثه في علم النفس لاسيما القابليات الموروثة والانفعالات المؤثرة في الطفل فأخذت التربية بعد هربرت تنحصر الناحية التجريبية في ناحية معرفة وتوجيه عقلية الطفل وانفعالاته النفسية وتغير طرقها بالنسبة لنتائج تجاربها وعلى ذلك فقد تقررت طرق التعليم ومواد الدراسة بالنسبة لمراحل تطور الطفل وخصائص الطفل المعين كما انسجبت الكتب المدرسية بالنسبة لرغبة الطفل واستعداده أيضاً وأصبح المربوز لا يقرون نظاماً في التربية إلا بعد أن يفحصوا

تتأججه بالنسبة لنفسية الطفل فما انسجم معها طبق في الحقل العملي وما استبعد عنها فكرت فيه التربية ثانية واجرت عليه تجاربها المختلفة للتأكد من ذلك قبل تركه .

على انه وان طغت القواعد العامة في علم النفس على التربية بقي تأثير العلوم الإنسانية والعقلية قوياً في التربية لان مقاييس العلوم الثقافية تختلف نوعاً ما عن مقاييس العوامل النفسية فلا يقتصر لذلك هدف التربية في الحياة على تقوية القابليات الفردية بل يشمل الاعتناء بناحية الانسجام مع الآخرين ليصبح الفرد عضواً مفكراً مفيداً في الهيئة الاجتماعية وصارت التربية تعمل بين قطبين — الفرد والهيئة الاجتماعية — واخذ النقاش يزداد قوة من حيث العلاقة بين هذين القطبين وتفضيل احدهما على الآخر وتناول هذا النقاش علوماً مختلفة وكثيرة وبما أن اول خلايا الاجتماعية التي تبدأ فيها التربية هي العائلة التي فيها يطغى الهدف الفردي لذلك اقيم الى جانبها هيئة اخرى للهدف الاجتماعي كالبلدة او الكنيسة او الدولة فهذه تنحو نحو توجيه الفرد الى الهدف الاجتماعي والحد من الهدف الفردي الذي يطغى بقوة في العائلة على انه لا تنكر رغم طغيان الهدف الفردي في العائلة وتفوقه في القوة على الهدف الاجتماعي نرى ان الهدفين يظهران جنباً الى جنب في العائلة نفسها بمناسبة شتى وفي امور كثيرة فالام مثلاً تلاحظ الناحية الفردية في الطفل وتسعى اليها بينما يحاول الاب ان يجعل الطفل منسجماً مع الهيئة الاجتماعية الكبرى ايضاً لذلك فهو يحاول ان يجعله يحافظ على تقاليد العشيرة او المحيط الاجتماعي الخارجي وان ينسجم مع الهيئة الاجتماعية ولذلك يساعد الوالد الاولاد على القيام بوظائفهم الاجتماعية والسير وفقاً للعادات والانظمة المتبعة وهو يكون في اكثر الاحيان حريصاً على تحقيق هذا البطل الاجتماعي في اولاده وبناته .

والنزاع الشديد إنما هو حول هدف التربية فهدف التربية القديمة مستمد من الفلاسفة ، لان التربية كانت قديماً كما يعبر عنها بعض الفلاسفة بأنها هي الجانب

الفعال (الديناميكي) للفلسفة . أو هي الوسيلة العملية لتحقيق المثل العليا . وهذه المثل إنما كانت تستمد من الفلسفة ولذلك يقول أرسطو « أننا لا ندري هل نربي الشباب للخير المطلق أم ندرّبهم على ما ينفعهم في الحياة » . لذلك فمهمة التربية هي الوسيلة للدخول الى المثل الأعلى الذي تضعه الفلسفة . ولذلك شاهدنا في تأريخ التربية ان الحركات التربوية المتعددة لم تكن إلا وليدة للمذاهب الفلسفية . ثم حول الهدف الى علم الاخلاق على أن يضاف الى ذلك ما يحقق الحد الأدنى للفائدة العملية . وان يكون السير في العمل التربوي وفقاً لقابلية الانسان في التعليم لأن اشباع هذه القابلية إنما هو جزء من السعادة للانسان وإذا ما أردنا أن نبحث في هل نأخذ بعين الاعتبار الاول سعادة المرء الحالية أو سعادته في المستقبل تنشأ عند ذلك مشكلة حول حق تقرير هذه السعادة ومن الذي له الحق أن يقررها . لأن المرء لا يكتفي بأن يكتشف ما هو كامن في الانسان من قابليات وامكانيات وإنما يرى من واجبه أن يزود الطالب بالوعي الثقافي المستمد من التاريخ للتوصل الى تثقيف الفرد نفسه بنفسه واستثمار قابلياته المختلفة ولذلك يقول المرء دلّتي « من معرفة ما هو موجود تنشأ القواعد حول ما يجب أن يكون » ولذلك فالمرء مسؤول عن اعطاء قدر معين من الثقافة لغاية الحضارة العامة ولا استمرار التقدم الحضاري . لذلك فالفلسفة تعين المرء على تقرير الاتجاهات وحتى علماء علم الحياة لا ينكرون ذلك فبعضهم يرى أن الناس يعيشون وفقاً لفلسفتهم في الحياة ومقدار فهمهم للعالم . لذلك فهناك بعض الاشياء التي يجب أن يكتسبها الطالب من الخارج كمدلول الشرف ونوع العقيدة التي يعتنقها وكل هذه مكتسبة من التطور التاريخي ونظام الهيئة الاجتماعية لذلك فتقرير الهدف للتربية بالنسبة للخصائص الشخصية للطفل إنما هو من مشكلات الفلسفة التي تسعى لحلها . إذ ما هو الداعي لأن يعتبر هذا الهدف الفردي هو الاول بالنسبة للتربية من أن لا يكون هدف الهيئة الاجتماعية هو المقدم عليه لأن صفات الهيئة الاجتماعية وخصائصها بالنسبة للفلسفة أهم من

خصائص الفرد . وان الافراد يختلفون كثيراً فالعقل المفكر يختلف في وظائفه
 ومكانته عن الشخص الطبيعي وللأول حاجات في الحياة عالية أكثر من
 حاجاته الضرورية لبقاء الحياة فهو لا يكتفى بوظائفه الحيوانية - كالسير وفقاً
 لغرائزه الطبيعية بل يقوم بأعمال اجتماعية عليا كذلك نجد بوضوح أيضاً
 أن الفرد لا يستطيع أن يقدر القيمة المطلقة للأشياء فالقيم تختلف بالنسبة
 للأشخاص وحاجاتهم ومستواهم الثقافي فتلعب في تقدير القيمة أشياء كثيرة منها
 العادة والطبع والذوق والمستوى الاقتصادي والتقدير العلمي . لذلك فالجماعة التي
 هي الأساس في نظر الفلسفة تستطيع أن تقدر قيم الأشياء كافة أكثر من الفرد
 نفسه على أن الرجل المفكر يستطيع أن يعطي الأشياء حقها أكثر من غيره
 لذلك فالفلسفة تضع الأهمية الأولى لا على الفرد في كونه فرداً بل على مقدار
 قوة تفكيره لمعرفة هذه القيم يضاف الى ذلك أن الحياة الاجتماعية هي منشأ
 المعرفة التي تعتمد عليها الفلسفة لذلك فالعلوم الفكرية تبحت في الفرد وفي
 المجموع وتتعدى ذلك الى علاقاته التاريخية المختلفة رغم كل ذلك فإن الفيلسوف
 يرى مع ذلك ان هناك عالماً حقيقياً يعجز عن معرفته المباشرة وهو عالم الشعور
 والضمير والواجب والقيم الاخلاقية . وعندما توسع علم الحياة في أبحاثه
 وتجاربه جابه الفلسفة بتأكيد على الفرد لانه العلم الذي ينتج بالقيمة الفردية
 أكثر من الفلسفة نفسها وان كان لا يهمل الواحي الاجتماعية أيضاً . فلم الحياة
 يعترف أن الطبيعة تسعى لبقاء الفرد كما تسعى لبقاء النوع أيضاً . لذلك حاول
 بعض العلماء اتخاذ ميول علم الحياة أساساً لاقتباس الاهداف التربوية بدلا من
 الآراء والنظريات الفلسفية . وقد أكد على ذلك (سبنسر) فطالب بأن نقتبس
 هدف التربية من هذا العلم لا من الاخلاق ولا من العنايد الدينية لأن المحافظة
 على الكمال تجري حسب رغبة الطبيعة وخصائصها كما أن كمال النوع هو جزء
 من ذلك لذلك فالتربية يجب أن تربي الطفل على الانتاج ونمو النوع وكماله
 ليقوم الفرد بواجباته الاجتماعية بسرور حيث ان التكيف هو من خصائص

الاحياء وبصورة خاصة الانسان فهو أقدر الحيوانات على التكيف . على أن نمو الحضارة والثقافة جزء من هدف التربية اليوم لذلك لقد بدأ علم الانسان (الانثروبولوجي) يبحث عن الاجناس والحضارات الاولى وعن البيئة والوراثة ولذلك فقد كانت لهذا العلم صلة وثقى بالفلسفة التطورية وسجل نتائج ذات قيمة علمية لنا من جهة وذات فائدة كبرى لحياة الانسان من جهة أخرى لا سيما في نظريته تحسين النسل وفي الاديان والمعتقدات المختلفة للمجتمعات البشرية . فالتربية اذن لا تهمل هذه النتائج في تقرير خططها وهدفها لتأخذ منها ما هو منسجم مع نتائج العلوم الاخرى ويساعد الطالب على تحقيق الغاية الحضارية ورفع مستوى الثقافة وقد ترجع ثانية للفلسفة التي هي الاساس لكثير من العلوم الخلقية والمدنية والثقافية لذلك فالتربية لا بد لها من أن تكون دلائقاً متينة معها . وقد سارت على ذلك فترة وما زالت التربية محافظة على صلتها بالفلسفة لكنها رفضت الخضوع لها وأخذت تطبق الامور والابحاث الطبيعية على الانسان وتستمد طريقة تفكيرها من العلوم الطبيعية أيضاً لذلك ازداد التباعد بين الفلسفة والتربية على أنه لا يمكن أن تنكر حتى الآن العلاقة الكبرى بين التربية والفلسفة ولا يستطيع أي مربى نكران ذلك لأن التربية انما هي وظيفة اجتماعية بحيث تخدم بقاء الهيئة الاجتماعية وتجدها وكل ما هو اجتماعي حقيقى هو ذو أثر تربوي أيضاً .

أما اليوم فقد استقر الكفاح العامي ونالت التربية استقلالها وأصبحت حرة في وضع قواعدها كما استثمرت بقية العلوم لغاياتها وأنظمتها فهي وحدها التي تعين أهدافها وتقرر وسائلها وطرقها ولم تعد كما كانت قبلاً حقلًا لتجريب الفلاسفة أو الاخلاق ، حتى لقد قال المربي الفيلسوف جون ديوي: ان التربية لا تكون تابعة للفلسفة بل الفلسفة ان كانت عملية ومعقولة تصبح نظرية تربوية . الخ .

التربية وعلم النفس

يعتبر علم النفس أهم العلوم التي أثرت على سير التربية وطرق التعليم منذ القرن التاسع عشر حتى اليوم ، وذلك منذ بدأت الحركة النفسية تشق طريقها الى حقل التربية ، لعلاقتها القوية بالحركة النفسية حيث أنه من أهم أغراض التربية محاولة إبراز شخصية الافراد وتوجيهها وجهه صحيحة بحيث تتفق مع الحياة المستقبلية ولذلك لا بد من ايجاد التوافق بين الفرد والمجتمع وان علم النفس بقي أيضاً . لذلك نجد الموضوعات التالية هي من الامور الهامة المشتركة بين العاملين :

١ — العناية باصلاح المبادئ ، الطبيعية في التربية وتمحيصها واستخدامها في التعليم ، وهذه المبادئ ترمى الى إثناء القوى الطبيعية في الانسان .

٢ — العناية بالظنل ودراسة غرائزه وميوله الطبيعية ونشأته العقلية .

٣ — السعي لاصلاح التربية باصلاح طرقها وتغيير المناهج وطريقة اعداد المعلمين . ان مثل هذا التعاون القوي بين علم النفس والتربية قد بدأ قديماً لكنه لم يخرج الى فلق الانتاج العلمي إلا بواسطة المربي (بستالوتزي) الذي تأثر كثيراً بأراء (روسو) التي نشرها في كتابه (اميل) والتي تظهر أن الظنل يولد وهو مزود بغرائز وصفات طبيعية كاملة . لذلك أعلن (بستالوتزي) أيضاً أن الظنل يولد وهو مزود بجميع القوى والمواهب العقلية كالقوى والمواهب لدى الرجال إلا أن هذه المواهب والصفات تكون غير نامية كما هي عند الرجال .

ولقد بدأ (بستالوتزي) يسير بطريقة التربوية العملية وفقاً لهذا الرأي الجديد وخالف ما كان يعتمد قديماً من أن الظنل يولد وهو خال من كل الصفات والخصائص أي شبيهاً بصحيفة بيضاء يمكن للمعلم أن يكتب عليها ما يشاء . كما أعلن ذلك المربي الانكليزي جون لوك لذلك كان يرى أن مفعول التربية في الانسان أقوى من مفعول الطبيعة فيه حتى أنه قال ان سمعه أعشار ممازاد جيداً أو رديئاً مفيداً أو غير مفيد إنما هو من مفعول التربية ، بينما يرى (روسو) و(بستالوتزي) ان هذا الامر مخالف للظواهر النفسية ولذلك فلم يؤمنوا به وإنما سارا

على أساس ان الطفل يولد مزوداً بكثير من الميول والمواهب ولهذا فقد ضعف أثر هذا الرأي نتيجة لهذه الحركة النفسية الجديدة .

وانتد تأثر العالمان الالمانيان (فرويل وهربرت) بآراء (بستالوتزي) وقدرسا كل واحد منهما في طريق خاص لتثبيت هذه الآراء والاستفادة منها في التربية والتعليم (فرويل) قد بنى طريقته في تعليم الاطفال (حدائق الاطفال) على اكتشاف قابليات الاطفال والسمعي لانماء هذه القابليات وقد رأى ان أحسن طريقة يمكن أن تكشف عن ذلك هي طريقة اللام بحربة لأنها تعطى للطفل فرصة للتعبير عن قابلياته ومواهبه .

أما (هربرت) فهو الذي تعمق أكثر في البحث في علم النفس وكيفية الاستفادة من نتائج ذلك في التربية إلا أن (هربرت) رغم أبحاثه المهمة في علم النفس لم يكن ميالا الى الاخذ برأي بستالوتزي القائل « ان الانسان يولد مزوداً بالقوى والمواهب العقلية » ومهمة المربي هو ايقاظ هذه القوى وإتمامها بل يرى أن الطفل يولد ولا عقل له كما أنه ليس له ميول طبيعية أو استعداد فطري وانه كان يعتمد ان العقل انما هو مجموع الافكار التي تصل الانسان عن طريق الحواس لذلك كان يعتقد هربرت أن للمربي أثراً عظيماً في تكوين عقول الاطفال وعلى المربي أو المعلم يعتمد في أهم شيء في المدرسة أكثر من الاعتماد على القابليات والمواهب الفطرية ولذا يجب ان يزود بتأهيلية خاصة وفن قوي لتكوين هذه العقول عند الاطفال وعلى هذا أوجد هربرت للمعلم الخطوات التدريسية التي تعتمد على نتائج أبحاثه في علم النفس والتي تساعد المعلم على ايصال المعلومات بوضوح وبسهولة الى الطلاب . حيث يستطيع الطفل بواسطة اكتسابه للمعارف أن يعمل على تكوين ونمو قواه العقلية . وقد خدم التعليم بذلك خدمة كبرى رغم مخالفته لآراء بستالوتزي في هذا الموضوع .

وعلى هذا فان علم النفس تعهد باجراء تجارب كثيرة واستخدم نتائج هذه التجارب في التربية لاسيما بعد أن استطاع علم النفس أن يكشف بتجاربه بعض

الحقائق عن نفسية الطفل والشاب : ولما استقلت التربية وأصبحت علماً قائماً بذاته وجهت عنايتها الى الاستفادة من علم النفس وتجاربه لاسيما بعد أن قطع هذا العلم مرحلة طويلة في اجراء التجارب المختلفة فاستخدمت التربية نتائج علم النفس في التأثير على نفسية الطفل والشاب ونشأت علاقة وثقى بين التربية وعلم النفس واصبحت التربية لا تستغني عن نتائج ابحاث علم النفس وتجاربه لقيمتها العامة في معرفة الطفل والشاب .

على ان التربية رغم اعترافها بقيمة هذه النتائج العامة لم علم النفس شعرت انها لا يمكنها أن تأخذ كل تلك النتائج كشيء مطلق بل بدأت هي نفسها تجري بعض هذه التجارب مستقلة عن علم النفس وذلك لسببين :

١ - لأن علم النفس يهتم بالصورة العامة للحوادث والتفاعلات النفسية بينما التربية تسمى لمعرفة نفسية الطلاب وكيفية التأثير عليهم وفقاً لغاياتها .

٢ - لأن الشخص الذي يطبق هذه التجارب بالنسبة لاسلوب علم النفس لا يلتفت الى الفروق الفردية بين الطلاب ولا الى التأثيرات الاخرى على نفوسهم قدر اهتمامه بالتجربة كتجربة .

فيظهر من ذلك ان اهتمام علم النفس موجّه نحو اتجاه عام بينما نجد التربية متجهة جهة خاصة بها لذا يصبح استخدام هذه التجارب دون مراعاة هذه العوامل غير كامل الفائدة .

ولهذا فقد نشأت التربية التجريبية وهذه التربية تستند في جذورها الاولى على علم الحياة وطريقة بحثه كذلك على أبحاث بقية العلوم الاخرى والطب والكيمياء والفيزياء وعلم النفس أيضاً وذلك بعد أن قطعت التربية مرحلة طويلة تستخدم وسائل علم النفس ونتائجها في فن التدريس . ولقد سجلت التربية التجريبية نتائج ذات قيمة فقد تحسنت طرق التدريس وأصبحت أكثر ملائمة للطلاب من ذي قبل . وقد بدأ أكثر العلماء في مختلف البلدان المتعدنة يجرون التجارب الكثيرة وينشئون المختبرات بجانب المدارس كما أن المعلمين

استمدوا منها وجهة جديدة وتبنوها حتى أصبحوا يعتقدون بأن التربية يجب أن تأخذ وجهتها في الإصلاح الجديد من نتائج هذه التجارب وان كان قد قام علماء آخرون يجارون بمبالغة قيمة التجارب في التربية خوفاً من أن هذه المبالغة ستجبر المعلم على الاعتماد على نتائج هذه التجارب كشيء مطلق لا يقبل الشك والتحميص فيدفع المعلمين الى اهمال البحث الذاتي والتعبير العميق حيث أن التربية توجب على المعلم مراعاة الفروق الفردية ونوع المحيط الاجتماعي ولهذا يفضل المعلم أن يسترشد بالتجارب لا أن يخضع لها . قالت تجارب هذه وان كانت قد نجحت في علوم أخرى كمعلم النفس والطببيات لا يمكن أن تحقق أهداف التربية كلها لأن الحياة نفسها هي المنبع الاساسي للتربية وبما أن الحياة متنوعة فلا بد أن تكون طرق التربية متشعبة ولا يمكن للتربية أن تنمو وتزدهر إلا بطرق متنوعة ووسائل مختلفة وذلك لاختلاف نواحي الحياة على أن ذلك لا يقلل من قيمة التجارب التربوية لاسيما لغن التعاليم وإنما تقصد التربية من وراء ذلك العمل على وضع حد واضح لدرجة استخدام هذه التجارب والنتائج .

وأول من طالب التربية بالقيام بالتجارب هذه بنفسها هو العالم الالماني (Wundt وند) فتمد رفض أن تؤخذ معلومات علم النفس كما هي لأنه وجد ان هناك اختلافاً كبيراً بين الافراد والشعوب يجب أن يؤخذ بعين الاعتبار لذلك فهو اول من حارل البحث في نفسية الشعوب المختلفة ليرى فيما إذا كانت الشعوب المختلفة تباين في نفسياتها كما يتباين الافراد أنفسهم ثم توسع البحث في نفسيات الأفراد وتقسيمهم الى مجموعات متنوعة ذات خصائص وصفات معينة كل مجموعة من الناس تحمل صفات متشابهة لذلك نجد هناك بعض العلماء الالمان الذين قسموا الانسان بالنسبة الى خلفه وقبلياته الى ستة أنواع :-

١ - الشخص النظري ٤ - الشخص الاجتماعي

٢ - الشخص الاقتصادي ٥ - شخص الزعامة - السلطة

٣ - الشخص الفني ٦ - الشخص الديني

وطالب هؤلاء العلماء من المربين أن يلمتغثوا الى هذه الفروق الكبيرة بين
نفسيات الاشخاص وقابلياتهم ولذلك فلا يسمح للتربية أن تأخذ مقاييس علم
النفس العامة وتطبقها على الجميع دون مراعاة هذه الفروق الاساسية بين الناس
ولذلك قد يضم الصف الواحد في المدرسة عدداً من هؤلاء الاشخاص حتى
وان كانوا متساوين في العمر متقاربين في درجة الذكاء يضاف الى ذلك ان
المعلم له تأثير روحي كبير على الطالب لأن العلاقة الروحية هي أقوى العلاقات
في التربية لذلك فمن واجب التربية أن تعرف مقدار تأثير المعلم على الطالب بينما
نرى علم النفس لا يعير هذه الناحية كبير اهتمام . على اننا لا ننكر أن الفضل
الاول لقيام التربية التجريبية انما يعود الى انتشار النهضة العلمية وتقدير الناس
في الغرب لقيمة التجربة .

التجربة

يجدر بنا بعد ان رأينا قيمة التجارب النفسية بالنسبة للتربية ومقدار الاثر
الذي أحدثته في توجيه أصول التدريس ، أن نذكر شيئاً عن التجربة ونوعها .
لقد بدأت التجارب تشق طريقها في العلوم الطبيعية في القرن السادس عشر
والسابع عشر ولذلك فهي من نتائج التفكير في العلوم الطبيعية فبعد ان تمت
التجارب وانتظمت اصبحت ضرورية للمعرفة العلمية وصار من وظائفها الاجابة
عن كثير من الاسئلة العلمية حتى يمكن تفسير الملاحظات الطبيعية واصبح للتجربة
هدف واحد وهو توسع معارف الانسان بتطعم النظر عن قيمة هذه المعارف في
الحياة العملية واصبحت هي التي تثبت القوانين العلمية العامة حيث يبدأ الامر
اولاً بالملاحظة فتدعمها التجربة واخيراً بعد اجراء التجربة يستنبط القانون العلمي .
وقد يكون الفضل الاول هنا لعلم الطب فهو أول العلوم التي بدأت باجراء التجارب
على الانسان مع العلم انه قد سبق ان طبعت تجارب كثيرة على الحيوان وذلك لان
مسؤولية اجراء التجارب الطبية على الانسان صعبة حيث ان قيمة الحياة البشرية

كبيرة ومحترمة ولذلك فلم يمكن سهلاً لم الطب ان يجري تجاربه المختلفة على الانسان كما تفعل العلوم الطبيعية في المواد الاولى او كما يجري هو نفسه تجاربه بحرية واسعة على الحيوانات المختلفة لان اكثر القوانين المدنية وكذلك العقائد الدينية والتقاليد الاجتماعية تحمي الحياة الانسانية وتصورها ولجسم البشر حرمة وصيانة وحتى بعد الوفاة . وقد تنوعت التجارب بالنسبة لغايتها فتقسم التجارب الى نوعين اساسيين :

١ - تجارب تستهدف البحث .

٢ - وتجارب تستهدف الفحص والاختبار . فالتجارب الاولى تكثر في العلوم الطبيعية بينما تسود التجارب الثانية العلوم الثقافية . على ان كل تجربة تفترض قبل اجرائها ملاحظة دقيقة للعوامل المؤثرة واسير التجربة وهذه الملاحظة يجب ان تكون عملية دقيقة للوصول بعد التجربة الى قواعد عامة ولقد مرت التجارب لاسيما الثانية منها دون استعمال آلات دقيقة رغم حاجة التجربة الى الدقة للوصول الى الهدف لكن تطور علم الميكانيك السريع وحصولنا على المقاييس الدقيقة اصبح بالامكان جعل هذه التجارب دقيقة الى درجة مرضية بامكانها اعطاء نتائج مضبوطة ضمن القابلية الخاصة بالحواس وبالامكان الاستناد على نتائج هذه التجارب بعد ان يحسب حساباً معيناً بالنسبة لامكانية الخطأ او الغش العلمي كما يحدث ذلك حتى في بعض الامور الطبيعية نفسها .

اننا لا ننكر ان التجارب الروحية والنفسية اضعف دقة من التجارب الطبيعية في الملاحظة العلمية ولذلك فقيمتها العلمية اقل دقة من التجارب الطبيعية لان التجارب الطبيعية ذات المقاييس الدقيقة يمكن ان تعزل عن التأثيرات الطبيعية (الفيزيائية والكيميائية) اكثر من التجارب الثقافية التي تخضع لعوامل اخرى كثيرة ، لان المظاهر الحياتية انما هي متغيرة بالنسبة للزمن والمكان حيث ان الحالة النفسية الافراد انما هي منتوج تأريخي متسلسل من عدة قرون وهذا التأريخ متطور دائماً ولذلك فلا يمكن عزل هذه الاجسام الحية التي تجري عليها

التجارب عن علاقتها التاريخية القديمة والطويلة المدى بعد ان برهن علم الحياة ان الاعضاء الحية هي في حالة تطور مستمر ومعرفة ذلك تستند على دراسة تأريخ الانسان الاول وسير التطور كما ان علم الاجتماع يؤكد لنا علاقة الافراد في كل جيل بالاجيال الماضية وان نوع الدراسة لها اثر بين في نفسية الشخص . لذلك فمن واجب من يجري التجارب مهما كان نوعها على الاجسام الحية ان يلاحظ كل هذه الاتجاهات ويحسب حسابها بالنسبة للنتائج التي تظهر له . فالتجربة اذن في هذه الناحية اصبحت اكثر تعقداً من التجارب في الامور الطبيعية . وهناك مشكلة اخرى غير ما ذكر وهي ان اكثر المواد الطبيعية تجزأ الى عناصرها ثم تدرس هذه العناصر لوحدها . اما في الاجسام الحية فان الجزء لا قيمة له إلا بالنسبة للكل لأن الاجزاء العضوية تفقد كثيراً من خصائصها اذا جزئت ومن هنا نستطيع في التجارب المادية ان نعرف شيئاً كثيراً عن الكل من دراسة نتائج الاجزاء بينما نضطر هنا ان نحري البحث في الكل وهو الاكثر تعقداً لنصل الى معرفة الاجزاء .

ومع ذلك لا نسمى أيضاً قيمة العامل الشخصي في التجارب النفسية لمن يجري تلك التجارب إذ انه ظهر ان كثيراً من نتائج التجارب النفسية فيها أثر لما جرى للانسان ايام حياته الاولى . لذلك فالفرد الذي يقوم بالتجارب النفسية لا يمكنه ان يكون حيادياً كما يكون في التجارب الطبيعية لأن علاقته فيها أقل من علاقته بالاجسام الحية . كل ذلك حمل العلماء على ان يقوموا مهما أمكن بالتجارب المختلفة كي يصلوا أخيراً الى دقة علمية أكثر ، ولذلك فمن المنتظر أن تقوم التربية نفسها بقسط وافر من التجارب تحقيقاً لهذه الدقة وإذا ما أخذنا بنظر الاعتبار أيضاً أن هناك بعض الحوادث النفسية ما زالت حتى اليوم موضع جدل ونقاش كتفسير مظاهر الشخص وبعض الامراض العلية ووصف حياة الطفل في حياته الأولى لأن مثل هذه الامور لم تكتسب حتى اليوم الصفة القطعية وهي ما زالت بحاجة الى الاستعانة بقوة اللغة وايضاها من قبل المريض نفسه لهذا فان جميع

المظاهر النفسية التي تعتمد على التنمير والإيضاح اللاغوي ليست دقيقة مثل غيرها من الحوادث النفسية الأخرى . ولهذا الأمر نجد حتى إلى وقت قريب أن بعض علماء النفس يعتقدون أن نفسية الطفل الفكرية شبيهة بنفسية الشاب ولم يتغير هذا الاعتقاد إلى أن قامت التربية بتجاربها فوجدت الفرق الكبير بين نفسية الطفل والشاب الفكرية . ولقد حصل هذا اللبس لأن أكثر العلماء كانوا يعتمدون في إيضاح هذه العوامل الفكرية على أشياء ميكانيكية معينة وأسئلة خاصة . وأما اليوم فقد أخذت التربية تقوم أيضاً بدراسة مذكرات الطلاب والشباب اليومية وبملاحظة الطلاب والشباب أثناء القيام بأعمالهم وتجاربيهم العملية وإنتاجهم المدرسي وبذلك كوّنت فكرة أكثر وضوحاً عن نفسية كل منهما . وهذا الاتجاه جديد بالنسبة لعلم النفس لأن البدء بدراسة نفسية الشباب كان منذ أوائل القرن العشرين ثم كثر وتوسع اليوم فكثر الكتابات والدراسة حول نفسية الشباب ، لقد كانت الحرب العالمية الأولى مساعدة لعلماء علم النفس والتربية التجريبية للحصول على مذكرات كثيرة للشباب قبل ذهابهم إلى ساحة القتال والتعرف بواسطتها على نوع تغير هؤلاء الشباب وانطباعاتهم المختلفة لذلك كانت الحرب وتطوراتها خير مساعد لمعاهد علم النفس للكشف عن أمور كثيرة عن نفسية الشباب بفضل دراسة هذه المذكرات التي تكتب في الغرب بلغة واضحة وصريحة ، لأنها خاصة ولا يطلع عليها إلا هو نفسه ولذلك لا يخجل الشاب من تسجيل جميع الحوادث التي مرت به مع تبيان شعوره وانفعالاته وميوله المتأثرة بتلك الحوادث .

التجربة والتربية

إن علم النفس ينظر إلى الفرد كممثل للتوازن العام — لذلك فهو يميل بطبيعة بحثه إلى العلوم الطبيعية ويعتمد على المقاييس الخاصة بالعلوم الطبيعية تلك التي تحاول الكشف عن بعض الصفات الطبيعية . أما التربية كما قلنا فهي بالدرجة

الاولى الطفل الذي يدخل الدراسة والشباب الذي يقطع مرحلة طويلة فيها لذلك فهي لا تنظر الى التجارب كغاية لكشف الحقائق العلمية بل كوسيلة لتوجيه الطفل والشباب نحو الطريق الذي تحتطه التربية له فهي تستخدم التجربة لغاية أخرى . لذلك فان تجارب علم النفس والعلوم الاخرى ونتائجها العلمية ترشد التربية في عملها وتزودها بمعلومات ثابتة تستعين بها على تكييف طرفها وتكوين اسلوب عملها الى المدرسة وفي البيت المتصل بالمدرسة .

ولقد استرشدت التربية بعلم النفس لهذه الناية كما استرشدت قبل ذلك بعلم الطب الذي قام بأعمال جارية وأبحاث قيية في تفسير كثير من نفسية الاطفال لاسيما في دور الرضاة ولذا اكتشف اموراً مهمة للتربية بالنسبة للاطفال المرضاء وعلاقة ذلك بالوراثة والمحيط .

ولما كان هدف التربية ان تزيد فعالية الطالب وتكثر انتاجه وتقوي مقدرته العملية فهي لا تقتصر عملها بأن تعرف حالات الاطفال (الطلاب) والشباب ومراحل تطورهم بل تريد من وراء ذلك القيام بتحقيق هدفها وذلك :

١ - ان يحصل الطلاب على معلومات اساسية ضرورية لحياتهم وان يكونوا ذوي مقدرة عملية بالنسبة لنوع الحياة التي يعيشون فيها .

٢ - ان تكون اتجاه وخلق الطالب وكذلك ارادته في اتجاهات معينة تعينها له امته وفقاً لحاجتها وزمنها .

٣ - ان تطبع فيه الفكرة التي تسود العصر والتي تسود الهيئة الاجتماعية التي هو احد اعضاءها ليستطيع القيام بواجباته المختلفة تجاه نفسه وتجاه بني قومه والعالم اجمع .

ولقد ظهر جلياً ان كثيراً من تفسير الطالب مشوّهة او لا تمت الى التجربة بصلة كبيرة . كما وجد ان تأثير المحيط الذي يعيش فيه الطالب ذو اهمية كبيرة على التجارب النفسية . لأن نوع التفاهم وصفة هذا التفاهم يعتمد على عوامل كثيرة تشترك جميعاً في تكوين التفكير . فالمستوى الثقافي للطلاب والحالة الاقتصادية

ودرجة "نضوج الهيمّة" الاجتماعية والفكرية الدينية - تلعب كلها دوراً هاماً في تعيين الطاب وتفسيره للظواهر النفسية . ولهذا فمن العسير فصل الفرد عن هذه العوامل الثقافية والفكرية وبهذا فمعرفة عوامل المحيط هامة جداً كما أن تفسيرات العلم ذات قيمة خاصة بالنسبة لتفسير نفسيات الاطفال والشباب .

وهذه هي أهم الاسباب التي حملت العالم « وند » على إجراء تجارب التربية بنفسها وعلى بدئه ببحث نفسية الشعوب ليرى مقدار تأثير العوامل الثقافية والفكرية في كل شعب حتى لا تهمل من قبل علم النفس ويحسب حسابها في نتيجة الابحاث النفسية للوصول بذلك الى ايجاد نظام خاص تبني عليه الاشكال النفسية الاساسية التي تفرق الناس بعضهم عن بعض ولما كان الطاب متصل بالحياة الفكرية وذلك بواسطة "الدرسة" لذلك فهو متأثر بذلك . واذا كان قد وجد بالتجربة أن بعض الحيوانات لها علاقة روحية بالانسان والتأثر بهذه العلاقة لذا نستطيع أن نفهم علاقة الطاب الوثيق الروحية بمدرسته وأثر المدرس على نفسيته وانطباعاته .

ولذلك فلا يمكن معرفة نفسية الطاب من التجربة وحدها وهناك حاجة كبرى الى التجربة والملاحظة المستمرة ومعرفة خصائص المحيط الثقافي والفكري للطاب والموصول الى التفاهم الفكري لا بد للتربية من العدل على جبل الطاب مفتوحاً نفسياً يستطيع أن يعبر عما يخالج نفسه ويوضح الاسباب الداعية لعمله أو تصرفه وجعل الطاب مفتوحاً هو احدى مهمات التربية الصعبة لاسيما في الفترة التي يمر بها الانسان فيها الى الاختلاء بنفسه لأن هذه الفترة تعتبر من أهم فترات العمل بالنسبة للتربية الحقيقية حيث أن الطاب لا يفتح نفسه فيها لاعتزاصدقائه بل يتحمل آلامه لوحده رغم حاجته الى مساعدة الآخرين لما في هذه الفترة من كثير من المفاجآت الزعجة . لذلك يستطيع العلم ان اراد أن لا يساعد الطاب بنتائج بحث علم النفس وحده بل عليه ان يضع الشاب تحت المراقبة المستمرة فيلاحظ حركاته وتصرفاته بدقة لاسيما في بدء هذه فترة وعلى المعلم ان يكون ماهراً في ملاحظته ويعمل على اخراج الطاب من عزلته ويحدث كل ذلك بواسطة تأثير المعلم الروحي

لا بتجارب العملية وحدها وإذا اكتفت التربية بالتجربة معتمدة على خبرة علم النفس والعلوم الأخرى لا تصل إلى مثل هذه الغاية .

إن علم النفس والتربية التجريبية تمدان المعلم بمعلومات قيمة ووسائل مساعدة ومع ذلك لا يستغني عن ملاحظاته الخاصة واتصاله الدائم بطلابه . فاشترك المعلم أو المربي بالواجبات مع الطالب وتألمه لألمه وفرحه لفرحه بصورة طبيعية هو الذي يجعل الطالب مفتوحاً أمام التربية ويعطيها القابلية الخاصة للتأثير عليه باستمرار وتوجيهه نحو الجهة التي تعينها . لهذا نرى أن تقوم التربية بجمع كل التجارب والملاحظات التي تهتمها والتي أظهرتها العلوم الأخرى ثم تنظم هذه المعلومات مضيئة إليها تجاربها الخاصة وملاحظاتها حيث إن أهم نقطة تهتم التربية هي معرفة إمكانية التغيير في الطالب لأن التربية لا تريد أن تقوي فيه الخصائص الطبيعية بل تسعى لتوجيه هذه الخصائص لصالح المجموع أيضاً ولذلك فعملها سابي وإيجابي في وقت واحد فهي تشجع القابليات التي تخدم وجهة نظر التربية وتحاول في نفس الوقت مكافحة الصفات التي تشذ عن ذلك ولذلك فالتربية تضطردوها إلى الاستعانة بالعلوم الأخرى وتجاربها ومعلوماتها الخاصة وهناك بعض العلماء من ينظر إلى أن أكثر مشاكل التربية التجريبية الثقيف العقلي والذوق الجمالي (تذوق الجمال) والفكرة العامة والنظرة السياسية والشعور الديني فسكها أعمال بعيدة عن حقل التربية التجريبية ولا يمكن الوصول إليها بالطريقة التجريبية وحدها بل بواسطة المربي نفسه واستعداده الروحي وقوة شخصيته ولذلك فتحقيق هذا متوقف على مقدار تأثير المربي بالهيئة الاجتماعية ومقدار انعكاس هذا التأثير فيه على الطالب نفسه . لذلك فإن تربية المربي هي الأساس الأول للوصول إلى هذه الأهداف ولأحداث التأثير المطلوب في النواحي الثقافية أما التربية التجريبية فتؤثر بصورة خاصة على فن التدريس . ولذلك فالمربي إذن هو أكثر من شخص يطبق تجارب علم النفس أو يطبق التربية التجريبية أو يوصل المعلومات إلى أدمغة الطلاب وإنما هو روح المدرسة ومحور التربية أيضاً وهذا ما يجعل التربية تبقى وثيقة الصلة بعلم النفس كما هي وثيقة الصلة أيضاً ببقية العلوم الأخرى لكنها مع ذلك تكون لها أبحاثها وتجاربها ولا تعتمد على تجارب غيرها إلا في نطاق معين .

التربية وعلم النفس

إن النقاش حول علاقة التربية بعلم الاخلاق ، منذ بدأت التربية تحاول الاستقلال وتكون نفسها كعلم ثابت ، مازال حاداً وواسعاً . ويتناول الاسس الثابتة للموضوع . ومع أن علم النفس دخل في هذا الكفاح العلمي محاولاً أن تكون اهداف التربية واسسها مبنية على نتائج علم النفس التجريبية لكن علم النفس ، لم يستطع ان يحصل على النتيجة التامة من محاولته وهي جعل التربية مستعدة لأن تستمد كل اهدافها منه . إن علم النفس علم يبحث في حقائق وقواعد معينة ولذلك لا يهتمه نتيجة بعض الاشياء التربوية كقضية المديح او الاستهجان ولا مفعول ذلك واثره بالنسبة للأطفال فهو يفتني بطبيعة النوم وخطوات التطور بالدرجة الاولى فقط دون علاقة ذلك بالنواحي الاخرى للحياة . إلا أن التربية لها علاقة ثابتة بمواضيع أخرى لم تستقر بعد وغير موجودة وانما تسعى لتكوينها ، بينما علم النفس يبحث في ما هو موجود منها فقط فهدف التربية لا يقتصر على الوقت الحاضر بل يتناول المستقبل أيضاً والخطوة التي تليها التربية وتحاول تطبيقها تستهدف شيئاً يجب أن يكون لا دراسة ما هو موجود فقط ويستخدم ما هو موجود كشيء مساعد مرشد للوصول الى الشيء الذي تسعى اليه ، بينما علم النفس لا يهتم إلا بما هو واقعي ذو صفات عامة وثابتة . ولذلك فالبت في قضية اهداف التربية وقيمة هذه الاهداف ليس من خصائص علم النفس وحده لأن هذه الاهداف تتناول القضايا الفكرية والنفسية والقضايا المادية والمعنوية ، والمشاكل الفردية والاجتماعية ، فهذه كلها ليست من خصائص علم النفس وحده ولا من مواضيع بحثه الاول وانما تتصل بالمثل العليا للثقافة التي تترك في تقريرها انمروع التالية بقوة : الاخلاق . الدين . الفلسفة . والنظرة الخاصة الى العالم ، فالتربية تنظر الى كل هذه النواحي وتأخذ منها ما يلائم العصر الذي تكون فيه وطبيعته والبلاد التي تجري فيها التربية .

لذلك نرى ان المربي (يوحنا هربرت) الذي يعتبر أول . من يحث في علم النفس والاستفادة من طريقته ونتائج في التربية والتعليم يرى هو نفسه ان هدف التربية يجب ان يقرره علم الاخلاق بينما طريقة التعليم يقررها علم النفس حيث ان هذا العلم هو الذي يعين وسائل التعليم بالنسبة لنتائج بحثه عن التطورات النفسية . كذلك نرى بعض العلماء الالمان في علم النفس يوافقون هربرت على اتجاهه في استقاء اكثر اهداف التربية من علم الاخلاق وان تستخدم تجارب علم النفس لتعين احسن الطرق في الوصول الى هذا الهدف ، اي تستعمل التربية علم النفس كوسيلة لا غاية وما زلنا حتى اليوم نرى كثيراً من علماء التربية يعترفون بان اهداف التربية تقتبس من النظرة الى العالم ولذلك فالتربية بحاجة الى علم الاخلاق ليكون الاساس الأول لاقتباس اهدافها .

إن العلاقة بين التربية وعلم الاخلاق قوية فالتربية المطبقة على الشباب يراد بها أن تكون ثابتة اي علم أخلاق تطبيقي ، إلا أن هذا المطلب رغم وجاهته في أمور كثيرة عليه اعتراضات قوية حيث أن القواعد الخلقية التي يسعى علم الاخلاق لأن تكون أساساً لتربية الشباب ما زالت الى اليوم موضع نقاش وجدل ولم تأخذ الشكل العام النهائي فما دامت الاعتراضات توجه ضد هذه الاهداف والقواعد الخلقية وما دامت هذه الاهداف لم تأخذ الشكل النهائي العام لذلك فلا تستطيع التربية أن تعتمد عليها كشيء مقرر لا سيما بعد أن أصبحت نتائج علم النفس بالدقة الحالية مهمة في الناحية التربوية ، على انه وان استمدت التربية بعض اسس التربية النظرية وبعض أهدافها من علم النفس فالتربية العملية لا شك تفحص ذلك وتجربه هي نفسها بأسلوبها الخاص ، بالنسبة للطلاب ولا تضع ذلك موضع التطبيق إلا إذا رأت نتائج اختباراتها ايجابية تحقق الهدف الخاص للتربية لأن من يشغل بالتربية العملية يصعب عليه أن يقبل بالرأي الخارجي كشيء مسلم به لا يناقشه ويفحصه ويقوم بالتجربة بل عليه أن يجرب ذلك وفقاً لرأي وطريقة التربية نفسها .

فالتربية إذا كانت تريد أن تثبت نفسها كعلم مثل بقية العلوم عليها أن تضع لها قواعد وقوانين عامة متحررة من تأثير الفرد والشعوب ويمكن تطبيقها على كافة الافراد وجميع شعوب الارض شأن القواعد العلمية العامة الاخرى . وهذا ما حاول تحقيقه أكثر علماء التربية في هذا الزمن حيث اخذوا يعملون جادين لتحقيقه . فاذا ظهر علمياً أن هذا الأمل غير قابل للتحقيق عندئذ سوف تكون علاقة التربية مع علم الاخلاق على أسس جديدة . وكل هذا النزاع والنقاش يجري بطبيعة الحال في الحقل النظري مع العلم ان القواعد المحدودة في علم الاخلاق والتي لا تقبل الجدل لم تثبت حتى الآن وقد لا توجد في المستقبل لأن جميع المحاولات التي جرت لايجاد قواعد خلقية عامة ثابتة وفقاً للقواعد العلمية قد فشلت لأن النسبة الخلقية لم تستطع الثبات أمام الدقة العلمية .

لقد رأينا أن الكفاح قد بدأ قديماً بين العقل والدين ، حيث أن الدين كان مصدراً قوياً من منابع المثل العليا الخلقية ، ولذلك فالدين حارب العقل الذي يفسد عليه خلقه ومقاييسه ولقد استطاع الدين في فترة القرون الوسطى بفضل الكنيسة المسيحية وتنظيمها الديني والمدني أن يهيمن على عقول الناس وعلى قلوبهم أيضاً واستسلم العالم الاوربي لسلطان الكنيسة تفرض عليه تعاليمها وتمنحه ما تشاء من مثل عليا وقيم خلقية واستطاعت أن تسيطر الفلسفة في ركبها ايضاً .

على أن هذا النزاع الشديد بين العقل من جهة والدين من جهة أخرى لم يسر بطريق واحد ولم ينحصر بقطر واحد وإنما شمل أقطاراً كثيرة واستخدم أساليب متعددة وكان النصر فيه سجالاً . فمن انتصر فرض على الحياة نظمها وتعاليمها ومنح الهيئة الاجتماعية تقاليداً ومثلها العليا . فاذا انتصر العقل ساق المفكرين قديماً الى بعث الروح القديم واستنباط القواعد الخلقية من منابع اليونان وبعده ذلك انتصر الدين فأعطى للبشر القيم الخلقية واستخدم الفلسفة لتنظيم تلك القيم أيضاً . بحيث جعل أعلى قيمة خلقية في الحياة هي الاستجابة الى الله والميل الى الزهد ولذلك فعلى الاخلاق أن تتجه نحو الروحية وأن يحارب

الانسان شهواته وميوله ويمتنع عن التمتع بالجمال ويقصر تفكيره على الناحية الروحية باعتبار أن هذه هي الوسيلة الصحيحة للخلاص .

وفي عصر النهضة حيث انتصر العقل وشق العلم طريقه كانت مقاييس الاخلاق غير هذه فتحرر الفرد من قيود الدين وشعر الانسان بمقام في مكانته وتحرر التفكير من عقالة واسره . عند ذلك اصبحت المقاييس الخلقية غير ما كانت عليه ومثل هذا الامر حصل في شعوب كثيرة .

وقد يكون الفضل في مقاييس الخلق الحالية يعود الى انتصار العقل وتوسع العلم بما سار عليه من مقاييس وأساليب جديدة لأننا نجد أن الحياة الجديدة قد تمرت على تقييد الحرية في مجال الاخلاق والآداب والفنون وعملت على انطلاق الشهوات من عقالها انطلاقاً لم يبق للتقاليد القديمة ولا للنظم والقواعد الدينية متسعاً ، حتى لقد شعر الناس بخطر على الاخلاق واصبحوا ينظرون الى هذا الانطلاق بأنه فساد خلق ، حيث لا يجمال الدين ولا ينسجم مع العرف والتقاليد ، وان هذا التحرر من قيود الاخلاق حمل رجال الدين على مقاومة العلم والتهجم على نتائجه في النواحي الخلقية والدينية .

وإذا كان الشك في المسائل العلمية قد زال إذ لم يثبت أمام البراهين العلمية فإن النسبة والشك في المسائل الخلقية ما زالت موجودة فاذا ما رفض علمياً قبول بعض القواعد الخلقية من وجهة شمولها العام فهذا لا يعني ان هذه القواعد اصبحت لا قيمة لها من الوجهة العملية أو انها لا يمكن ان تستخدم في هذا الزمن وحتى قبولها لا يعني ايضاً بانها مطلقة لان اهمية القيمة الخلقية ليست في كونها حقاً او غير حق لانه ليس هناك حاجة علمية منطقية دقيقة اسير الانسان وفقاً للقواعد الخلقية ليصبح مطبقاً العدل لان المثل الاعلى الخلقى لا يمكن ان يتسبب او يبرهن عليه علمياً بالمقاييس والبراهين العلمية المألوفة في الحقل الطبيعي والرياضية وانما كل ما يمكن هو ان توضح المثل العليا للاخلاق دون ان نقرر صحة ذلك أو خطاه لأن البرهان على صحته أو خطاه بالذمبة للمثل العليا ليس له معنى

عملي كبير وضعف البرهان في المثل العليا لا يعني أن هناك فوضى في القواعد الخلقية للحياة العامة لأن هذه القواعد لا تبنى على براهين علمية منطقية وإنما تقوم على وجود حاجات متنوعة فيها . اننا نرى ان الآداب المتبعة في كل شعب تختلف عن الآداب المتبعة في الشعب الآخر وكثيراً ما يتضارب بعضها ببعض ومع ذلك فلها قيمتها الخلقية أكثر من قيمة علمية مطلقة مع العلم ان ذلك يتغير أيضاً بالنسبة للزمن لذلك لا يمكن ان نعتبر نوعاً من الآداب السائرة وفقاً للقواعد العلمية لعلم الاخلاق انها يمكن أن تطبق على كافة المجتمعات والشعوب او في مختلف العصور الزمنية ولذلك فامكانية التغير موجودة دوماً .

ان الكفاح من أجل ايجاد مثل عليا في العادات والآداب العامة انما هو جزء من كفاح الحياة نفسها ويجري من قبلها ويكون في ضمنها . على ان بعض العلماء يرون انه من المصلحة للبشرية ان تبحث في ايجاد مثل هذه الآداب التي تلائم العلم وتساعد على ايجاد الوحدة البشرية للوصول الى استقرار في المعايير الخلقية بالنسبة للآداب حتى وان لم تستطع البشرية الحصول على هذه الوحدة في التاريخ حيث نجد في التاريخ احياناً تقارباً قوياً في الآداب والعادات وذلك لتقارب بعض الشعوب من بعضها بالنسبة لمستواها العلمي والثقافي .

وعلم الاخلاق كنظام فلسفي له طابع علمي غير ما للفيزياء او لعلم النفس لأنه لا يهتم كثيراً فيما اذا كان الخلق نسبي او مطلق أو أن يكون المثل الاعلى ثابتاً أو متغيراً او الاعتقاد صحيحاً أو غير صحيح فكل ذلك لا تهمه كما لا يعبأ كثيراً بمقدار انطباق المقاييس العلمية عليها ، بل تهمه قبل ذلك رغبتنا في اعتناق هذا المثل الاعلى أو تطبيق هذه الآداب وكل ما تسعى اليه هذه المثل العليا انما هي أن تعتنق من قبل الأفراد دون معارضة فهي أما ان تؤخذ أو ترفض وإذا ما بنى الانسان التربية على علم الاخلاق فانما يحول التربية بذلك عن هدفها الاول وذلك ما لا ترغب فيه لذلك تنظر في قيمة هذه المثل المقتبسة بالنسبة لمقاييسها وغاياتها فتقتبس منه جميع المبادئ والاتجاهات دون أن تفقد بذلك

قواعدها الخاصة . واثـر علم الاخلاق لا ينـسـكر على التـريـبة واتـجـاهـاتها فـهو الـذي يـخـفـف من انـحـياز المـريـين نـحو النـتـائـج المـحـدودـة وذلـك لوجـود خـلاف بـيـنـها وبيـن القـواعـد الخـلقـية فالـاولـى تـكـون مـحـدودـة والثـانـية تـكـون قـابـلة للـنـقـاش والتـبـديـل .

إننا نجد من ناحية ثانية أن المقاييس الخلقية نفسها قد تأثرت بنتائج الأبحاث العلمية الأخرى كعلم الحياة والاجتماع والنفـس ، حيث نجد أن بعض علماء الاجتماع يؤكدون أن المجتمع يشبه الفرد في خضوعه لعوامل التطور ويسير بنفس الأسلوب في تحسين الاخلاق وتقرير المثل العليا ، إذ يجعلون ذلك مساهراً لشروط النزاع لأجل البقاء وكما ازدادت قابليته على ذلك كلما تحسنت الأخلاق فزداد بذلك السعادة وتقل المشاكل الاجتماعية لانسجام المجتمع مع البيئة ، لذلك طالب هؤلاء العلماء أن تكون التربية الاخلاقية عاملة على مساعدة الفرد على التكيف لتحقيق مثل هذه المثل العليا .

كذلك لا ينسـكر علماء الاجتماع أثر النـتـائـج في أبحاث علم النفس لاسيـما ما توصل اليه بعض العلماء في القرن العشرين أمثال يونج وفرويد وادلر ، حيث يؤكد هؤلاء على أن أخلاق الإنسان تتأثر كثيراً بالتطورات النفسية لاسيـما التطورات التي تحدث في العمر المبكر ، حتى يرى ادلر بأن اصلاح المجتمع من الوجهة الخلقية والثقافية يقوم بالدرجة الاولى على أساس علم النفس التجريبي .

فنظراً لهذه الاتجاهات الجديدة نرى أن المهم هنا هو نوع العلاقة بين التربية وعلم الاخلاق ومقدار الصلة والتعاون بينهما إذ أنه كثيراً ما يجد المربون حيرة في القواعد التي يرون اقتباسها .

أننا لا ننكر أننا نعتنق كثيراً من المثل العليا والعادات ، نقتبسها من الحياة مباشرة بالمحاكات والتقليد والتربية تتبناها وتجعلها من أهداف التربية الاساسية . إذ يصعب دوماً على التربية أن تفحص جميع هذه العادات من الوجهة الخلقية وتثبت ذلك بالنسبة لنتائج العلوم المختلفة وكثيراً ما نجد ان هذه المثل سريعة التغير والتبديل بالنسبة للحياة ، لاسيما في هذا العصر .

على ان هناك قضية هامة يجب ان تؤخذ بعين الاعتبار وهي ان التربية تسعى لأن تجعل الاجيال الجديدة قوية وقادرة على سد شواغر الاجيال القديمة فيما اذا دخلت معركة الحياة ولذلك فأننا نسعى لان لا نكتفي بالمحافظة على حياة الفرد والنوع فقط كما هو الحال في الأحياء بل نحافظ أيضاً على مستوى الثقافة والحضارة ونحاول ان نخطو بها خطوة الى الامام ونرفعها الى منزلة اعلى . لذلك فان غاية الهيئة الاجتماعية ان تسعى لان يكون مستوى الاجيال القادمة اعلى من مستوى الاجيال الحاضرة وهنا تظهر قيمة ابحاث علم الحياة وعلم الاجتماع وتستعين التربية بالتدريس لتتمكن من تحقيق هذا الهدف مع العلم اننا لانغنى هنا الثقافة النظرية وحدها والتي تربي التفكير والمحاكمة بل تساعد الطلاب على أخذ ثقافة مهنية ضرورية لنمو الحضار ورفق الهيئة الاجتماعية .

لذلك فالتنظيم الفني العلمي الميكانيكي والاقتصادي يجب ان يكون موضع عناية التعليم لاسيما بعد أن توسعت المخترعات ونمت الصناعة واخذت الحياة تستند على ذلك في رفع مستوى الحياة وتنظيم العلاقات الاجتماعية .

وليس هدف التعليم تلقين الاشياء الميكانيكية واعطاء المعارف العامة المجردة وانما يهدف ايضاً الى خلق مواطنين صالحين واشخاص طيبين يقومون بواجباتهم المختلفة على الوجه المرضي الاكمل كما يكونون ايضاً اقوياء في مهنتهم التي يعملون بها ويزاولونها ولذلك فلا يمكن للتربية ان تهمل القواعد التي تقوي هذه الناحية مستعينة على ذلك بالفلسفة والدين والاخلاق والفن لان هذه العلوم هي التي تربي الانسان على الحضارة المشتركة وتجعله يقدر واجباته الاجتماعية بالاضافة الى المهارة المهنية الخاصة ولذلك فهما اختلفت المدارس وتنوعت في اهدافها المهنية او طرق تدريسها فان هذا الهدف العام يجب ان يكون نصب عين الجميع لانه هو الاساس الاول للروابط الاجتماعية وبواسطته تستقر الهيئة الاجتماعية وتصبح ذات نظام متين كما تستطيع ان تعمل كل هذه القوات المتنوعة في طريق واحدة هي سعادة المجموع وهنا يستطيع علم الاخلاق ان يقدم للتربية الشيء الكثير من

قواعده ويساعدها على الوصول الى هذا الهدف العام .

ان العوامل الاقتصادية قد لعبت دوراً هاماً في توجيه الحياة واصبح تأثيرها لا يقل عن تأثير علم الاخلاق نظراً لتطور الحياة الجديدة اذ كلما تقدم الزمن زاد مفعول الناحية الاقتصادية في المدارس حتى اصبح هم كل مدرسة من مدارس البنات والبنين والشباب محاولة سد الحاجة الاقتصادية بقدر تحقيق الهدف الخلقى والمحافظة على العادات والآداب وذلك لأن مشا كل الحياة الجديدة معقدة وتشغل بال التربية بصورة جدية لان الحياة اصبحت تتأثر بعوامل مختلفة . كما ان معايير الاصطلاحات التي كانت سائدة قبلاً كالشعور بالواجب والتضحية من اجل الآخرين (الأثرة) وخدمة الآخرين والعطف على الاقارب والاصدقاء وروح العدل وتقدير الحقيقة والصراحة لم تبق اليوم قوية كما كانت قبلاً ولذلك فهناك حاجة كبيرة اليوم الى تثبيت هذه المعايير الخلقية حتى لا تطغى على الحياة الجديدة الحاجة والمقاييس المادية الصرفة فتتحرف الهيئة الاجتماعية عن طريق الاعتدال والتناسق بين الماديات والروحيات وتهبط القيمة الخلقية والثقافية الى مستوى يهدد كيان المجتمع واستقرار حياتهم . اذ يلاحظ بوضوح ان مطالب الحياة المادية قد طغت على انسان اليوم واخذت تؤثر عليه وتسوقه الى جهتها وتؤثر عليه في علاقاته الاجتماعية وارتباطه بمقاييس خلقية جديدة نتيجة لتطور الصناعة وانتشار المخترعات العلمية التي قربت المناطق من بعضها والتي سهلت صلة الناس بعضهم ببعض مما عمل على تكوين مهن متشابهة في مناطق كثيرة من مناطق الكرة الارضية ولذلك اصبحت هذه المناطق تتشابه في نظراتها الى الحياة الجديدة . وهذا ما عمل على عدم تقيد الانسان بتقاليده القديمة وانما حمله الى التطلع لعادات وتقاليد اخرى تنسجم مع هذه الاتجاهات الجديدة والمهن التي تفرعت عنها . لذلك فواجب علم الاخلاق اليوم ان يبحث هو نفسه في المقاييس الجديدة لهذه المثل والتقاليد ، وعندما يستطيع ويماشي الحياة الجديدة تستطيع التربية عندئذ أن تستعين به لان كل غايتها هو ان تقرب الطفل والشاب من الحياة وان

تدع الثقة قوية في نفسيهما وان ما قامت به التربية من تقاليد في تثبيت المثل العليا عندهما
وتعويدهما على القواعد الخلقية والآداب العامة انما كان ذلك لصالح الطفل والشاب
لتقوم بذلك بتسهيل عملية التكيف وملائمة الانسان للبيئة ، لتتحقق بذلك السعادة
المنشودة تلك السعادة التي ينشد لها علم الاخلاق نفسه .

فعلاقة التربية اذن وثيقة بعلم الاخلاق وهي بحاجة دوماً الى معونة في توضيح
القواعد الخلقية وتعيين المثل العليا لا سيما في هذا العصر الذي اصبحت فيه المثل
العليا سريعة التغير .

على هذا نرى ان التربية رغم استقلالها العلمي قد اوثقت الصلة بهذا العلم كما
اوثقت الصلة بالعلوم الاخرى ذات العلاقة القوية بالانسان وتطوره الجسمي
والنفسي وهذه الصلة قد افادت التربية وسهلت لها عملها واعانتها على تحقيق اهدافها
المختلفة . لذلك اصبحت من واجبات المربي الهامة معرفة العلاقة بين التربية والعلوم
هذه اذ بدون ذلك يتعرض الى مهاجمة هذه العلوم والى خسران جهود وزمن
وتمرير الطفل والشاب الى اخطار كثيرة .

اقسام التربية

لقد نظرت المجتمعات البشرية الى الجسم نظرات متباينة فمنها من كان يعيره أهمية خاصة ومنها من نظر اليه نظرة اعتيادية بالنسبة للحاجة اليه أو بالنسبة للمثل العليا والتقاليد التي سادتها . ولذلك فالتربية تأثرت قديماً بهذه النظرات المتفاوتة أما الآن فقد ظهر أن الجسم له الاثر الاكبر في الحالة النفسية والعقلية وقد اصبح الجسم لذلك مركز اهتمام التربية ومحل اعتناء الشعوب والامم جميعها ومنذ القرن الثامن عشر والتربية الجسمية في البلاد الغربية آخذة في النمو وأصبحت تشغل محلاً ممتازاً في مناهج التعليم وبرامج المدارس على اختلاف أنواعها ودرجاتها ولقد قضى اليوم على الفكرة القديمة القائلة بأن العقل والروح هما الأساس في الحياة وان الجسم شيء عارض ثانوي . كما ان فكرة الجسم مصدر الخبائث والروح مصدر الفضائل قد زالت واصبح الجسم والروح شيان متحدان تماماً لا يمكن فصل احدهما عن الآخر ، لا بل لا يمكن دراسة حالة احدهما الا بواسطة الثاني . كما ظهر الآن جلياً مقدار تأثير الناحية الجسمية على العقل والروح فاصبحت التربية الجسمية عاملاً فعالاً في اصلاح التربية الاجتماعية والخلقية . كما ان التربية الجسمية اصبحت احسن وقاء ضد الامراض والابوثة أيضاً .

ففي التربية الجسمية اذن غرض جسمي وعقلي وخلقى لذلك فان الامم المتحضرة أصبحت لا تهمل تربية الناشئة تربية جسمية صحيحة حفظاً لسلامتها الجسمية والعقلية . حيث ان الانتاج القومي متوقف على مقدار صحة الناشئة واستعدادهم للكفاح ومقاومتهم الطبيعية والتغلب على الصعوبات المختلفة وكلما تقدمت المدنية وتوسعت الحضارة كلما احتاجت الاجيال الى تربية جسمية مستندة على القواعد العلمية ومنسجمة مع مراحل التطور والنمو .

ان توسع نظم الحياة وتقدم الميكانيك أخذ يتطلب من كل مواطن مقدرة جسمية معينة وفهماً عقلياً صحيحاً لذلك لا يمكن القيام بتكاليف الحياة الجديدة

وواجبات المواطن المختلفة ما لم تقم الدولة بتربية المواطنين تربية جسمية صحيحة فأنجاز الاعمال يتطلب مهارة معينة وقابلية خاصة كما يحتاج الى حركة مستمرة ولا يتم كل ذلك الا بالتدريب الجسمي القوي .

ان زيادة السكان وكثرة اختلاط الجماهير بعضها ببعض في نواحي كثيرة أصبح اليوم أيضاً عاملاً فعالاً في انتشار الامراض السريعة التي تهدد احياناً سلامة المجتمع وكيانه لذلك لا بد للأفراد من وقاية هذا الخطر بالاعتناء بالتربية الجسمية حتى يستطيعوا التغلب على ما قد يعثرهم من الامراض المتنوعة وعلى هذا فلا يمكن أن تتم سعادة الانسان إلا اذا تمت بصحة تامة ونشاط جسمي وعقلي كاف ، كما انه لا يستطيع القيام بأعباء الحياة الحالية دون التزود بهذا النشاط إذ ان الكثير من الاعمال المختلفة أصبحت تتطلب صبراً ودأباً مستمرين لا ينقطعان لا سيما بعد ان أصبح التنافس في الحياة شديداً والتسابق بين أفراد الهياآت الاجتماعية لا يقف عند حد .

وفي الوقت الذي أصبح فيه الاقتصاد مرشداً وموجهاً لكثير من أعمال الانسان اضطر كل فرد من افراد الهيئة الاجتماعية أن يكون منتجاً حتى لا يصبح عالة على هيئته الاجتماعية فيحدث فيها الخلل الاقتصادي ويجر ذلك الى ضعف خلقى لذلك فالانتاج على انواعه يحتاج أيضاً الى مقدرة جسمية معينة وقابلية بدنية خاصة لذلك نرى ان الحياة الجديدة رغم تقدم الحضارة وتقدم الميكانيك قد أصبحت تتطلب مستوى عالاً من الصحة الجسمية وحداً معيناً من المقدرة البدنية .

وان توسع الابحاث في العلوم المختلفة لا سيما في علمي الحياة والصحة قد افاد التربية الجسمية فائدة كبيرة وأظهر لها الاستس العامية الصحيحة ، فان معرفة مراحل النمو الجسمي وما يرافق ذلك من تطورات نفسية وقابليات خاصة قد فتحت عيون المربين ووجههم نحو الأخذ بهذه النتائج . كذلك قدم علم الصحة للتربية الجسمية شروطاً صحية جديدة لا يمكن أن تهمل عند بحث التربية

الجسمية على وجهها الصحيح .

لذلك نجد ان تحقيق غاية التربية الجسمية يتطلب معرفة تامة بجميع هذه الابحاث والنتائج الاخيرة التي اعطتها للاخذ بها في القيام بالتربية البدنية لذلك لا بد لنا من معرفته .

على هذا نجد ان التربية الجسمية لا تنحصر في المدرسة فقط وانما اصبح الناس يمارسونها في خارج بنايات المدرسة وصار الفرد الغربي يقدرها ويعرف قيمتها في الحياة ولذا فانه لا يهملها حتى وان ترك المدرسة ومارس الحياة العملية إذ نراه يكثّر من ممارستها في النوادي العامة وفي الجمعيات المختلفة ، وكثير من الغربيين وحتى من يكون دخلهم قليلا يستمرون على القيام بالتربية الجسمية لفوائدها الكثيرة لا سيما وان العناية الجسمية قد برهنت على تحسين الجسم وتصليحه واعطائه مسحة قوية من النظارة والجمال فلا بد اذن من ملاحظته ما يلي :

١ - الوراثة : ان أكثر الخصائص الجسمية إنما هي وراثية يستأمنها الطفل عن والديه بالوراثة وكثير من الامراض الجسمية والعقلية تظهر في الاجيال عن هذا الطريق ومع انه لم تعين حتى اليوم جميع الامراض الموروثة ، إلا أن علم الصحة برهن على انه حتى لو أن بعض الامراض كمرض السل وغيرها لا تورث وإنما يؤثر المرض هذا على بنية الطفل ويجعلها أكثر استعداداً لقبول المرض وبذلك يظهر هذا المرض كما لو كان موروثاً .

إن قيمة الوراثة كبيرة على الناحية الصحية والاستعداد الجسمي ، وقد أصبحت التربية اليوم تنظر الى الصفات الموروثة بعين الأهمية وتعيرها العناية الأولى من تفكيرها واهتمامها . وبهذا أصبحت التربية تؤمن بأن القوة الأولى تعود الى الوراثة فما لا يرثه الانسان بواسطة والديه لا يستطيع الحصول عليه بوسائل خارجية . لذلك فان شكل الجسم ونموه واستعداداته المختلفة إنما هي أمور موروثة مما أعطى للوراثة قيمة في التربية الجسمية . وأصبح واجب المعلمين لاسيما معلمي التربية البدنية معرفة ذلك بدقة كما أصبح لزاماً على

الدولة أيضاً أن تعتني بهذه الناحية فتقوم بسن القوانين المختلفة للزواج والضمان الاجتماعي مستندة على نتائج الوراثة لأن هذه النتائج تقرر الى حد كبير استعداد الفرد الجسمي والعقلي . والدول الغربية لا تهمل هذه الامور فكثير منها قد قامت بسن هذه التشريعات منذ عشرات السنين وهي تطبق ذلك على الحياة .

٢ - الحالة الاقتصادية والمستوى الاقتصادي لما لها من أثر كبير على الحالة الصحية للانسان ، لذلك اخذت الحكومات المتقدمة تعتني بالحد الأدنى للمعيشة بحيث تؤمن لكل مواطن هذا الحد ، وحتى في الازمات الكبيرة نجد هذه الحكومات تعمل على تأمين هذا الحد بأساليب مختلفة ، كل حسب قابلياتها وامكانياتها إذ بدون ذلك تصبح البلاد مهددة بالأمراض الجسمية والخلقية ويزول منها الاستقرار الفردي وتختل الحياة الاجتماعية ويضعف الانتاج الاقتصادي وبذلك تتعرض الهيئة الاجتماعية الى خطر الانحلال والتعرض للفوضى والارتباك .

٣ - العمل : للعمل أهمية خاصة بالنسبة للتربية الجسمية ، والعمل نوعان جسمي وفكري ، وكل منهما يتطلب جهداً معيناً وطاقة خاصة لذلك فان معرفة نوع العمل ومقدار مدته مهم جداً بالنسبة للفرد . لذلك نجد الدول الغربية تعني بالعمل وبالتوزيع الاقتصادي وفقاً لنظام العمل وكميته وأخذت هذه الدول تنظمه وتسن قوانينه فتحفظ الدولة بذلك المرضى والاطفال والنساء من العمل المرهق . ولقد استطاعت الدول تحديد مدة العمل ونوعه إذ بدون هذا التحديد يصبح الانسان عرضة للتزاحم الاقتصادي ويستغل كثيراً من قبل أفراد أو هيآت لا تلتفت إلا الى مصالح خاصة معينة وعلى هذا أصبح لزاماً على المشرعين أن يحددوا العمر الذي يبدأ فيه الانسان العمل ونوع العمل الذي يقوم به ومدته وقبوله كما يفضل أن يمنع تشغيل الصغار لان أجسامهم وما يتناولون من الغذاء لا يؤمن لهم المقدرة الكافية على انجاز ما هم مجبرون

على ادائه . ولذا فالمدرسة لا تهمل في القيام بالتربية الجسمية مقدار العمل الواجب اداؤه بالنسبة للطلاب سواء كان ذلك جسماً أم عقلياً حيث أن كل عمل عقلي مرتبط بعمل جسمي وان العقل السليم لا يكون عادة إلا في جسم سليم .

طريقة التربية الجسمية

لا يمكن أن تقتصر التربية الجسمية على الرياضة البدنية والالعب كما يتصور الكثير من الناس أو المعلمين إذ ان ذلك لا يكون إلا جزءاً من حقل التربية الجسمية الواسع فقبل الرياضة البدنية والالعب تحتاج الى وعي رياضي ونظرة صحية صحيحة اذ ان كثيراً من الالعب قد لا تلائم بعض الاجسام أو بعض الاعمار أو تصبح مضرّة اكثر منها مفيدة لاسيما وان الطلاب يميلون بفطرتهم الى الالعب مهما كانت اعمارهم فيكثرون منها كما ان التمارين الرياضية اصبحت اليوم تعتمد على قواعد صحية متينة .

فقبل كل ذلك علينا ان نعتني بالصحة وفقاً للقواعد الصحية التي يصفها لنا علم الصحة العقلية التي ترتبط بالصحة الجسمية ارتباطاً وثيقاً وبذلك يمكن صون الجسم والعقل من الامراض الكثيرة المنتشرة . وعلى هذا فيجب ان تراعى قواعد الصحة من قبل المدرسة قبل القيام بالرياضة البدنية والالعب وان ينظر الى بناء المدرسة وموقعها لاسيما من ناحية النور والهواء والتدفئة ومقاعد الطلاب ووظيفتهم في المدرسة ومحلات العمل وفي القسم وساحات الالعب ولا بد من الاعتناء ايضاً بوسائل التغذية الضرورية للصحة والتي بدونها يصبح الجسم معرضاً لامراض كثيرة إذ ان الطلاب في سن النمو الجسمي بحاجة ماسة الى غذاء كامل يتناسب ونموهم الجسمي ومجهودهم الفكري . وأخيراً لا بد للمدرسة من ملاحظة نوم الطلاب وحالتهم الصحية البيئية والمستوى الاجتماعي لاهمية ذلك بالنسبة للمدرسة وللتربية الجسمية ، واذا توفرت هذه الشروط الصحية استطاعت الرياضة

البدنية والالعب ان تأتى باحسن النتائج لأن كل نجاح مدرسي لا قيمة له اذا لم يكن مصحوباً بصحة قوية فالمعلومات الكثيرة والذكاء الحاد والتفكير العقلي القوي لا يمكن ان ينتج ما لم يكن مصحوباً بصحة جيدة ومرح نفسي ونشاط جسمي . قالامة لايمكنها ان تقوم بواجباتها القومية والشعبية اذا لم يتمتع افرادها بصحة تامة وتستطيع ان تتحمل الكفاح وتصبر على انجاز الاعمال الكثيرة وتقاوم الامراض المختلفة .

هذه النظرة الجديدة هي التي وجهت التربية الجديدة الى الاعتناء بالصحة العامة وهي التي وفرت لها الشروط الضرورية في المدرسة وخارجها فأنشأت في بعض الاقطار الغربية بيوتاً ومدارس خاصة لقضاء العطل المدرسية وبدأت الدول تتحول من وضعية التشجيع لزيارة هذه المدارس في القرى والجبال القريبة من المحلات الصحية الى اجبار المدارس على قضاء وقت معين من اوقات السنة في هذه المحلات تقوية للتربية الجسمية ، حيث أن الشروط الصحية الضرورية لهذه التربية لا تتوفر كاملة في المدن رغم عناية الحكومة وجهودها لذلك يجبر الطلاب على قضاء وقت كاف في المخيمات التي تمام في المحلات الصحية النشطة .

لقد ذهبت بعض الدول الى ابعد من ذلك بان سنت قانون الخدمة العامية لمدة معينة يقوم فيها الطالب او الطالبة بالخدمة الفعلية في الحقل او خدمة الاطفال وذلك لغايتين اولاهما القوة الجسمية الضرورية للطلاب في هذا العمر وثانيهما هو الحس الاجتماعي والشعور الوطني العملي ، ولقد مر على بعض هذه الدول مايقرب من ربع قرن وهي تدرب الطلاب والطالبات على تأدية الخدمة العملية هذه .

فالتربية الجسمية اذن تشمل نواحي كثيرة متنوعة والمدارس مسؤولة عنها لا سيما وهي تقوم بهذه التربية في مراحل النمو ذات الاثر الفعال على مستقبل الفرد وحياته ومهما كثرت الالعب الرياضية في المدارس وتنوعت المسابقات فيها فان ذلك لا يفي بالغرض الاساسي من التربية الجسمية بل لا بد له من ان يقترن بتربية رياضية صحيحة في الناحيتين الصحية والخلقية لذلك فان لجنة التربية البدنية في

هيئة الأمم المتحدة تعير هذه الناحية اهتمامها فنشرت مقترحاتها حول ذلك وجاء في إحدى تلك ما يلي :

١ — يجب ان يتعاون دوماً معاموا الرياضة البدنية مع ممثلين من موظفي الصحة .

٢ — ان يتتبع المعامون دوماً المباحث الجسمية والنفسية ومعرفة قيمتها بالنسبة للرياضة البدنية لتعين طريقة التدريس ومواد الرياضة . ولذلك فلا يسمح للالعاب الخطرة الا بعد اجراء فحص طبي للطلاب .

٣ — يجب ان لا تجري الرياضة البدنية في اوقات لا تلائم الصحة كأن تكون بعد الطعام مباشرة او في اوقات الحر القاسى ، وعلى هذا نرى اهتمام العالم بالرياضة البدنية لغاية التربية الجسمية لذلك قررت اللجنة الخاصة بالرياضة لهذه الهيئة العالمية ان الرياضة تؤثر على حياة الفرد لا من الوجهة الجسمية فحسب بل من الوجهة الخلقية والاجتماعية . وادارات المدارس وموظفوا الدولة مسئولون عن رعايته جميع هذه القواعد والعمل على تطبيقها تطبيقاً صحيحاً .

لهذا نجد ان دراسة التربية البدنية في الغرب قد تطورت ايضاً فاصبح لا يكتفى ممن يريد ان يقوم بالتربية الجسمية أن يكون قوي البنية مجيداً للالعاب المختلفة كما كان قبلاً وانما عليه قبل السماح له بممارسة التربية الجسمية ان يؤدي امتحاناً عاماً في نظريات التشريح والقواعد الصحية والاسس العامة للتطورات الجسمية والنفسية وبذلك اصبحت هذه الدراسة هامة وتحتل مقاماً عامياً مقدراً في الجامعات الغربية .

ولهذا نجد انقلاباً كبيراً في برامج التعليم وتبدلاً كبيراً في ساعات الدرس حيث قد اخذت ساعات التربية البدنية تشغل مقاماً خاصاً واصبحت المدارس تنظر الى معلمي التربية البدنية نظرة احترام اكثر من ذي قبل .

كذلك انتشر الوعي بين الناس واصبح الطلاب انفسهم وآباؤهم على استعداد تام للقيام باعباء التربية الجسمية ولا يضجرون من صرف المبالغ الضرورية للقيام بها ان لم تكن الدولة قادرة على تأمين ذلك .

أما في بلادنا التي ما زالت ترزح تحت أعباء الآراء والافكار القديمة وهي أن التربية الجسمية لا قيمة لها في الحياة فأننا بحاجة الى تربية جسمية مضاعفة اولاً حتى نستطيع أن نزيل هذه العقلية القديمة وذلك باعطاء نتائج حاسمة واضحة كي يشعر كل فرد بالفرق الكبير بين الاعتناء بالتربية الجسمية وبين اهمال هذه التربية . ثانياً حتى نستطيع ان نقوم بواجباتنا كمواطنين لدولة فتية أضاعت وقتاً طويلاً وسبقها العالم بمراحل كبيرة وهي بحاجة الى اللحاق به بسرعة هذا بالإضافة الى ان مستوى الحياة في بلادنا ما زال مساعداً على انتشار الامراض بانواعها بين السكان وحصد النفوس التي لا يمكننا الاستغناء عنها حيث ان البلاد تتطلب زيادة كبيرة في النفوس والسكان ولا يتم ذلك إلا بمقاومة الامراض التي تقتك كثيراً فتذهب ضحيتها نفوس كثيرة وتبقى الاجسام علية . ان بلادنا تشكو اليوم ضعفاً اجتماعياً لا يمكن إزالته إلا بعوامل اجتماعية مهمة ومن جملتها التربية الجسمية ذات الامكانيات الخاصة لهذه الغاية وعلى ذلك فالمدرسة العربية عليها الواجب الاول في تحقيق هذا الهدف وذلك بتنظيم التربية الجسمية والاعتناء بها لتصبح عاملاً فعالاً في اصلاح الجسم والعقل والروح ولتحقيق هذه التربية الجسمية لا بد لنا قبل القيام بعمل ايجابي خاص أن نعتنى في الاسس التي تستند عليها الحالة الجسمية والصحة العامة وأهميتها ومعرفة ذلك لا يتطلب اليوم جهداً كبيراً حيث قد سبقتنا الى ذلك امم كثيرة وما علينا إلا تطبيقها جميعها او اكثرها لأنها عامة تصلح لجميع الناس تقريباً .

التربية الخلقية

ما زلنا نرى حتى اليوم انه كثيراً ما يختلف الناس في مدلول الاخلاق وذلك لنوع الشعوب التي ينتمون اليها وبالنسبة لاختلاف الازمنة التي يعيشون فيها ومع ذلك فتعرف كلمة الأخلاق بتعاريف مختلفة نظراً لاختلاف الهيئات الاجتماعية في نظمها وفي تفكيرها والغايات العامة التي تتطلبها من الحياة . وعلى هذا فقد اختلف العلماء أيضاً بتعريف الأخلاق ، فمنهم من يعرفها بصفات مقتبسة من النظم الاجتماعية وآخرون يعرفونها بصفات تغلب عليها الارادة أو التفكير أو الوجدان .

على أننا نجد أن التعاريف الاولى للأخلاق تستمد من التقاليد والنظم الاجتماعية لذلك يكثر تعريفها بأنها هي ميول في الفرد نحو أنظمة الهيئته الاجتماعية واتجاهاتها . كذلك نجد بعض الفلاسفة الأول وفي مقدمتهم سقراط يرى أن تكون الاخلاق منسجمة مع المعرفة بينما يرى الفيلسوف كنت Kant أن الاخلاق إنما هي وليد الارادة . فإذا ما حسنت الارادة حسنت الاخلاق . لهذا بينما نجد سقراط يرى ان العقل هو الاساس الاول الذي يجب أن تبني عليه الاخلاق ويكون عليه السلوك فالانسان يخطئ ، ويرتكب الرذائل لا لسبب إلا الجهل ، لذلك فالخلاق الجهلة هي أسوأ الاخلاق . واصلاح الاخلاق في نظره إذن يتوقف على إزالة الجهل . نجد كنت يرى ان تكون الارادة هي الاساس الاول لبناء الناحية الخلقية في الانسان ، إذ يرى ان الانسان يتعرض دوماً لأمرين متقابلين في وقت واحد فيفكر في كل منهما وفي نتائجهما ثم يوازن بينهما فيختار احدهما والارادة هي التي تسوق الانسان الى تنفيذ ما يختار لذلك فاصلاح الارادة إنما هو اصلاح الاخلاق .

ولقد عرف علماء آخرون بعد كنت الاخلاق بتعاريف مشتقة أما من علم الاجتماع أو الفلسفة أو علم النفس . وربما يكون علم النفس أول العلوم التي اهتمت بمعرفة تصرفات الفرد وسير سلوكه . لذلك قد بحث بتعمق في الاخلاق والسلوك

ولما كانت النظرية القديمة تنحو نحو تقسيم النفس الى ثلاثة أقسام : ١- العقل والذكاء . ٢- الارادة ٣- الوجدان والحس والعاطفة . لذلك نجد اختلافاً في تعريف الاخلاق بالنسبة لهذه الاقسام الثلاثة . فمنهم من يرى ان الاخلاق تعتمد على القسم الاول وهو العقل والذكاء ، بينما آخرون يؤكّدون ان الارادة هي التي تتحكم بالاخلاق . وثالثون يرون ان الاخلاق تستند على العواطف والوجدان . ولقد عمل كل قسم للدفاع عن وجهة نظره والتأكيد على ان هذا القسم هو الاساس الاول في تكوين الاخلاق .

فنرى من ذلك أثر كل من هذه الاجراءات الثلاث (الشعور والارادة والفكر) في تكوين الاخلاق وتوجيه سلوك الانسان ، حيث ان الانسان اصبح اليوم وحده وجميع هذه الاجزاء تعمل دوماً متعاونة مع بعضها في اظهار تصرف الانسان او انتاجه المختلف . فاذا ما اردنا أن نجتمع بين هذه الآراء المختلفة نرى ان الاخلاق انما هي تصرف الفرد في الهيئة الاجتماعية وميوله نحو نظم الهيئة واتجاهاتها واتجاهاته الفكرية لافرادها . وبذلك نكون قد حافظنا على هذه القيم المختلفة ذات الاثر الفعال في الانسان وفي تكوين اخلاقه .

وعلى هذا فالتربية الخلقية تعني بالدرجة الاولى تدريب الطلاب على ان يكونوا في سلوكهم واعمالهم ملائمين لمصالح انفسهم والمثل العليا الخالدة . لذلك ظهر أن العلم والمال والمهارة الفنية لا تكفي لايجاد سعادة الانسان وتثبيت نظم الهيئة الاجتماعية ما لم يمتز ذلك بخلق متين ويقرب من المثل العليا لتلك الهيئة الاجتماعية فالتربية الخلقية إذن تستهدف اصلاح الميول والزعات الفطرية وتوجيهها في المجتمع على أن لا يتضرر الفرد من جراء ذلك حيث تصل بذلك الى درجة يكون فيها سلوك الفرد وتصرفاته منسجمة مع مصلحة الجماعة ومثلها العليا .

ولقد اصبح الآن معلوماً ان الانسان يولد وهو مزود بغرائز طبيعية معينة وقابليات خاصة وهم التربية الاول اصلاح هذه الغرائز وتقوية القابليات الخاصة وتوجيه كل ذلك نحو الهدف الاجتماعي العام ، لذلك اصبح اليوم من واجب

التربية الخلقية الاطلاع على هذه الغرائز والالمام بالعواطف والميول الخاصة والقابليات والاستعدادات الفردية المختلفة وان تستفيد من خبرة وابحاث العلوم الاخرى لا سيما علم النفس وعلم الحياة لتتمكن من توجيه ذلك في طريق يضمن لنا ايجاد اخلاق حسنة وسلوك طيب مقبول . والاخلاق الحسنة والسلوك الطيب المقبول لا يتكونان إلا بعد مراس طويل وتدريب شاق منتظم .

كما اننا رأينا بوضوح ان بعض رجال الدين قد حاربوا بشدة قسما من هذه الغرائز الطبيعية ، إذ اعتبروها خطرة على كيان الجماعة وأسس الدين وكان همهم الاول القضاء على مثل هذه الغرائز بالكبت الشديد لذلك فقد طبعت التربية الخلقية الدينية بطابع الفسوة الجسمية . حيث كانت تلك التربية تسعى بالدرجة الاولى الى كبت كافة العواطف البشرية والميول الطبيعية الاخرى التي لا تلائم تعاليم الدين ولا تتفق مع الخلق الذي كان سائداً آنذاك على ان هذا الاتجاه الديني في الناحية الخلقية لم يستمر طويلاً وانما ساد الغرب ايام قوة الكنيسة .

ثم تغير الحال فظهر علماء كثيرون دافعوا عن هذه الغرائز الطبيعية او الميول الفطرية واعتبروا ظهورها ونموها أمراً طبيعياً لا بد منه ووجودها ضرورياً لحياة الانسان ونموه ، إذ بدونها لا يمكن أن تصبح الهيئة الاجتماعية حرة منتجة وليس من الصالح القضاء عليها او التشديد على ظهورها وانما كل ما نحتاج اليه هو تهذيبها وفنناً للعمل العليا وتطور الابحاث العلمية ، وقد كان في مقدمة هؤلاء العلماء الرببي الافرنسي المشهور روسو ، فقد كتب روسو مدافعاً عن هذه الغرائز الطبيعية بحماس شديد وادعى ان ما تمنحه الطبيعة للانسان هو خير وافضل للانسان مما تضعه له النظم الاجتماعية والعقائد الدينية . ولقد بالغ في دفعه حتى انه زعم ان التفكير يفسد احساس القلب الفطري وان التقاليد الاجتماعية تفسد طبع الانسان الطبيعي الخير فالانسان خير بطبيعته ولا يأتيه الفساد إلا من التفكير والحياة الاجتماعية .

ولذلك كلما تصفحنا كتاباً في التربية او درسنا حياة مربى مشهور وجدنا اهتماماً كبيراً بالتربية الخلقية ومحاولة كل عالم تحقيق الهدف الخلقى عن طريق خاص إذ يرى ان المجتمع لا يمكن أن يصلح ويعيش وينتج ما لم تنظم أخلاقه ويصلح سلوك افراده ويهذب .

لذلك لا بد لنا من العمل على جعل تصرفات الفرد منسجمة مع نظم الهيئة الاجتماعية وقد لا نستطيع ذلك إلا اذا درسنا علاقة السلوك والاخلاق بالخصائص المختلفة للفرد من جميع الوجوه لاسيما الناحية النفسية والناحية البيولوجية (الحياتية) لنستطيع بمعرفة ذلك توجيه الانسانية فى الطريق الصحيح .

ان علم الحيوان يظهر لنا ان الحيوان كما ارتقى فى سلم التطور كلما زادت مرونته وقابلية سلوكه للتعديل والتغيير ، أى أن الغرائز تقل صلابتها ودرجة جمودها وتصبح لينة مرنة قابلة للتحويل والتبديل ، لذلك اصبح واضحاً أيضاً أنه بإمكاننا توجيه هذه الغرائز فى الطريق الذى تطلبه الهيئة الاجتماعية اذا كانت الطريقة التى تتبع والوسائل التى تستخدم لذلك عملية وفعالة وبهذا لا يمكننا اعتبار الانسان قريباً من الحيوان فيما إذا اتبع غرائزه كما كان يوصف قبلاً ولا ملاكاً فيما اذا ضغط على هذه الغرائز وكبح جماح عواطفه الفطرية وانما الانسان هو الاثنان معاً فاذا سادته الغرائز الفطرية دون تهذيب واصلاح اصبح اقرب الى الحيوان منه الى الانسان الراقى واما اذا اصلحت هذه الغرائز وتطورت العواطف وارتقت فانه سيكون اقرب الى الملاك منه الى الانسان العادى ، لأنه سيمصبح بذلك شخصاً خلوفاً يسير فى عمله وتصرفه وفقاً لمبادئ الهيئة الاجتماعية ومثلها العليا وبهذا يصبح عضواً نافعاً فى المجتمع البشرى وهذا هو الهدف الاساسى من التربية .

لقد فرق بعض العلماء قديماً بين السلوك والاخلاق فقالوا ان السلوك انما هو المظهر الخارجى الخاص بالاخلاق لان الاخلاق انما هى شىء داخلى فى الانسان لذلك لا يمكن معرفة الاخلاق إلا بواسطة سلوك الانسان وتصرفاته لذلك لا يمكننا

دراسة الاخلاق التي هي شيء باطني دون الاعتماد في ذلك على دراسة اعمال الناس وتصرفاتهم في حياتهم العملية وعلاقتهم المختلفة مع الآخرين وقد فكر امثال هؤلاء العلماء بان الخلق شيء نفسي داخلي وهو الدافع المحرك للانسان للقيام بالاعمال ولسيره في تصرفاته واما الفعل نفسه فهو السلوك . ولذلك فالخلق ليس له علاقة وثقى بالبيئة إلا عن طريق السلوك . على ان الرأي السائد اليوم هو عدم التفريق بين السلوك والاخلاق ولذلك فقد استبعد الآن عن الاخذ بالنظرية الثنائية التي كانت تسود العالم العربي قديماً وحتى في قضية الاخلاق فعملية السلوك انما هي عملية متحدة غير مجزأة بين داخلي وخارجي فالسبب والعمل انما هما متصلان اتصالاً وثيقاً وان الانسان ما زال قوي الصلة بين تفاعلاته النفسية والبيئة التي يعيش فيها .

وعلى هذا فان السلوك العملي الذي يظهر به الانسان انما هو الاساس للتربية الخلقية وان القواعد الخاصة بالتوجيه والارشاد انما توضع وفقاً لهذا السلوك والتصرف . ولهذه الصلة الوثقى بين السلوك والاخلاق اصبح بعض العلماء ينعت السلوك بالاخلاق والاخلاق بالسلوك حتى ان اغلب المدارس اصبحت اليوم لا تفرق بين كلمة سلوك واخلاق وان كانت الاصطلاحات المستعملة ما زالت تتصل بالماضى حيث مازلنا نرى ان الكثيرين من الناس لا ينفرون من انتقاد سلوكهم بقدر نفرتهم من انتقاد اخلاقهم .

مراحل نمو بن الخلق

ان خلق الشخص يتكون في كافة مراحل الحياة ، إلا ان اعظمه في المرحلتين التاليتين (١) مرحلة الطفولة الاولى (٢) مرحلة الغلومة حيث يسهل في هاتين المرحلتين تكوين العادات الحسنة وتهذيب الفرائز وتوجيهها . لذلك فان فترة الحياة التي تسبق المدرسة تعتبر من أهم فترات العمر في تكوين الخلق الشخصي لأن الطفل يميل بطبيعته في هذا السن الى المحاكاة والتقليد ويكون نشيطاً فعالاً في

١ اكتساب العادات والطبائع . لذلك في البيت توضع الاسس الاولى للسلوك والاخلاق ، ومعاملة الابوين لبعضهما ولاولادهما هي التي تلعب الدور الاول في سلوك الطفل ، وعلى هذا فالتربية الخلقية تؤكده على ان تسبق المدرسة حياة عائلية صحيحة حتى ينمو الطالب في جو مشبع بالود والصفاء . فالبيت على قول احد الخبراء الغريين يجابه كالدولة مشاكل ادارية لذلك لا بد ان يتجسم في الاسرة (البيت) روح احترام الفرد والتوفيق بين الصلات الشخصية القائمة بين فرد وآخر . ان واجب المدرسة الاول هو محاربة العادات السيئة التي اكتسبها الطفل عن ابويه او محيطه ، فاذا اهملت المدرسة هذه الناحية واعتبرت ذلك خارج نفوذها قاست كثيراً في اصلاح الطلاب اثناء الحياة المدرسية لهذا يرى العالم النفساني آدلر بان الاربع سنوات الاولى هي اهم فترات تتكون فيها الناحية الخلقية حيث يقول في كتابه التحليل النفسي « يعمل الاطفال ويخطئون ويتصورون بطرق تختلف باختلاف النمط الاول التي كونوها لانفسهم في الاربع او الخمس سنوات الاولى من حياتهم لذلك ليس المهم هو ما ورثه الانسان عن ابويه بل ما يفعله بما ورثه في حياته المبكرة اي بمثاله الاول الذي تكون في محيط الطفل وبيئته . »

وعلى هذا فالمدرسة مسؤولة عن ذلك وان كان الواجب الاول يقع على عاتق الابوين ، لان كل عادة سيئة يكتسبها الطالب قبل حياته المدرسية تحتاج الى جهود كبيرة حتى تزال من نفسه لاسيما اذا بقي الولد ان على سيرتهما الاولى فالحياة العائلية المضطربة هي التي تغير اخلاق الاطفال وتجعلهم في حالة خلقية يرث لها وعلى هذا فالبيت له المقام الاول في تكوين الخلق على ان المدرسة والمعلم والمحيط الخارجي تعمل مع البيت ايضاً في تكوين الاخلاق وتغييرها ايضاً .

لقد قرر العلماء ان المجتمع انما هو المقياس المهم للاخلاق وعلى هذا فالتربية تسعى لأن يكون الطفل منسجماً في اخلاقه مع المجتمع الذي يعيش فيه ولذلك فمن الامور الهامة التي يتطلب معرفتها من التربية هي خصائص المجتمع ومقدار تقديره لنوع السلوك الشخصي ، على ان التربية ترى انه لا بد من ان يزود الانسان في

حياته المدرسية بالمقدار الكافي من السلوك المقبول للقيام بواجبات المجتمع وتحقيق أهدافه ولذلك فإن مرحلة الغلومة تتمتع باستعداد الفرد للانصياع للمثل العليا والانقياد لما يقدره من مثل عليا ومن بطولة خلقية معينة .

ومهما اختلفت المجتمعات البشرية في تقديراتها ومقاييسها الخلقية نراها تتفق على بعض القواعد العامة التي تعتبر ضرورية لحياة كل مجتمع . فيرى مثلاً أكثر علماء التربية في مجتمع ديمقراطي ان اعظم مزية من مزايا النظام التي يتصف بها المجتمع الديمقراطي هي مزية التهذيب الذاتي . فمن الواجب اكتسابها في سن الصغر ليقوم الفرد بالتهذيب الذاتي وأخذ وجهة نظر الآخرين بنظر الاعتبار على اساس من شعور التعاون ، فيجب أن يشعر الطفل بأنه عنصر مسؤول يحق له ما يحق لغيره من أعضاء الأسرة ، والمساهمة في تأدية واجبات الأسرة ، والتأكد من أن الجماعة في الأسرة تقدر وجوده فيها ايضاً .

لذلك يجب ان يعود على القيام بالعمل متعاوناً مع غيره ليوحد فيه شعور تحمل المسؤولية وابداء المساعدة لغيره .

وعلى هذا علينا ان نضع الثقة في الطفل وان نعتمد عليه في الامور التي تخصه و الامور التي لها علاقة به وبشؤونهم لذلك علينا ان نهتم بصورة جدية بمعرفة تصرف الطفل فيما اذا كانت مظاهر سلوكه طبيعية او هناك بادرة اضطراب او قلق وذلك في السنين المبكرة من الطفولة الاولى . وللوصول الى حالة الانسجام مع المجتمع الديمقراطي يرى علماء التربية تعين حاجات المجتمع التي يجب ان تحققها التربية وأن تعني بصورة عامة فيما يلي :

١ - يجب أن يربي الفرد على أن لا يكون عالة على مجتمعه بل يجب أن يكون منتجاً وقادراً على تحمل مسؤولياته الخاصة بنفسه .

٢ - يجب أن تؤكد التربية على أن لا يتعرض الفرد لجهود غيره وحرسته ولا يتدخل في جهود غيره تدخلا يضعف من قيمتها ويقلل من شأنها بل يجب ان يعرف حدود بالنسبة لغيره بوضوح .

٣ - يجب ان تحقق التربية بان يكون الفرد قوة عاملة في تقدم المجتمع ونموه ورفقه . إذ على كل فرد من أفراد المجتمع ان يساهم في نمو المجتمع واصلاحه . وعلى هذا نرى أن مثل هذا المجتمع يتطلب من افراده الملتزمين اليه واجبين هامين وهما أولاً أن يكون الفرد قوياً بحد ذاته وثانياً أن يقوم كعضو في المجتمع بواجباته تجاه تقدم المجتمع والسير به نحو الكمال . وهذان الواجبان يتطلبان من كل عضو فيه تفكيراً صحيحاً وشعوراً اجتماعياً وعملاً ذا فائدة عامة والتربية الخلقية الجيدة في مجتمع ديمقراطي معاًها توجيه الافراد نحو تحقيق هذه الاهداف وأن تتجه اخلاق الناس الى قبولها والارتياح لها .

على اننا لا ننكر ان تحقيق اهداف المجتمعات تتطلب انسجام القوى المختلفة وتجهلها تعمل في اتجاه موحد ولذلك لابد لنا من القيام بتدريب قوى الطفل للتعود على العادات الحسنة والظهور بمظهر لائق لنجاح التربية الخلقية بمهمتها هذه التي هي ثمرة لتطافر هذه القوى . فاذا اختلفت هذه ولم تنظم الرغبات الفردية بحيث تنسجم مع النظم الاجتماعية فان تصرف الشخص والسلوك الفردي يهدد بالشذوذ واخيراً لا تستطيع الهيئة الاجتماعية تحقيق غاياتها الاولى .

لذلك لابد لنا من دراسة النواحي المؤثرة في ذلك وفهم جميع العوامل القوية ذات الاثر الكبير في تصرفات الانسان وسلوكه ولهذا لابد لنا من معرفة ما يلي :-

١ - الوراثة - اذ اننا نرى ان كثيراً من الاخلاق والصفات الشخصية تكتسب بواسطة الوراثة من الابوين .

٢ - الحالة الصحية - وكلما كان الجسم صحيحاً كلما ظهر الانسان بحالة خلقية صحيحة وسلوك متزن اما اذا كان الجسم مصاباً ببعض الامراض فان هذه الامراض تعكس على سلوك الفرد صوراً مختلفة بالنسبة لقابلية الفرد واستعداداته .

٣ - الحالة الاقتصادية - وهي ذات اثر فعال في توجيه السلوك وعلاقات

الافراد بعضهم ببعض وحتى السائلة تتأثر كثيراً بهذه الناحية وكثير من المشاكل الخلقية في العائلة وبين الاصدقاء وبين افراد المجتمع تكون عوامل الحالة الاقتصادية .

فدراسة هذه النواحي الثلاث ذات الاثر القوي على تفكير الانسان وعواطفه وارادته تعطينا صورة علمية صحيحة لامكانية التربية الخلقية في جميع الهيئات الاجتماعية المختلفة . حيث ان تغير الاخلاق وتوجيه الفرد وحتى الطفل لا يؤمن بالارشاد النظري وانما يعتمد على امس النظم الاجتماعية والسياسية والاقتصادية لآلية هيئة اجتماعية .

يضاف الى ذلك معرفة خصائص الفرد من الوجهتين الطبيعية والاجتماعية لاثار تلك القوى على الانسان وتوجيه اعماله وفقاً لهذه الخصائص .

وما دامت هذه النواحي ذات اثر في توجيه الاخلاق وتعيين السلوك فالتربية بحاجة للقيام بالدراسات التالية :-

١ - دراسة الصفات الطبيعية الموروثة كالفرائز والميول والنزعات الخاصة لان معرفة ذلك هو خير مساعد على توجيهها والعناية بها .

٢ - كشف خصائص المحيط الذي يعيش فيه الانسان لفهم تفسير كثير من السلوك الشخصي بالنسبة لخصائص هذا المحيط اذ كثيراً ما يكون تصرف الفرد انما هو استجابة للمحيط نفسه .

٣ - الاكثار من الخبرة الشخصية لانها ذات اثر فعال على نفس الفرد وتطور حياته اكثر مما يتلقنه من المعلم في دروس التلقين والارشاد .

طريقة التدريب الخلفي

لاشك ان الامم تختلف في طريقة الوصول الى تثبيت مثلها العليا وتقاليدها التي تحرص عليها فالتدريب الخلقى لا يعتمد كثيراً على التعليم النظري والكتب والوعظ فقط وانما يحتاج الى خطة عملية وطريقة واضحة . لذلك نرى ان كل

هيئة اجتماعية تسير في ذلك على طريقته الخاصة بها لأن واجب كل هيئة اجتماعية ان تزود الجيل الجديد بواسطة التدريب الخلقى كافة الصفات الضرورية لتكوين خلق بتلازم ورغباتها ، وقد يحدث ذلك بالتقليد وانما كاة أو حسب خطة موضوعة ووسائل معينة . فالشعوب والهيئات الاجتماعية تسعى دوماً لتحسين حياة الفرد والهيئة الاجتماعية ولذلك فهي تحاول تقوية بعض الصفات الضرورية التي تراها مضرّة لها أو لا تتلائم والعصر الذي تعيش فيه فمثلاً نرى بعض الشعوب في الغرب تشكو من طغيان صفة الفردية والأنانية بين افرادها بصورة اصبحت مهددة لكيان الهيئة الاجتماعية بالنسبة لهذا العصر الذي ساد فيه التعاون وتحمل المسؤولية بالاشتراك مع الآخرين وان الشعوب التي لا تستطيع التعاون والعمل المشترك المنتج لا تستطيع ان تحافظ على كيانها الخاص أو استقلالها الذاتي لذلك ففكرو هذه الشعوب يريدون من التربية الخلقية العمل على اضعاف هذه الصفات في شعوبها وان محل محلها روح التعاون والعطف المتقابل والشعور الاجتماعي لذلك تتوسل التربية في هذه الشعوب لتحقيق هذا الهدف بانتخاب المعلمين من شخصيات قوية وثقافة واسعة ليستطيع بها المعلم السيطرة على الطلاب وان يكون مرشداً لهم في العمل والانتاج فيفرض بذلك الحرمة على طلابه . اما الشعوب التي يسودها التعاون الاجتماعي فقد تشكو من زيادة ذلك وتريد احياناً في بعض الفترات أن تقوي الشخصية حتى لا تفقد وحتى يستطيع الشعب عند فقدان القيادة ان ينظم نفسه ويوجه له القيادة الصالحة لظروفه وكثيراً ما نرى الفرق الجوهري في التربية الخلقية الغربية هو اما طغيان الفردية الشخصية أو ضعف هذه وسيادة روح الاندماج في المجموع .

اما تريدتنا الخلقية فهي بحاجة قبل تقريرها الى دراسة الحالة التي تعيش فيها ومقدار التأثير الذي أحدثه عليها النظم العصرية الحالية ومقدار اقتباسنا عن الماضي أو تعلقنا به ولذلك فواجب المدرسة عندنا قبل البدء بالتربية الخلقية أن تحقق ما يلي :

١ - ان تعين بوضوح المثل العليا التي تطلبها البلاد والتي يجب ان تتلائم مع روح هذا العصر ، حيث اننا نشعر بوجود غموض في هذه المثل نظرًا لاحتكاكنا القوي بالغرب ومرورنا الآن في مرحلة تطور اجتماعي قوي .

٢ - ان توضع قواعد واضحة لانتخاب القائمين على توجيه الجيل الجديد واصلاح اخلاقه ليؤمنوا للبلاد تحقيق هذا الهدف حيث ان التأثير الخلقى يحدث بواسطة الشخصية القوية والعمل الصحيح فلا بد ان يكون كل مربى متصفًا بالخلق المتين وقوة العمل ليستطيع بذلك ان يكون مثلاً حياً للطلاب في هذا الاتجاه الخلقى ويؤثر على اتجاه الفرد وسلوكه .

٣ - يجب ان توضع خطة واضحة عامة لتحقيق الهدف الخلقى من قبل مفكرى الأمة والهيئات التي يهمها الأمر .

٤ - على المدارس تهئية الجو الاجتماعى الضرورى الذى يسوق الفرد فى الطريق المرسوم نحو الهدف العام اذ ان هذا الجو الاجتماعى خير معين للتوجيه الخلقى ولتكييف سلوك الانسان وتهذيب تصرفاته .

وتحقيقاً لتطبيق بعض استس التربية الخلقية فى المدرسة لا بد لنا من توجيه هذه الملاحظات الضرورية للمعلمين الذين يقصدون الغاية الخلقية بهذه التربية .

١ - ان خير طريقة للتربية الاخلاقية انما هى الامثلة نفسها التى يعطيها المربى للطفل والشباب بحيث يكون المربى خير مثال يقتدى به من قبلها سواء فى تصرفاته او فى معاملته او فى تعبيره ومناقشته .

٢ - علينا ان نعى عناية خاصة بتكوين الثقة فى نفس الطالب فنمنحه الثقة ليقوم بالعمل الموكل اليوم وهذه الثقة هى التى تجعل الطالب يعتمد على نفسه ويغامر فى القيام بالعمل بنفسه .

٣ - يجب ان نمرن الطلاب على حكم انفسهم بانفسهم ونمرنهم كذلك على ادارة انفسهم مهما امكن لان ذلك يمنح شعور الثقة بالنفس ويوحى الاحترام والتقدير .

٤ - على المدرسة ان تعنى عناية خاصة بتربية الارادة لا سيما اذا شعرت ان الحياة تتطلب التعود في البت في امور الحياة الجديدة التي تعقدت كثيراً ولا يصلحها إلا قوة الارادة .

٥ - التربية بالعمل والقيام بالتجارب بحيث يعطي الطلاب فرصة كافية للقيام بالاعمال الضرورية بانفسهم .

١ تربية العقلية

كان العقل وما زال محتلاً المركز الأسمى من التقدير البشري ، حيث كان يعتبر الفارق الأوحده بين الحيوان والانسان ، فهو الذي يرفع الانسان درجات فوق المستوى الحيواني . ولقد غنى بالعقل كل دين سماوي كما اهتمت به الفلسفة وبقية العلوم الاخرى . فلقد ذكر (ديكارت) ان الحيوان كآلة المعقدة التركيب المجردة من الحياة العقلية ، أما الانسان فهو كالحيوان لكنه يزيده بشيئين (١) التفكير (٢) الارادة (مظهر العقل) ، ولذلك فقد انتشرت كلمته المشهورة (اني افكر ولذلك فاني كائن) .

ومثل هذه الاوصاف والتحليل كثيرة في كتب الفلسفة والأدب ومنتشرة عند جميع الامم . وللعرب قديماً القدر المعلى في هذا الموضوع فلقد فرقوا أيضاً بين الانسان والحيوان بأن قسموا النفس الى ثلاثة اقسام : —

(١) النفس الشهوية (٢) النفس النبضية — وهما عامتان في الانسان والحيوان

اما النفس الثالثة فهي النفس الناطقة — وهي خاصة بالانسان

وبهذا الالتفات يكون العرب قد اصابوا ناحية من نواحي الفروق الطبيعية بين الانسان والحيوان — حتى اننا لنشاهد اليوم انصار نظرية دارون الذين يبحثون عن الحلقة المفقودة يفتشون في الهياكل المغلقة صفات النطق — إذ أن قسماً منهم يعتبر الفارق الاساسي بين الانسان والحيوان هو قابلية النطق — حيث

تعتبر هذه القابلية تعبيراً عن العقل او التفكير ولذلك فإن الهياكل التي تتمتع
بتركيبها بقابلية النطق المعبرة عن التفكير إنما هي الفارق الانساني عن الحيوان
ولأهمية العقل الكبيرة هذه وصف الانسان فيللاً بأنه الحيوان العاقل
فالعقل وحده هو الذي يرتفع بالانسان عن مستوى الغرائز الطبيعية الى المستوى
الذي يلائم الهيئة الاجتماعية كذلك يستطيع الانسان بواسطة العقل أن يكيف
حياته وفقاً للظروف والحاجات الخاصة .

فنظراً لأهمية العقل وقيمه في الحياة فقد وضعت التربية القديمة نصب عينها
تقويته ونموه لذلك كانت تسعى دوماً لايجاد الوسائل الصالحة للوصول الى هذه
الغاية وقد كثرت الابحاث والنظريات حول تدريب القوى العقلية ومادة التدريب
فعرف العقل بتعاريف مختلفة بالنسبة للعصور القديمة وبالنسبة لنظرات
العلماء المختلفة .

لقد كان علماء القرون الوسطى يعتبرون العقل الوسيلة الخاصة بالتفكير وحل
الصعاب لذلك كان لازماً على التربية أن تروض العقل بعرض المشاكل الفكرية
امام الطلاب ومساعدتهم على طريقة حلها . وهذا ما جعل علماء ذلك العصر
يعتقدون ان هناك مواداً خاصة صالحة لجعل العقل قوياً وحساساً فقد شبهوا
العقل بمجد السكين فكلاً كان هذا الحد قاطعاً وحاداً كلما استطاع أن يقطع كل
شيء به أي أن العقل اذا أعتاد على حل بعض الصعوبات الفكرية المعينة ، يستطيع
حل كافة الصعوبات الاخرى لذلك اكتفوا بتدريس الرياضيات والقواعد واللغات
القديمة منها واعتبروا ذلك كافياً لتدريب القوى العقلية وبواسطتها يستطيع العقل
التغلب على كافة صعوبات الحياة الاخرى . وقد لعبت هذه الفكرة دوراً هاماً
في التدريس حتى لقد دعت بنظرية الترويض العقلي وآمن بها عدد كبير من
المشتغلين بأمور التعليم مدة طويلة .

إلا ان العلم لم يؤيد هذه النظرية لا سيما بعد أن توسعت الابحاث في علم التشريح وعلم النفس فبحث علم التشريح بدقة في العلاقة الموجوده بين الاعصاب والقوة الفكرية وتوسع علم النفس في بحث الذكاء والملاكات العقلية فأوجد نتائج لا تتفق ونظرية الترويض العقلي هذه ، لذلك لم يصبح العقل شيئاً مستقلاً كما كان يتصور الاقدمون .

كل هذه الآراء من قبل مختلف العلماء حول قوة العقل دليل واضح على أهمية هذه القوة للانسان ، حيث انه نجد ان الحيوانات تشارك الانسان في كثير من الغرائز والميول الطبيعية ، وان هذه الغرائز قد تكون في كثير من الحيوانات اقوى مما هي في الانسان ، ولكن الانسان ينفرد بالقوة العقلية ، فهذه القوة هي التي تدير الانسان وتوجهه لانها هي التي تقوم بدور القضاء والفصل في معترك الحياة فهي التي توجه الوجدان وهي التي تمكن الانسان من ملائمة المحيط الذي يقع فيه . وهي التي توجه الغرائز ايضاً فتفسح المجال لبعضها وتقف في طريق نمو وقوة البعض الآخر .

يضاف الى ذلك ان بعض الفلاسفة والعلماء يعتقدون ان جميع المخترعات والاكتشافات اما هي من انتاج القوة العقلية كذلك يرون ان اكثر المثل العليا الاجتماعية ما هي إلا ثمرة من ثمرات هذه القوة .

كل هذه الاهمية تدعو التربية لان تبحث في العقل والطريقة المساعدة لنموه وتحسينه .

العقل :

ما يزال حتى اليوم بعض العلماء يعرفون العقل بتعاريف مختلفة فمنهم من يرى ان العقل والنفس والروح شيء واحد وانما هي درجات فقط اعلاها الروح وآخرها العقل وان الحيوان يشارك الانسان في آخر درجات العقل . ويستدلون على ذلك من مصدرين أحدهما عضوي وهو وجود المخ في الانسان والآخر غير عضوي وهو سلوك الانسان .

وهناك من يعتبر ان العقل هو نتيجة فعاليات مختلفة ، كالذكاء والخيال

والتجريد والحكم والمحاكمة والذاكرة ولهذا فالفعالية العقلية إنما هي نتيجة هذه الفعاليات المختلفة .

وأنه أصبح واضحاً أن المعلومات لا توصل إلى الإنسان إلى نمو الفعاليات وإنما تفيد المعارف والمعلومات ذلك فقط فكثيراً ما نرى أنه لا يسير النمو العقلي بنفس السرعة التي تنمو فيها المعارف وأن هناك فرقاً كبيراً بين العقل والمعرفة كما أن هناك فرقاً كبيراً أيضاً بين العلم والذكاء . وقد لوحظ أحياناً أن كثرة المعلومات لا تفيد العقل شيئاً لا بل تضره لا سيما إذا تكدست بكثرة بحيث لا تستطيع الفعاليات تحليها والاستفادة منها في الحياة اليومية .

فللبحث في التربية العقلية لا بد لنا من التفكير في هذه الفعاليات المختلفة التي ذكرت وقد قدم لنا علم النفس ثروة لا يستغنى عنها في هذا الباب إذ قام بدراسة الفعاليات دراسة علمية موضوعية وحتى اليوم وهذا العلم يقوم بتجاربه حول المواضيع التي ما زال الغموض يتناولها ولم تعط التجارب فيها نتائج قاطعة .

لذلك فواجب التربية عند بحثها للناحية العقلية أن تسرشد بتجارب علم النفس إذ أن وظيفتها الأولى هي تنظيم المواقف والفعاليات والاستفادة منها ونتيجة دراسة علم النفس ضرورة للوصول إلى تنظيم هذه الفعاليات .

لقد اختلف العلماء في قابلية نمو الفعاليات والملاكات إلا أن الشيء الثابت أن تنظيم العمل بصورة جيدة يعطي نتيجة طيبة ومقبولة فلقد ذهب بعض علماء النفس إلى أن الفعاليات تصل بواسطة التوجيه إلى حالة التصادم والتعاون وبهذا التصادم والتعاون يزداد إنتاج الفعاليات .

على أن بعض علماء القرن الثامن عشر ومنهم روسو يعتمد اعتماداً قاطعاً بأنه يمكن تربية العقل - فهو يرى أن الطريقة التي بويها الحسنة تعد على تقوية العقل لذلك يضع أكبر جزء من التربية على الطريقة الصحيحة .

وسواء كانت هذه الفعاليات تنمو أو تتعاون فإن الانتاج هو الهدف الاول للتربية وقد ثبتت زيادته عند التنظيم واستعمال الطريقة الصالحة له لذلك أصبح من واجب التربية التفكير في الطريقة الصالحة التي تعد الطريق الصحيح لتحقيق ذلك. فالمقدرة العقلية هي المقدرة الخاصة بالمعرفة والادراك والمحاكمة لذلك أصبحت هذه النواحي الثلاث هي المظهر الخاص للقوة العقلية فنظراً لأهمية المقدرة العقلية نرى الانسان عند فقدان العقل يصبح مجنوناً لذلك لاحكم عليه في كثير من الامور بالنسبة لكثير من القوانين المدنية ويعتبر كأنه قد سقط من حساب اعضاء الهيئة الاجتماعية. وكلما تعقدت أسباب الحياة كلما أصبح ضرورياً لها زيادة تنظيم الفعاليات فاذا ضعف ذلك نتيجة لضعف القوة العقلية عند ذلك نجد القوانين تحرم بعض الحقوق على ضعاف العقول، لأنهم عاجزون عن تنظيم حياتهم تنظيماً معقولاً والتغلب على ما يواجهون من صعوبات ومشاكل.

إن العمل العقلي مختلف ومتنوع وقد يعد أسهله الاعادة بعد الحفظ وأصعبه هو العمل العقلي المنتج. لذلك لابد لنا لمعرفة التربية العقلية من التفكير في أكثر أنواع العمل العقلي ومحاولة اصلاح كل منه بعد دراسته وفهمه. إلا أن أكثر العلماء يكتفون بالاعتناء بمظاهر الحياة العقلية الاربعة - الفكر - الوجدان - الارادة - الذاكرة ولذلك يعنى فيما يلي :-

١ - التفكير ٢ - الارادة ٣ - الذكاء ٤ - الذاكرة

ولقد بحث العلماء الاولون لاسيما الذين تلوا عصر النهضة في التفكير وحاولوا تعريفه بشتي التعارف فقسم من العلماء كانوا يعتبرون التفكير بأنه مرادف للشعور أما الآخرون فيرون أن الانتباه هو الضروري للتفكير بالاضافة الى الشعور وقد يحدد بعض العلماء التفكير بالفكرة التي تخطر في الذهن ولا يدركها العقل عن طريق الحواس - كالذكريات والصور والخيالات.

على أن علم النفس الحديث يعتبر التفكير بأنه هو العمل الشعوري أو اللا شعوري مع وضوح في التصور وفهمه ، أو هو ربط الفكر بعضها ببعض في علاقات مفهومة تنتهي الى نتيجة تقرر نفسها بالصورة على العقل ، أو هو العملية العقلية التي يقوم بها العقل عند مواجهة موقف معقد ليتصرف تصرفاً معيناً بالنسبة لظروف والعلاقات . لذلك يحتاج التفكير الى الحس والحدس .

أما كيفية سير عملية التفكير فذلك من اختصاص علم النفس وأما تقدير نتيجة عملية التفكير فيختص بها المنطق . وقد يصطلح الكثيرون على أقسام التفكير فيقسمونه الى تفكير واضح أو غير واضح أو تفكير شعوري أو لا شعوري أو تفكير علمي وغير علمي لذلك فالتفكير يشترط الاقسام الثلاثة :-

١ - الوضوح ٢ - المحاكاة ٣ - النتيجة

لذلك فالـ كائن المفكر ينتفع من الماضي للتصرف بوضوح في الحاضر والاستعداد كذلك للمستقبل ويستطيع كذلك تقدير القيم النسبية لكل شيء فيرى المفكر في الحوادث والاشياء والظواهر الطبيعية معنى لا يدركه إلا المفكر .

والتفكير يعتبر الجزء المهم في تحقيق المعرفة إذ أن المعرفة تنبع من مصدرين (١) الحس (٢) التفكير . فكل حس أو شعور لا يقترن بتفكير لا يمكن أن يوصلنا الى معرفة صحيحة ، حيث أنه لا قيمة للحس أو للفكرة ما لم تقترن بالتحقيق لايجاد البراهين والتسلسل في البحث والنتائج الحاسمة . ولأهمية التفكير في القوة العقلية فقد أطلق قبلاً على الانسان بأنه حيوان مفكر .

وعلى هذا فقد اعتبرت التربية ، ان عملية التفكير هي اولى الاهداف التي يجب أن تعني بها التربية العقلية لأن احدى غايات التربية العامة هي أن يقوم الانسان بالتفكير بمحاكاة نفسه ومعرفتها وان ينتخب بعد ذلك أهدافه العامة بالنسبة لقابلياته الخاصة وهذا لا يتم إلا بعد تفكير شخصي صحيح .

كما انه ثبت أن الناس ليسوا جميعاً ميالين بقوة متساوية الى التفكير حيث أن

التفكير يحتاج الى مراس مستمر ولذلك فقد قسم بعض العلماء قبلاً القوى العقلية

الى ثلاثة أقسام رئيسية وهي المعرفة والوجدان والارادة وقسموا الناس الى ثلاثة أقسام أيضاً على أساس مبلغ قوة كل منهم في احدى هذه القوى فقالوا :

١ - العلماء المفكرون - وهم الذين تغلب على حياتهم النزعة الى التفكير والبحث

عن المعرفة العلمية .

٢ - الشعراء والفنانون - وهم الذين تغلب على حياتهم العاطفة والوجدان ويكونون

بعميدين عن التفكير .

٣ - القواد والمديرون - وتغلب عليهم قوة الارادة والقوة التنفيذية - اكثر من القوة التفكيرية او القوة العاطفية ومثل هذه التقسيمات مستمدة من أمور كثيرة اهمها ملاحظة الناس في حياتهم الخاصة والهئية الاجتماعية ، إذ يجدون ميلاً قوياً في بعض الناس الى ناحية واحدة من هذه الاقسام .

على أن العلماء المحدثين ينادون ببطلان هذا الاتجاه ويرون ان العقل وحدة وان الظواهر الثلاث هي موجودة في العملية العقلية الواحدة ، فهذه القوى أو الملكات المختلفة ليست منفصلة ولا منعزلة وإنما هي متصلة ومتحدة .

ان التربية لا تفضل صنفاً على آخر وإنما تسعى للاستفادة من هذا الاستعداد والقابلية وتنميتها بان تصبح قوية ومنتجة فالهئية الاجتماعية لا تعيش اذا كان كل افرادها علماء أو كل افرادها قواداً أو شعراء وإنما يجب ان يستخدم كل فرد ميله واستعداده لصالح المجموع .

لذلك فالعلم الحديث يتطلب لكل عمل من هذه الاعمال الثلاثة قوة تفكيرية معينة اذ ان كل عمل لا يصحبه تفكير لا يعطي النتائج المأمية المرجوة . فلا بد للتربية اذن ان تنظر في مهنة كل انسان واستعداده الفطري وميله الطبيعي وان تقوي عملية التفكير في الانسان لأنها الدعامة الاساسية للحياة العقلية وتربيتها . فالتفكير لا يمكن الاستغناء عنه مطلقاً للوصول الى المعرفة الصحيحة والمعرفة تؤثر دوماً على السلوك لا سيما اذا كانت هذه المعرفة مكتسبة من الحياة مباشرة . لذلك نرى ان المعرفة المستقاة من الكتب المدرسية لا تؤثر كثيراً في الحياة اللا

مدرسية ، كما يرى جون ديوي ان خير معرفة للتربية هي المعرفة التي يستمدّها الطالب بنفسه ومن الحياة نفسها . فالعلم في نظر جون ديوي انما هو مؤلف من الوسائط والاساليب التي توصل البشر اليها شيئاً فشيئاً لأجل قيادة التفكير في احوال وسبل تيسر امتحان عملياته ونتائجها وهو مصطنع مكتسب غير تلقائي ومتعلم غير اصيل .

لذلك فلا يمكن الوصول الى نتائج علمية إلا بواسطة التفكير والعمل .
والتفكير يمكن تربيته وانمغن عليه . لذلك فالتربيته يرى المربي الافرنسي ييو صاحب كتاب بين التربية وعلم النفس النقاط التالية اساسية لذلك :-

١ - لا بد لتربية التفكير من تربية الارادة اذ كل ما نقوم به لتقوية الارادة يساعدنا على تقوية التفكير .

٢ - لا بد من تنمية حب الجهد العقلي والميل الى التأمل .

٣ - التجربة تظهر فائدة التفكير بتوضيح الغوامض .

٤ - يجب تقوية الذكاء حتى تقدم للعقل ما هو بحاجة اليه من مواد .

٥ - التعمود على طريقة الدراسات العلمية .

وهناك طرق اخرى ومواد مهمة للتفكير لا يمكن ان يهتمها المربي عند محاولته تغذية التربية العقلية ولهذا فعلى المربي ان يستفيد من اجنات علم النفس في النواحي الأخرى ليقوم بتقويتها ايضاً وليجعل عملها منسجماً مع التفكير ، اذ انها انما هي وحدة غير منفصلة ولقد استطاع علم النفس في الفترة الاخيرة من الوصول الى حقائق يمكن ان يطمأن اليها علمياً حول الوجدان والارادة والذكاء والذائكة فاستطاع لمعرفة قيمة كل منها في الحياة العقلية والطريقة الصالحة التي يجب ان تيسر عليها لزيادة الفعالية ولايجاد التساند والتعاون بين الفعالية ولذلك فنكتفي هنا بان نذكر بعض الامور التي يجب ان يعنى بها عند محاولة التربية العقلية .

١ - لا بد من تربية الحواس وتنويعها ، حيث ان ذلك يؤدي الى تقوية

العقل ، وذلك لنمو العلاقة بين الجسم والاعمال العقلية .

٢ - لا بد من تحسين بيئة الشخص المادية لغاية التربية العقلية . كتناول غذاء

كاف من الطعام المغذي والهواء النقي والراحة الجسمية .

٣ - لا بد للمعلم من تنويع التمارين المدرسية اذ ان الفكرة القائلة بوجود تمارين تساعد النمو العقلي دون غيرها قد بطلت واصبح واضحاً ان جميع الدروس تساهم في تمرين القوة العقلية والطريقة الصالحة لجميع العلوم ذات قيمة بالنسبة للتفكير وأن كانت لا تتساوى في مستوى التفكير الذي يتطلبه كل منها .

٤ - لا بد لنا من الاستفادة من تجارب الحياة ، اذ كلما كانت المعارف مكتسبة رأساً من الحياة كلما كانت متصلة بالفعالية الشخصية وتعطينا معرفة صحيحة .

٥ - محاولة اصلاح احكام الطلاب العلمية الخاطئة ومحاربة التسرع في الاحكام العقلية الهامة وذلك بارشاد الطلاب الى تحمل صعوبة التفكير والصبر على معرفة جميع جوانب الموضوع والفكرة قبل اعطاء الحكم .

٦ - المدرسة بحاجة الى اعطاء نماذج صحيحة لتقوية المحاكمة وان تزيد في حفظ الاشياء الصحيحة لتستطيع محاربة التحيز الشخصي .

٧ - يجب تدريب الارادة والانتباه بصورة خاصة وذلك لمحاربة ضعف الثمة بالنفس ، اذ ان ذلك يفسد التفكير ويعرضه الى الخطأ ، حيث يكون المرء بدون ذلك كثير التردد في الرأي متهيئاً من اعطاء حكم خاص .

٨ - تنمية الاطلاع ومعالجة القضايا بصحة باشر اك الطلاب بالجهود والبحث لا سيما في المدارس الثانوية التي يتطلب منها التفكير العقلي .

٩ - السعي لجعل الطلاب يعبرون عن افكارهم بوضوح وان يكونوا دقيقين في الحكم وذلك لمحاربة فساد الفكر من وجود الانسان دون ذلك بوسط اجتماعي مغمور بالتقاليد ومتحيز للمثل العليا السائدة وربما يبقى الطلاب باحلام غير قابلة التحقيق لفقدان دقة الاحكام .

واخيراً يجب أن يعرف المربون ان الغاية من التربية العقلية ليست حل الالغاز بل تهذيب العقل والاستفادة من المعرفة في الحياة العامة وتنظيم المعرفة المستمدة من الكتب والاختبارات الشخصية . ان الحكم على الانتاج من حيث قيمته

العقلية يجري وفقاً للمستوى الثقافي الذي تتمتع به الهيئة الاجتماعية من ناحية ووفقاً للطريقة المألوفة في الهيئة الاجتماعية من ناحية ثانية ولذلك لا بد للتربية العقلية من تعويد الطلاب على ان يراعوا هذا المستوى وهذه الطريقة .

وعلى المربي ان يعلم ان قوة التفكير يمكن ان تتغير ويمكن أن تتحسن ولذلك على المربي ان يضع نصب عينه تنمية هذه القوة اذ هي القوة التي تستطيع التفريق بين الخطأ والصحيح ولذلك باستطاعة المدرسة تحويل التصرفات الغريزية المتسارعة الى عادات تفكير صحيح ولتؤمن اخيراً ان مدارسنا مملوءة بالطلاب الضعيفي التفكير اما لسبب الكسل او ضعف البيئة أو قلة الغذاء أو فقدان العناية الجيدة وربما يكون بعضهم ناقصي العقول ومثل هؤلاء يعرفون سير عملية التفكير ويؤخرون الانتاج الفكري وربما يكونون بسبب ذلك عرضة لارتكاب اعمال خطيرة وان يتصادموا مع قوانين المدرسة وانظمتها لهذا السبب .

التربية العاطفية

ان بحث العواطف ما زال حتى الآن سائراً بقوة في اجاث علم النفس ، حيث ان العواطف تشتق من الافعال وتصدر ايضاً عنها ولقد وجد الناس قوة العواطف واثرها في جميع أعمال الانسان وتصرفاته .

لقد اطلقت العواطف على اشياء كثيرة منها ان الناس اطلقوا العواطف أولاً على مجموعة التجارب الشخصية التي تطلعنا على مصدر الافعال الخاصة . وقد اطلقت العواطف أيضاً على الاحكام الشخصية أو الآراء الذاتية واحياناً اطلقت أيضاً على الميول الخاصة والهيجانات لهذا السبب قد ذهب القدامى مذاهب كثيرة في بحث العواطف حتى ان أكثرهم كان يستخف بها ويستعجنها ولذلك تهمل العواطف ووجه تفكير الناس واهتمامهم الى الناحية العقلية . ولا ننكر حتى اليوم أن الكثيرين من المدرسين في بلاد كثيرة ما زالوا يوجهون جل اهتمامهم الى النواحي العقلية ، تاركين تهذيب العواطف وتربيتها رغم مبالغته بعض العلماء كرسو

وغيره في قيمة العواطف في الحياة وصلاتها وربما يكون لهذا الإهمال من قبل المدرسة سبب تقليدي حيث أن المدارس وقعت تحت تأثير الآراء الفلسفية اليونانية التي تدعو إلى العناية بالناحية العقلية وتؤكد على اكتساب المعرفة والمعرفة وحدها قادرة على إصلاح الأخلاق وإعطاء الفضائل للإنسان . لذلك فالعناية الأولى بالعلم ، والعلم مصدره المعرفة "المقتبسة" من القوة العقلية والتفكير لا من العاطفة وهذه هي التي أثرت على اتجاه المدارس وما تزال تؤثر عليها حتى يومنا هذا .

وبعض الفلاسفة القدامى كانوا يهدفون إلى تثبيت العواطف الراقية كالعدالة وحب الحقيقة والتضحية ، ومثل هذه العواطف لا تكون عادة بنفس القوة التي تكون فيها العواطف الأخرى لذلك إذا أعطيت العواطف حرية كبيرة فتتد تغطي بعض العواطف الأخرى القوية فتسير الإنسان في اتجاهها ولذلك قد يعرض خلق الإنسان إلى الأخطار وهذا الخوف هو الذي حمل أمثال هؤلاء العلماء على احتقار العواطف والإلحاح على كبتها وخنقها .

٢ - أهمية العواطف

للعواطف أهمية كبرى في الحياة فهي التي تلعب الدور الدول في تنظيم الانفعالات وترتيبها وبذلك فهي التي تظهر نوع سلوك الإنسان وهي التي تحرك الإنسان وتدفعه نحو الإنتاج والتصرف العملي في الحياة .

ولقد مر زمن على الإنسان وهو يهمل العواطف ولا يعطيها قدرها في الحياة ، إذ منح جل تقديره للتفكير والقوة العقلية ، واعتقد أنها هي الغاية السامية في الحياة ، أما العواطف فهي ضعيفة الأثر في الإنتاج الفكري والحضارى ولا تقيد الإنسان كثيراً في حل مشاكل الحياة والتغلب على الصعوبات .

إلا أن روسو ومن تلاه من بعض المفكرين قد أوضحوا قيمة العواطف فنبهوا الناس بذلك إلى أثر العواطف في الحياة وقيمة العواطف من الناحية الخلقية وإن الإنسان أضاع ثماراً كثيرة وطيبة نتيجة لإهماله العواطف . كما أظهر بعض

المؤرخين أيضاً أن أكثر المخترعين والمفكرين والقادة لم يكونوا ضعيفي العواطف كما كان الناس يتصورون وإنما هم أقوياء في الحاسية والشعور وأقوياء في كثير من العواطف المختلفة فالحس الديني كان يملك نفوس بعضهم والعاطفة الجمالية كانت تطنى على نفوس آخرين .

ولقد استعاد العالم بهذه الملاحظات القوية قوة العواطف واستخدمها الانسان في الحياة اليومية الحاضرة . حيث أن الحياة اذا فقدت الحماسة والشعور القوي فقدت ثماراً كثيرة من الناحية العملية والادارة والاصلاح الاجتماعي . فشعور الانسان واحساساته قوة لا يستهان بها في اصلاح الاخلاق وتكوين السلوك ودفع الانسان للتحمس للفضائل والدفاع عنها وتقديم التضحيات في سبيل مثل عليا وبهذه العواطف يصل الانسان الى درجة النمو والتحلي بصفات اجتماعيه راقية كالتضحية والاثرة والكرم .

لقد آمن الناس الآن بأن العواطف قوة لا يستهان بها في الحياة وأن نفس الطفل مزودة بهذه الميول الطبيعية المختلفة وان ذلك فمن واجب التربية أن تهىء للطفل أسباب الوصول الى أهدافه العامة وذلك بأن نربيه تربية تساعد أن يهيمن على نفسه ويوجهها في الطريق الصالح وذلك بتربية عواطفه تربية صحيحة ، إذ أن العواطف قوة عمياء لا تفيد إلا اذا وجهت وهذبت وذلك بوضع نظام يساعد على انسجام العواطف المختلفة وتوجيهها في طريق واحدة يقود الى الهدف العام . ولقد ثبت الآن بعد التجارب العديدة التي قام بها علم النفس أن العواطف هي أقوى منبع للفعالية في الانسان وان العواطف مختلفة الاثر فمنها ما تكون عواطف جيدة واخرى تكون سيئة لذلك لا بد للتربية من أن تعني بالحسنة فتقويها وتنميها وتكبت على السيئة كي لا تميح الفرد عن الوصول الى مبتغاه .

ورغم تعدد العواطف فقد تطنى عاطفة واحدة على بقية العواطف لتطبع الانسان بطايعها وهذا ما نشاهده في الحياة اليومية من اهتمام بعض الافراد

بناحية واحدة من الحياة كأن يصرف كل جهوده وتفكيره نحو جمع المال لطغيان عاطفة حب المال في نفسه أو التفكير في نفسه لطغيان حب الذات أو نكران الذات نهائياً فيما إذا طغت عليه عاطفة حب الوطن أو فكرة معينة . لذلك فإن سلوك الانسان كثيراً ما يمر بمرحلة العاطفة الطاغية لأنها هي التي تسيطر عليه وتوجه اعماله وحياته في طريقها .

وللعاطفة اذاً أهميتها الكبرى في الحياة الاجتماعية ، حتى ان علماء النفس يرجعون منشأ المجتمع البشري الى وجود بعض الغرائز والعواطف في الانسان لا سيما عاطفة الابوة وعاطفة الحب وحب الظهور ولذلك فهذه العواطف هي التي تقوم بتنظيم المجتمعات واصلاح الحياة الاجتماعية وحمل الانسان على الاشتراك مع بني جنسه في أمور كثيرة ويألف العيش معهم .

ولا بد لنا قبل البحث في التربية العاطفية من القاء نظرة سريعة الى العواطف وفقاً لنتائج دراسات علم النفس في هذا الموضوع .

ان البحث في العواطف حديث العهد اذ تم ذلك في القرن العشرين فلقد كان يظن قبلاً انه لا فرق هناك بين العواطف والانفعالات حتى جاء العالم الانكليزي « Shand شاند » بنتائج بحثه في التفريق بين العواطف والانفعالات كما اصبح يفرق ايضاً بين العواطف والغرائز والاعمال المنعكسة وهذا التفريق يشمل عدة نواحي اهمها ان العاطفة تشغل جميع اعضاء الجسم بينما يشغل العمل المنعكس والغريزة جزءاً فقط من الجسم لذلك فقد اصبح تعريف العاطفة ما يلي :-

العاطفة - هي ارجاع موروث متهيج بطبيعتها تشغل جميع اعضاء الجسم بالتعبير عنها وخاصة الجهاز الغدي والحشوي والاعصاب المرتبطة بهما ولها علاقة قوية في المحافظة على الفرد والدواع .

لذا ففد ساد التعريف بأن العواطف هي مجموعة انفعالات منتظمة تتركز حول شخص معين أو شيء معين .

لذلك فالعاطفة اكثر من انفعالات عدداً واكثر منها تركيباً اذ ان كل

عاطفة تحوي عدة انفعالات كالحنن اذا اصاب الحبيب مكروه ، وانفعال الحنو اذا رأى المحب حبيبه او تذكره وانفعال الزهو والاعجاب اذا سمع اخباراً سارة عنه وهامجراً .

على ان العاطفة مهما تعددت انفعالاتها لا بد ان تتميز عن غيرها باقرب انفعال فيها فمثلاً عاطفة الحب تتميز بانفعال الحنو وعاطفة الكراهية بانفعال الاشتمزاز لأن هذا الانفعال هو اقوى انفعال في العاطفة .

أقسام العواطف

لقد قسمت العواطف الى نوعين :

- ١ - العواطف المادية - وهي العواطف التي تتمركز حول شيء مادي كان تكون حول كتاب معين او رواية معينة او طفل معين .
- ٢ - العواطف المعنوية - هي التي تتمركز حول فكرة معينة أو مبدأ معين كأن تتمركز حول تقدير الجمال او الصداقة او الكرم .

وعلى هذا فان العلماء لا يكتفون بالاهتمام بنوع واحد من العواطف وانما يهتمون بالقسمين على حد سواء فقد وجد ان العاطفة المادية تتطور بالنسبة لخبرة الانسان وتجاربه في الحياة فحب الطفل لأمه مثلاً يتطور ويتحول الى حب الرفيق والمدرسة واحياناً المجتمع والوطن . كما ان العواطف المعنوية تتقوى وتثبت فيما اذا استطاع الانسان ان يجد لها مثلاً مادياً واضحاً .

العاطفة والعادة - ولقد حصل التباس ايضاً في الخلط بين العاطفة والعادة إلا ان دراسات علم النفس قد فرقت بوضوح بين العادة والعاطفة إذ ان العادة انما هي صفة مكسبة وتعمل في حدود طبيعية وتحت ظروف واحدة وان أي تغيير في ظروف العادة قد يحطم العادة ويزيلها بينما العاطفة صفة طبيعية وثابتة .

طريقة التربية العاطفية

لا بد للمدارس قبل البدء في اتخاذ وسيلة معينة للتربية العاطفية من اجراء

بعض التجارب الضرورية لايجاد العواطف الطاغية في طلاب المدرسة او المجتمع الذي يضم المدرسة اذ أن هم المدرسة الاول هو ان لا تكون العواطف التي تتعارض والمجتمع طاغية في نفوس الافراد . كما انه قد يكون من الاصلح بالنسبة للمجتمع والمصر أن لا تكون بعض العواطف التي لا تلائم العصر طاغية ايضاً في افراد المدرسة حيث أن احدى غايات المدرسة الاساسية هي التوفيق بين المصالح الخاصة للفرد والمصالح العامة التي تهتم المجتمع وقد يكون لنظام العصر الذي تعيش فيه الجماعة أثر كبير في تحديد العلاقة بين المصالح الخاصة والمصالح العامة . وللوصول الى هذا الهدف لابد من تربية قوة السيطرة على النفس في الانسان إذ بذلك يستطيع الفرد تنظيم سلوكه وان يدير امره في هذا الاتجاه .

فالانسان مجبر بحكم عيشته مع الآخرين أن يحد من رغباته وان يضبط على نفسه ليجعلها تنسجم مع اتجاهات الآخرين ولذلك على الانسان ان يمتنع عن بعض الرغبات وان يحاربها في نفسه لصالح هذا الاتجاه العام . وعندما نعرف العاطفة الطاغية في الانسان نستطيع بسهولة تحقيق هذا الهدف اذ يمكن كبت رغبة ما برغبة اخرى مضادة لها ومثل هذه الدراسة ضرورية للمدرسة قبل وضع الخطة العامة لتربية العواطف .

بعد قيام المدرسة بهذه الدراسات الضرورية تستطيع أن تضع لها خطة عملية تستهدف تقوية بعض العواطف والكبت على بعضها كما تستطيع أن تلاحظ كل طالب لمفرده وان تحيطه بالجو الضروري لتقوية العاطفة الطاغية فيه او اضعافها . وهناك طرق مختلفة لذلك ، من اهمها النظر الى طريقة التعبير عن العاطفة لأنه هناك علاقة وثقى بين العاطفة واسلوب التعبير عنها وقد لا يفوت المدرسة ان العواطف كثيرة التغير قليلة الثبوت بخلاف الفعاليات العقلية . لذلك لا بد من ملاحظة مستمرة وفي اوقات كثيرة ، وقد يكون من واجب واضعي الخطة ملاحظة ما يلي :

١ - معالجة الطلاب بصورة خاصة واطعاف العواطف التي لا تتلائم وروح

الجماعة او حاجات العصر والعمل على تقوية العواطف المطلوبة بخلق ظروف طبيعية تناسب ظهور هذه العواطف الجديدة المطلوبة .

٢ - استخدام العادة في التربية العاطفية بأن يمرن الطلاب على عادات صالحة يؤكد دوماً على هذه العادات فإذا حرصت المدرسة على النظافة مثلاً عليها ان تقوي عاطفة النظافة بأن تؤكد على القيام بالنظافة داخل المدرسة وخارجها .

٣ - على المدرسة ان تحاول ربط سعادة الطالب بالعاطفة التي تريد تقويتها وأن تظهر له بان تحقيق السعادة متوقف على ذلك لاسيما إذا أرادت ان توجد العاطفة الوطنية عليها أن تبين أن سعادته كفرد مقترنة بسعادة الوطن وافراده وأن تحاول تزويده بالتجارب الضرورية لتثبيت ذلك .

٤ - على المدرسة أن تمثل العواطف المعنوية الضرورية لغاية المدرسة بأشياء مادية حيث ان تصور الاطفال ضعيف وهم بحاجة إلى أشياء مادية محسوسة فإذا أرادت أن تؤكد على العاطفة الوطنية لابد لها من أظهار جمال الطبيعة بصور ومناظر جميلة وأن تكثر من قصص الابطال الذين انتجتهم البلاد وذلك بروايات مشيقة وتمثيلات جذابه وإذا أرادت أن توجد عاطفة الكره للظلم عليها أيضاً ان تكثر من قصص مآسي الظلم وعرض صور ونماذج بهذه المآسي . بذلك يظهر للطلاب موضوع العاطفة وتنظم الانفعالات حول هذا الموضوع

فإذا استطاعت المدرسة معرفة ذلك وسعت لاصلاحه وتنظيمه استطاعت بذلك أن تربي العواطف في الطالب وان تتوصل الى ايجاد حش عاطفي وتقدير داخلي يدفع الانسان لتحقيقه وتقدير قيمته بالنسبة للحياة وتستطيع بذلك ان تحدث الانسجام مع شعور الهيئة الاجتماعية وان تظهر اعمالها بمظهر السلوك الموحد .

ومهما حاول أنصار العواطف لاسيما روسو واتباع مذهبه من أظهار العواطف الطبيعية والغرائز الفطرية بانها هي المرشدة الحقيقية للانسان والقائدة الصالحة لحياة المجتمع أو معارضوا العواطف بانها هي التي تفسد الحياة الاجتماعية وهي التي تسير بالانسان في الاتجاه الذي لا يفيد الانسان والمجتمع لا يستطيعون اليوم التأثير على

المدرسة بان تسير في تربيته العاطفية وفقاً لأخذ هذين الاتجاهين وانما تؤمن المدرسة بان العاطفة لها اثر فعال في حياة الفرد والجماعة وواجبها تهذيب هذه العاصفة إذ لا يمكن أن تقيّد إلا اذا هذبت واصلحت وسارت في الاتجاه المطلوب وعلى ذلك فالمدرسة قد تلخص اسلوب تربيتها للعواطف بالنقاط التالية الهامة :

١ - يجب أن تقوى المدرسة في الطالب قدرة السيطرة على العواطف لأن هدف السيطرة على النفس هو من جملة أهداف المدرسة الاساسية ولذلك فلا بد للطلاب من أن يتعودوا كبت رغباتهم الخاصة وقد تكون أحسن وسيلة لكبت الرغبات الخاصة بإيجاد رغبات مضادة او بتقوية الارادة والروح الاجتماعية .

٢ - انتهاز الظروف الملائم والحالة المناسبة لتكوين عادات حسنة وعواطف راقية وهذه الظروف الملائمة انما هي موجودة بصورة ثابتة ذلك بالنسبة لفترات نمو الاطفال والشباب واستعداد هذه الفترات لقبول اشياء معينة وكذلك من ناحية وجود الفرص والماسبات في الحياة الاجتماعية والتقلبات الطبيعية إذ بهذه الظروف والحالات تستطيع المدرسة ان تربي العواطف الضرورية لحياة الافراد، لأن المقاومة النفسية في هذه الظروف والحالات تكون ضعيفة بالنسبة لغيرها .

٣ - اثارة الفعالية والنشاط في الطلاب ومحاربة العادات السيئة محاربة مستمرة في المدرسة وخارجها وان يتمود الطلاب على الانتاج لأن الانتاج يعطي لصاحبه اتجاهاً خاصاً ويزيل كثيراً من العادات السيئة .

٤ - الاعتناء بالتربية الجسمية لأن الصحة الجسمية تساعد كثيراً على تنقية العواطف الهامة للمجتمع .

٥ - لا بد من إيجاد معلمين يتحلون بالعواطف المطلوبة فاذا كان المعلمون ذوي عواطف سامية استطاعوا أن يؤثروا في نفوس طلابهم وان يساهموا في ترقية العواطف وان يربوا الشعور الصحيح .

٦ - لا بد للمدرسة من استعمال الثواب والعقاب في تربية العواطف على أن

تكون المدرسة حذرة في ذلك حتى لا يعطي نتائج معكوسة . فالعقاب والثواب اذا استخدمتا بحكمة يؤثران كثيراً في تربية العواطف وتقويتها او اضعافها لا سيما اذا آمن الطلاب بصحة الثواب والعقاب .

فاذا استطاعت المدرسة ان تنظم خطة تربية العواطف تنظيماً صحيحاً وأن تطبق هذه الملاحظات تكون المدرسة قد ضمنت تحقيق لقسم الاكبر من هدف تربية العواطف .

تربية الشعور بطف البريعة (الجمالية)

لقد رأينا في العصور القديمة التي كانت فيها العلماء والفلاسفة يوجهون همهم الاول الى تقوية الناحية العقلية والتفكير الفلسفي ويحاولون كبت العواطف المختلفة رأينا هؤلاء العلماء انفسهم يقدرون العواطف الجمالية ويمنحون من يتصف بها مقاماً ممتازاً ومنزلة محترمة . فالشعور الجمالي - ذلك الشعور الذي يحدث في النفس البشرية قبولاً نتيجة لتأثير طبيعي انما هو شعور يقدر ويشجع . ان منابع الشعور والاحساس من الطبيعة كثيرة متعددة ولكنها تتمركز في الفنون (كالصور الفنية والانغام الموسيقية والقوافي الشعرية) ولذلك فالشعور الجمالي هو الذي يكون ضمن النواحي ، ويتكون هذا الشعور والاحساس بواسطة الحواس المختلفة فهي التي هذه تعتبر الواسطة الاولى لا يصال تأثير الطبيعة الى نفوس الافراد وهي العامل الهام في صلة الانسان بالطبيعة . إلا أن هذا الاحساس لا يكون تاماً إلا اذا استعان بالذاكرة من ناحية لانها هي التي تمد الانسان بالذكريات السابقة التي تلعب دوراً هاماً في اثارة الشعور والاحساس وبالتفكير والقوة العقلية من ناحية ثانية ، لان العقل هو الذي يقدم المعرفة ويوجه الفكرة الضرورية لجمال الفن من تصوير وانغام وقوافي وهذه الفكرة هي التي توجد للفن وللشعور المركز الرئيسي الذي يحوم حوله الأحساس الجمالي .

ولاحصول على الحس الجمالي لا بد لنا من وجود عاملين :

١ - العامل الموضوعي - وهو القسم الطبيعي الذي يؤثر على حواس الانسان ويثير الشعور الداخلي فيه .

٢ - العامل الشخصي - وهو مقدار تأثير الشخص واستعداداته للتأثر بالعمل الموضوعي ، لأن الطبيعة تؤثر بنواحي مختلفة ولذلك فكل انسان يأخذ من الطبيعة ما يستطيع أن يتأثر بها وبدون هذين العاملين لا يمكننا الحصول على التذوق الجمالي .

ان الشعور الجمالي والعاطفة الجمالية تسمو بصاحبها فوق كثير من الاشياء المادية فهي التي تدفع صاحبها الى الانجذاب نحو عوامل طبيعية معينة . واذا تأثر الانسان بها فانه يشعر بلذة خاصة تفوق لذة الاحساسات العادية وهذا هو السر في ان العاطفة الجمالية اذا طغت على فرد ما فانه يهمل الشيء الكثير من المظاهر العادية والامور المادية التي تسيطر على نفوس الآخرين لأن العاطفة الجمالية تستولي على نفسه فلا يعبأ بما حوله من أمور واعتبارات . ولذلك قيل : ان عين الفنان ترى غير ما ترى العين العادية .

ولقد اختلف العلماء في موضوع العاطفة الجمالية في الطلاب فمنهم من يرى ان العاطفة الجمالية انما هي عواطف طبيعية يحصل عليها القسم دون القسم الآخر . ولذلك فمن وهب عاطفة جمالية اصبح قادراً على اظهار شعوره الجمالي اكثر من غيره .

بينما يرى القسم الآخر من العلماء أن كافة الاطفال يوهبون العاطفة الجمالية وإنما يختلفون عن بعضهم من ناحية القوة فقط فمنهم من تكون عاطفته الجمالية قوية ومنهم من تكون ضعيفة فالافراد لا يختلفون إلا من ناحية القوة فقط . لذلك فان المهارة تزيد العاطفة الجمالية كما أن الالعب والجو المدرسي يساعد على اظهار ذلك وكتبته .

وللعاطفة الجمالية تأثير كبير على الاخلاق فهي التي تطبع تصرف الأفراد بطابع خاص لأن الاهتمام بالماديات وعدمه يغير الكثير من تصرف الأفراد

واتجاهاتهم في الحياة العامة وهذا هو السر في أن يدعى الحس الجمالي بالحس الروحي الذي يسمو على الماديات والاشياء الفانية .

إن البحث في العاطفة الجمالية بصورة علمية قد بدأ منذ الزمن القديم فقد أكثر افلاطون و(رسطو وغيره من علماء اليونان في تقدير هذا الحس والسعي لتقويته .

إلا أن هذا البحث لم يظهر بوضوح إلا في منتصف القرن الثاني عشر حيث بدأ البحث في الطبيعة يزدهر في أوروبا فأخذ العلماء يتغنون بجمال الطبيعة ذلك الجمال الظاهر وجمال الانسجام في القوانين والعلاقات بين الاجزاء لذلك فقد بدأت نهضة جمالية لا سيما في وسط اوربا (المانيا - فرنسا - ايطاليا) تنمو وتزدهر ومنذ ذلك العصر بدأ الشعر ينتشر ويتنوع والتصوير يتحرر ويبدع والموسيقى تتقدم وتؤثر حتى أصبحت الشعوب الاوربية تعتبر الحس الجمالي جزءاً من حياتها اليومية - فتفنن العلماء في البناء وفي المتاحف والمعارض والقطع الموسيقية والروايات التمثيلية والغناء الشعري الرفق بالقطع الموسيقية . كذلك فقد انتشرت الحداائق العامة ذات الذوق الفني الجمالي وكثرت التماثيل للشعراء والفنانين ومنذ ذلك الحين والتقدير الجمالي يحتل النصيب الاول من تذوق الغربيين على اختلاف طبقاتهم ومستواهم العلمي والاقتصادي .

ولقد أثر الذوق الجمالي في الحس القومي إذ بدأ الشعراء يتغنون بجمال البلاد وجبالها وأنهارها وسماؤها ومياهها حتى أخذت الاجيال تتناقل هذه الاشعار أو تمتع نظرها بالمنظر الطبيعية مما زاد في تعلق السكان بالبلاد وأثار فيهم الحس الوطني والتذوق بما في الوطن من جمال . وقد بالغ العلماء في تقدير الجمال حتى أصبح بعضهم يعتبرون الاشياء الجميلة ترتفع على المستوى المؤلف وتندر كما تندر الاشياء السماوية على أن التذوق الجمالي يختلف من شيء لآخر ومن فترة الى فترة أخرى . ويتطلب شروطاً خاصة وهذا ما يجب أن تساعد على تحقيقه التربية .

كيفية تربية هذه العواطف

أن تربية العواطف الجمالية يتطلب وقتاً طويلاً واستعداداً فنياً معيناً . فالتربية في المدرسة يجب أن تعتني بالحس الجمالي والتذوق الفني حتى يستطيع الطلاب أن يشعروا بسعادة وارتياح داخلي وينسوا الكثير من الهموم الحياتية اليومية ومهما كان الفرد ضعيف التذوق بالجمال إلا أن ممارسة هذه الناحية وإحاطة الطالب بمناظر ذات ذوق عال لا بد وأن ترفع من الاحساس وتزيد في التذوق لاسيما إذا اقترنت هذه النواحي الجمالية بشرح بسيط ومحاكمة بسيطة ولذلك لا بد لنا من القيام بالامور التالية :

١ - يجب أن تعتني المدرسة في كل نواحي اعمالها بالحس الجمالي فلا تكفي بدروس معينة كالرسم والموسيقى والادب بل يحيط الطالب في حياته المدرسية بتنظيم وترتيب يدعو الى اثارة عاطفة الجمال والتذوق بما يرى وما يسمع وما يتصور .

٢ - لا بد للمدرسة من عرض نماذج للجمال ومحاولة تحليلها أمام الطلاب و اظهار قيمتها الفنية إذ بالتمييز بينها وبمقدرة الحكم على الناحية هذه يرتفع الذوق الجمالي في نفوس الاطفال .

٣ - على المدرسة ان تمنح الطلاب وقتاً كافياً لتكوين فكرة بعد أن يمتعوا انفسهم بمشاهدة المناظر التي تثير الحس الجمالي وتوضح هذه الخصائص .

٤ - لا بد للمدرسة من اثارة نواحي الجمالي في ما يحيط بالطلاب إذ أن الطلاب لا ينتبه الى ذلك في الاشياء التي فيها او اعتاد النظر اليها كثيراً .

٥ - المدرسة هي المسؤولة عن عرض مستمر لجمال الطبيعة واعطاء نماذج عن الفنانين او ذوى الحس الجمالي ليكون لدى الطلاب مقدرة للتعبير عن هذه العاطفة وان نرى انه لا بد من تكوين الحس والحس الجمالي هو الذي يدعو الى التفكير والتعبير .

٦ - بعض نواحي العاطفة البدئية - لاسيما الشعر والموسيقى تحتاج الى ثقافة ونضج عقلي لفهم الافكار الشعرية والانغام الموسيقية ولا بأس من الحاح

المدرسة على حفظ بعض المقطوعات لا سيما في المرحلة الاولى من الدراسة حيث لم يبلغ المستوى الثقافي ولا النضج العقلي درجة كافية .

٧ - لا بد من وجود معلمين يتمتعون بالعاطفة الجمالية ولهم ذوق طبيعي فطري لاسيما للدروس التي تكون اكثر علاقة في تربية هذه العواطف من غيرها .

٨ - يفضل أن تستفيد المدرسة في تربية هذه العواطف من الزيارات المدرسية للمتاحف والآثار والبيوت والقصور والحدائق وان تقوم هي نفسها بالتدوق في الحدائق المدرسية والاعمال التي يقوم بها الطلاب .

ومتي ما بدأت المدارس تعني بذلك لاسيما في مدارس البنات التي تكون أميل الى هذه الناحية بصورة عامة من مدارس البنين يبدأ الامل بالتحقيق وبلادنا بحاجة الى سلوى وشعور يرتفع فوق هذه المادة التي شملت قوتها كل ناحية من نواحي حياتنا الحالية .

مراكز القرية الريفية

البيت - الأسرة

ما زالت الأسرة حتى اليوم هي الوحدة الصغرى للمجتمعات البشرية ، فإرضاء الرغبات الجنسية بصورة طبيعية ورباط عاطفة الحب ووحدة المصالح المشتركة تعمل كلها على أن يعيش الزوج والزوجة سوية . فمن اتحاد هذين الزوجين ينشأ البيت وتتكون الأسرة ، حيث يولد الاولاد فتصبح الأسرة كياناً اجتماعياً كاملاً ويسير في النمو والتطور .

لقد تغير شكل الأسرة ومدلولها في كثير من فترات التاريخ ، ولدى شعوب متعددة . فقد كانت القبائل الابتدائية تعد العشيرة كاملة أسرة واحدة ولذا فإن هذه القبائل تنظر الى جميع أفراد العشيرة رجالاً ونساء نظرتها الى الاخوات والاخوات . وهذا ناتج عن رابطة الدم المتأصلة بين افراد العشيرة . لقد مارست تلك القبائل نظام الأسرة الواحدة متمسكة بالعصبية العائلية التي ساعدتها على حل مشكلاتها واتقاء الاخطار التي تتعرض لها العشيرة . لقد كانت الاسر القديمة - في اوربا او في آسيا - كثيرة العدد ، وكان جميع افرادها متقاربين آلفت فيما بينهم الرابطة الدموية ، وكانوا يقومون بواجبات مشتركة ويتمتعون بحقوق متعادلة . وبرز هاتيك الاسر القديمة هي (الأسرة الرومانية) التي لم تتخل عن رابطة الدم . وكذلك (الاسر العربية) التي كانت أشبه بالعشائر منها بالاسر الجديدة . ولكن اليوم تقلص ظل الأسرة القديمة ، بظهور الأسرة الحديثة المتميزة بقلّة العدد ، حيث تضم الزوج والزوجة والاولاد . كان تقلص الأسرة القديمة نتيجة طبيعية لتطور الحياة الاقتصادية والاجتماعية في الغرب ، لأن الحياة الجديدة نظمت تنظيماً آخر استند الى نظم العصر الحاضر ، وقواعده

المستحدثة ، فلم يأتلف مع الاسلوب القديم المستند الى الرابطة الدموية لقد لوحظ ان تقلص العائلة في الغرب اصبح كبيراً لا من الناحية الدموية فقط وانما ايضاً هناك ميل قوي الى عدم تكثير النسل في العائلات الوسطى والراقية . وربما يكون سبب ذلك في مثل هذه العائلات نظرهم الى الحياة وانهم بذلك يستطيعون تربية الاولاد احسن فيرفعون مستواهم ويقومون بزيادة الاعتناء بهم ، لا سيما وان الوفيات في الاطفال قد قلت الآن ولا خوف كبير على الاولاد من الموت بسبب الامراض المختلفة .

ان ما يميز العائلة العربية انها خلية اجتماعية ذات قوى متحدة متعاونة هي الوالدان وذريتهما ، ومع هذا فالعائلة العربية تبدو اكثر وضوحاً ونظرنا الى الامور الآتية :

١ - يندر جداً ان تكون اتجاهات العائلة متباينة فيما يخص الاعتقاد والدين .
٢ - تكون العائلة العربية وحدة اقتصادية كاملة ، إذ يشترك الافراد في المسؤوليات الاقتصادية اشتراكاً تاماً . فالعائلة تعتبر هناك كأنها شركة اقتصادية تسهل الحياة وتقوم بحل المشكلات التي تنشأ في العائلة بروح التعاون الذي توجده بين افرادها .

٣ - تكون العائلة وحدة في اتجاهاتها الاجتماعية لاسيما في النظرة الاخلاقية وتثبيت المثل العليا والتقاليد .

اما العائلة العربية فما زالت حتى الآن في دور تطور وتغير ، ولم تستقر بعد . فاننا نجد فرقاً كبيراً بين المدوليين وتبايناً واضحاً من حيث النقاط التالية :

١ - السعة : ما زالت العائلة العربية اكثر عدداً من مثيلتها الغربية ، لأنها لا تقتصر على الابوين والاولاد كما في الغربية بل تضم افراداً آخرين ، هم الاقارب المعبرون اخوة ، او اخوات يتصلون بالاسرة بالرباط الدموي مباشرة .

٢ - الاضطراب الاقتصادي : ما زالت العائلة العربية حديثها وقديعها مبتلاة

بشيء من الاضطراب في الناحية الاقتصادية على النقيض من العائلة الغربية التي تعير التنظيم الاقتصادي أهمية خاصة .

٣ - اختلاف الحياة الاجتماعية بين افراد العائلة الواحدة : نجد الآن هذا

الاختلاف في الحياة الاجتماعية فقد تضم اصغر العائلات اليوم عضوين مرتبطين برباط دموي وثيق ، ولكنهما مختلفان اختلافاً كبيراً في الاتجاه الاجتماعي . وقد حصل هذا من الاختلاف الكبير بين افراد العائلة في الثقافة ، ونظرات الحياة الجديدة ، تسبب ذلك عن اختلاف أسس الحياة عندنا وبقاء الطابع القديم الى جنب نظم الحياة الجديدة . ان كل من يلاحظ التطورات الاجتماعية في البلاد العربية يشعر بأنه حدثت تطورات كبيرة على حياة العائلة في النصف الاول من القرن العشرين وعلى علاقة الزوجين ومقام كل منهما في العائلة .

لقد ارتفع مستوى المرأة الحديثة كثيراً من الناحيتين الصحية والثقافية وكذلك رافق هذا الارتفاع ارتفاع ايضاً في مستوى الحياة المعاشية . وبهذا فقد تغير مقامها الاجتماعي عن ذي قبل لاسيما بعد أن أمت المدارس المختلفة ودخلت المعاهد العالية وانتشر السفور . كل ذلك حمل الرجل العربي الحديث لأن يغير نظره الى المرأة وان يقلل من سلطانه في الحياة المشتركة حيث أخذ يميل الى النظام الغربي الذي يدعو نحو التعاون والاشتراك في المسؤولية العائلية . كذلك رافق كل ذلك تطور في التشريع والسماح للمرأة بدخول مهن حرة كانت قبلاً مقتصرة على الرجل وحده .

كل هذه التطورات الاجتماعية السريعة في البلاد العربية لم تستطع مع ذلك القضاء على شكل العائلة القديمة اذ هي محصورة في عدد قليل من السكان لا يكون إلا نسبة ضئيلة بالنسبة لمجموع الشعب . على أن هذا التطور الاجتماعي السريع عمل من جهة اخرى على فك ارباط العائلة القديمة وأوجد في العائلة الجديدة شيئاً من القلق والاضطراب . فند اختلفت نظرة المرأة الى الرجل وتغيرت

علاقة الوالد بأولاده وتأثير الاولاد بالنزعة الى الحرية والاستقلال .

بـ البيت

ان للبيت اثرأ قوياً في التربية فهو ذو نفوذ خاص على الطلاب لا ينكر ولهذا تعد التربية البيت - قديمة وحديثة غربية وشرقية - بانه يمتاز بهذه الخصائص :

١ - انه منبع الصفات الطبيعية التي يرثها الاطفال عن آبائهم وامهاتهم وهذه الصفات الطبيعية المقام الاول في طبع الانسان واستعداداته وقابلياته ، وفي تكوين اساس صحيح لنوع اتجاهاته في الحياة ومقدار استفادته من التربية والتعليم .

٢ - يعد البيت او العائلة مهد التربية الاول حيث يقضي الاطفال فترة طفولتهم الاولى فيه خاضعين لنفوذ الابوين وتنظيمها ، سائرين وفقاً للحياة التي يسنهاهم الابوان . ولما كان الكثير من علماء النفس يعتقدون بأن فترة الطفولة الاولى هي أهم فترة في تكوين خلق الفرد ، لهذا فالتربية تنظر الى العائلة نظرة اهتمام . لأن المدرسة لا تستطيع ان تؤدي واجبها كاملاً ما لم يقيم البيت بواجبه قبل المدرسة ، وينسجم مع استعدادهم الفردي ونظم العصر .

٣ - للبيت أو العائلة أهمية أخرى هي : انها ترافق الطالب بتأثيرها حتى في اثناء الدراسة وبعدها ، أي أن تأثير الابوين والاقارب لا ينقطع عند دخول الطالب المدرسة في تربية الاطفال وتوجيههم توجيهاً يلائم ما تتطلبه المدرسة وانما يبقى مستمراً يسير جنباً الى جنب مع تأثيرها .

مستقبل العائلة عندهنا

تمر العائلة العربية اليوم بفترة تطور قوي ، فقد تغيرت أسس تكوين العائلة في البلاد العربية ، مقتربة تدريجياً من العائلة الغربية ، وهذا ناتج من تأثير الغرب ، في اتجاهاته الاجتماعية والاقتصادية على الشرق . كما رافق ذلك تطور في شكل العائلة وعدد أفرادها ونوع حياتها وعلاقة أعضائها ببعضهم ، من حيث الاسس نجد اليوم أن الطبقة المثقفة الجديدة ابتعدت تدريجياً عن الزواج المبكر الذي كان سائداً في تكوين حياة العائلة العربية قبلاً ، وان الفرد الجديد

لا يرغب اليوم بأن يختار زوجته إلا وفقاً لحياته الجديدة لاسيما بعد استقراره المهني والاقتصادي . كما نجد اتجاهاً آخر في الابتعاد تدريجياً عن الزواج بالأقربين ، بينما كان ذلك سائداً في جميع الهياكل الاجتماعية العربية ولذلك فإننا نعتبر العائلة العربية تمر بدور تجربة عامة في تكوينها وطرز حياتها المقبل ، والاتجاه السائد هو السير على غرار ما في الغرب نظراً لسيادة المقاييس الاجتماعية الغربية أكثر نواحي حياتنا الاجتماعية .

ولقد أصبح الكثيرون منا ينظرون الى هذا التطور نظرة خوف وحذر وانه مملوء بالمشكلات الاجتماعية كالمشكلات عند العائلة الغربية مع مشكلات أخرى متولدة نتيجة للتصادم الاجتماعي . حيث أن هذا التطور الاجتماعي الجديد يشمل عدداً قليلاً من العائلات لاسيما التي يتمتع أفرادها بمستوى ثقافي معين ولذلك فقد حصل اختلاف بين الاسر من حيث الاتجاه الاجتماعي وهذا الاختلاف قد يحدث بلبلة اجتماعية ذات نتائج خطيرة .

لقد كان البيت مستقر المرأة في الماضي في الشعوب الغربية ثم تغيرت الحياة فأصبحت المرأة تطالب بحقوقها ، ونالت قسماً كبيراً منها وهي ما زالت تسعى لنيل القسم للباقي لتساوي الرجل في جميع الحقوق والامتيازات . وأخذت تدخل جميع ميادين الحياة وتزاول أكثر الاعمال بحرية تامة وأن تحصل على عيشها بنفسها وتخطط طريق حياتها بنفسها أيضاً إلا أنها وإن كانت قد نالت كل هذه الحقوق ما زالت تظهر متهقرة بالنسبة للرجل نظراً للعدة البعيدة التي قضتها بعيدة عن المجتمعات ضعيفة الحركة والاختلاط بالرجال كما أنها كانت قليلة للحياة العامة والمشاركة في كثير من الاعمال العنيفة أو الخطرة . لذلك مازال بعض الغربيين يعتبر ان حالة المرأة الغربية الآن هي في دور تبديل ولم تصل حتى اليوم الى حالة الاستقرار والثبوت .

ولقد تطورت حياة العائلة في الغرب نتيجة لعوامل اجتماعية واقتصادية وسياسية فالثورة الصناعية قد أجبرت الكثيرات من النساء الغربيات على العمل

في المعامل وترك البيت فأخرجت هذه الثورة المرأة من المحيط الضيق الى محيط الحياة الواسع وقضت على عزلتها إذ قربتها من الرجل في العمل في الناحية الصناعية . كذلك نجد الحركات الشعبية كالثورة الافرنسية وغيرها قد عملت على مساهمة المرأة في هذه الحركات فحققت لها بذلك شيئاً من التساوي في بعض الحقوق لاسيما الحقوق الاجتماعية والحقوق السياسية .

أما الحروب كالحرب الأولى والثانية فقد أظهرت بوضوح حاجة الحياة الى المرأة وقابليات المرأة وقيمتها في هذه الناحية ولقد استطاعت المرأة أن تحل محل الرجل وتقوم بالأعمال التي كان يمارسها بجدارة ولم يكن انتاجها فيها أقل من انتاج الرجال .

كل هذه التطورات الهامة والطويلة المدى قد حدثت في الغرب ومع ذلك ينظر قسم من الغربيين الى أن الحياة لم تتغير بعد واثبتوا عملية التطور ما زالت سائرة في طريقها وهي بحاجة أيضاً الى جهود وزمن للوصول الى حالة التعادل والتساوي بين الرجل والمرأة وتكوين عائلة تسود حياتها الروح المشتركة وتحمل المسؤولية من قبل الزوج والزوجة .

لقد أثرت هذه التطورات في الغرب على حياة العائلة العربية لذلك نجد أن الحركات النسائية والاتجاهات الاجتماعية تسير الآن تقليداً لهذه التطورات الغربية على أن عوامل التطورات الغربية ما زالت بعيدة عن أسس تطور الحياة العائلية عندنا . إننا نشعر أننا ما زلنا منذ قديم الزمن ذوي صلة وثقى بالغرب ، لاسيما أوربامنه ولذلك يصعب علينا الوقوف تجاه تطوراتها حيث نخضع أحياناً الى بعض اتجاهاتها على أن هذا الاختلاف الاجتماعي يحدث بلبلة في اسلوب الحياة ويكون في بلادنا نوعين من الحياة وشكلين من العائلات . ولذلك فالمجتمعات العربية تنفر الى هذا الاتجاه نظرات مختلفة . فمنها من يريد أن يقتبس الاتجاه ويقصر بذلك من مدى التطور وآخر ينظر الى ذلك نظرة ارتياب وشكوك ويعتقد أن حياة المجتمع العربي لا تستطيع بما الفتة من تقاليد وعادات

ومعتقدات ونظم أن تتبنى جميع هذه الشروط الاجتماعية وتسير عليها - بهذه السرعة من الزمن ومع فقدان العوامل العامة لها .

لذلك نجد أثر الحياة العائلية الغربية قوياً ونجد أيضاً بعض التغيرات الجديدة والصراع الاجتماعي والنفسي بين الاتجاهين في نفوس كثيرين من العرب وحتى المفكرين منهم . لذلك نجد بعض الناس يدالون على هذه الفروق باظهار المشكلات العائلية الجديدة التي حدثت بعد حدوث هذا التفاعل الاجتماعي . ويدعون بأن الحياة العائلية الجديدة سوف لا تكون أحسن حالا من العائلة القديمة لما تحمله هذه العائلة من ضعف في الاستقرار وبليلة في الاتجاهات والقيم وذلك بتحلل الزوجين من كثير من القيود الاجتماعية الماضية .

لهذا إذا نظرنا الى الروابط العائلية في العراق نجد أنها مختلفة بالنسبة لهذا التأثير من جهة وبالنسبة للعقائد والتقاليد من جهة أخرى . وربما يكون تقسيم الحياة العائلية الى ثلاثة أنواع خير تفسير لنا لمعرفة قوة هذه التطورات .

١ — العائلة البدوية : وهي ما زالت حتى الآن بروابطها الاجتماعية وصفاتها المختلفة غير متأثرة بكل ذلك وإنما تسير كما كانت قبلاً .

٢ — العائلة المسلمة : وارتباطاتها الدينية والاجتماعية كانت الى أمد قصير قوية المفعول أما اليوم فربما تكون قد تأثرت أكثر من غيرها بتثل هذه التطورات .

٣ — العائلات المسيحية : وهي تختلف في ارتباطاتها العائلية وعلاقة الزوج بالزوجة منذ القديم . وربما تكون أقل تأثراً بهذه التطورات الجديدة ، لأنها كانت تقترب من الناحية الغربية لاسيما وان الزواج يتم بواسطة اختلاط ووعي اجتماعي وهناك صلة وثقى بينها وبين الغرب في الاتجاهين الديني والاجتماعي .

نرى من كل ذلك أننا مقبلون على تطور اجتماعي في الكيان العائلي فكلما ثبتت الحياة الاجتماعية الجديدة ، وانتشرت مدارس البنات وكثرت الصناعة وارتفع مستوى الحياة الاقتصادية كلما حدثت هذه التطورات وغيرت شيئاً من نظم العائلة العربية المألوفة .

عزق: البيت بالمدرسة :

لما كانت العائلة تنمو بكثير من الوظائف التربوية والاجتماعية والاقتصادية لذلك فهي ذات علاقة وثيقة بالمدرسة ، فالطفل يتلقى مبادئ الاخلاق وأسس السلوك الموروث والمكتسب من البيت ، وان طرز حياة الفرد في البيت وعلاقته بأفراد العائلة هي الاساس لكثير من نواحي حياة المدرسة ، لذلك يبقى البيت مساعداً للمدرسة اذا كان يسير وفقاً لاتجاهها ومعاكساً مزمعاً لها ان سار في طريق غير ما ترغب فيه .

وكثير من المربين من يشبه المدرسة . بالدولة ، ويشبه البيت بالمجتمع . فكما أن المجتمع لا يتمكن الحياة دون وجود الدولة المنسجمة معه ولا تتمكن الدولة أن تنمو وتنتج إلا في مجتمع ملائم لها ، كذلك تكون العلاقة بين المدرسة والبيت ، فالبيت يعتبر الاساس القوي لحياتها ، والمدرسة تستمد الشيء الكثير من روحها وقوة انتاجها من البيت .

إننا نلاحظ اليوم انه في البلاد الناشئة الفتية تكون المدرسة هي احدى وسائل الدولة للإصلاح العام ، لأن المدرسة تستطيع أن تقوم بنصيب وافر في اعداد النشء وتكوين الاجيال القادمة وفقاً للاتجاهات العامة ، لذلك فأكثر الدول الفتية تضع المدرسة تحت سيطرتها المباشرة وتنظمها وفقاً لغاياتها وأهدافها ، لذلك تكون المدرسة عند ذلك ممثلة للدولة . وقياساً على هذا يعتبر البيت ممثلاً للمجتمع ، وبمعرفة العلاقة بين البيت والمدرسة نستطيع أن نقدر انتاج الطلاب وسلوكهم الاجتماعي .

وتعتبر بلادنا من البلاد الناشئة التي تفرض عليها حالتها العامة أن تضع مسؤولية بناء مجتمع جديد على المدرسة فينبغي أن تفرض هذه المسؤولية على المدرسة بالسيطرة عليها ، سيطرة تسهل لها مهمتها . ومع أن المدرسة عندنا لا تستطيع الخضوع الى البيت ، إلا اذا كان مستوى البيت منسجماً مع مستوى المدرسة ، اما الآن فالبيت ما زال حتى اليوم أكثر بعداً عن اتجاه الحياة الجديدة من

المدرسة لأن المدرسة قد سبقته بمراحل في هذا الاتجاه .

لذلك فحرصاً على مصلحه الاولاد والبنات وتحقيقاً لغايات الدولة لا بد للبيت من أن يقوم بعمل متعاون مع المدرسة وأن يسير بالاتجاه نفسه الذي ترغب فيه ، أن العلاقة بين البيت والمدرسة قوية فكل منهما يعمل في حقله وأسلوبه ولكن القسمين يعملان لغاية مشتركة هي تحقيق أهداف التربية .

فالخصائص التي يتمتع بها البيت لا تملكها المدرسة ولذلك على البيت أن يؤدي رسالته بالعمل على القيام بالوظائف البيتية على الوجه الصحيح لتكون أساساً للمدرسة من جهة ولتكون معينة للمدرسة أيضاً من جهة أخرى . فالمدرسة تقوم أحياناً بعملية تكملة رسالة البيت التربوية ومواصلة كفاحه وتنظيم الحياة التي بدأت فيه . فاللغة والآراء والأذواق والعادات وروح العمل والنظرة الخلقية والعقائد الدينية كلها تبدأ تكوينها في البيت ولكنها تستمر بشكل أنظم وأوضح في المدرسة .

لذلك فذا شر البيت بواجبه هذا استطاعت المدرسة أن تحقق له ما يصبو اليه من غايات وأهداف من أولاده وبناته وإذا تعاونت المدرسة مع البيت ضمنت هي أيضاً نجاحاً كبيراً في تحقيق غاياتها المختلفة . ولقيمة هذه الصلة الكبيرة سعى الغربيون بإيجاد جمعيات الآباء والمعلمين واكثروا من الحفلات والاجتماعات المشتركة بين المعلمين وأولياء الطلاب . اذ على أساس العلاقة الطيبة ينشأ الاطفال كما تطلب المدرسة ويتمنى البيت .

المجتمع : الجماعة

ما زال هناك اختلاف ظاهر في تعريف المجتمع فمن العلماء من يرى أن المجتمع يعني البشر جميعهم بينما يرى آخرون انه يعبر عن الامة .

وهناك ميل كبير الى اعتبار المجتمع تعبيراً عن نوع خاص من التجمع .

لذا نعرفه بأنه جماعة من أفراد البشر تضمهم روابط معينة ويخضعون لنظام

واحد ولقد فرق بعض علماء الاجتماع بين نوعين من الجماعات . جماعات تكون الروبط فيها داخلية ذاتية فيها حياة دائمية فهي عضو حي تنمو بواسطة الولادة وقربى الدم والروابط بين افرادها انما هي روابط عضوية نامية .
وجماة أخرى تنتظم برابط المصالح المشتركة والتنظيم القانوني .

وتسود الجماعات الاولى فكرة موحدة ويتشابه الافراد فيها بالنسبة لنظرتهم للاشياء وللأمور الاجتماعية لانهم ينحدرون من نسل واحد . بينما تسود الثانية تضارب المصالح وتوتراتها وتحدد كل هذه قوانين الدولة وانظمتها .
تكثر الجماعات الاولى في القرى والارياف اما الجماعات الثانية فتكثر في المدن الكبرى وتختلف كل من هذه المجتمعات سعة وكثافة إذ أن جميع المجتمعات البشرية هي كالأجسام الحية معرضة للتغير والتبديل ، فقد تنمو بكثرة وتقلص بواسطة الوفيات والهجرات .

لذلك ذهب بعض علماء الاجتماع الى اطلاق اسم الجماعة على الجماهير التي تجمع أحياناً في الحفلات أو لغايات رياضية أو علمية أو سياسية فكل هذه جماعات ولكنها لا ترتبط برابط ثابت دقيق .

اما الاسرة والامة والطائفة فانما هي جماعة ولكنها ثابتة في تكوينها ومحمكة في انظمتها وسننها . وهذه الجماعة قد تكون واسعة العدد وتنمو ومع ذلك تدوم مدة أطول . وهي ليست مكونة بارادة فرد أو بمشيئة خاصة وانما قديمة العهد والفرد انما يكون خاضعاً لها اذ تكونت من تلقاء نفسها وتطورت على أسلوب التطور الاجتماعي .

وقد يفرق أحياناً بين الجماعات فيقال مجتمعات بسيطة ومجتمعات مركبة فالمجتمعات البسيطة كالقبيلة والعشيرة تكون متداخلة تداخل قويا بحيث يكون الجميع كجسم واحد ويعمل كل واحد لحفظ هذا الجسم الاجتماعي .

اما المركبة فهي كبيرة يظهر فيها التخصص وتتوزع الوظائف الاجتماعية على الافراد أو المجموعات الصغيرة .

نمو المجتمع

هناك تشابه كبير بين تكوين المجتمع وتكوين الحي اذ كلاهما خاضع لعوامل وظروف تؤثر في كيانها فتتكون الجماعات أما بدافع احيائي (بيولوجي) أو جغرافي أو اجتماعي نظراً لاختلاف الرابط المكون للجماعة فالاحيائية تكون الروابط فيها قائمة على الجنس أو القربى . اما الجغرافية فهي التي يرتبط الافراد بها برابطة الارض والمكان وأما الاجتماعية فتتكون فيها الروابط الاعمال المشتركة والغايات الموحدة وتنمو الجماعات وتتوسع بوسيلتين .

١ - بطريقة طبيعية - أي التكاثر بالولادات والتناسل .

٢ - بطريقة اجتماعية - أي بانماء عناصر غريبة الى الجماعة فتتكاثر بالامتزاج والاندماج .

والمجتمعات الاولى تسمى مجتمعات متسلسلة على حين تعرف الثانية بالمجتمعات المختلطة . ولكل من هذين المجتمعين صفاتها الخاصة بها . ويصعب جداً تفضيل أحدهما على الثاني إذ نجد ان بعض المجتمعات المتسلسلة تكون منسجمة بالعادات والطبائع والاذواق والاتجاهات الفكرية الدينية وهذا الانسجام يسهل عليها التعاون والعمل المشترك اما المجتمعات المختلطة فنجد فيها من الحيوية والتنافس العملي ما يدعو الى زيادة الانتاج وكثرة الرخاء والانتقال الى دور المدنية والعلاقات الدولية . وتكون بعيدة عن الجمود .

وقد يكون العكس ايضاً حيث نرى بعض هذه المجتمعات متنافرة فيما بينها يسود حياة افراها الشقاق والنزاع وتكثر فيها الاضطرابات والفوضى وهناك ثلاثة عوامل هامة تحول دون الامتزاج التام في مثل هذه المجتمعات وهي اللغة والعقيدة الدينية والتباين في المدنية .

لذلك يجب دراسة كل مجتمع على حدة لمعرفة ميزاته الخاصة لنعرف هل ستشق هذه المجتمعات طريق النمو والتقدم أم لا !

والبشر اليوم يعيشون على الارض على شكل جماعات مختلفة التكوين الاجتماعي

ومتباينة العدد والكثافة تشترك بروابط مختلفة رغم الفروق التي بينها والمسافات التي تفصلها ، وقد أصبحت اليوم أكثر صلة ببعضها بما تم حتى الآن من اختراعات حديثة سهلت الصلة وقصرت المسافات وأوجدت الرغبة في التعاون والاستفادة من الخبرات والمنافع ولا يتم ذلك على الوجه الاكمل إلا اذا درست هذه الجماعات دراسة علمية وعملت التربية على توجيهها نحو هذا الهدف وذلك بتنظيم سياسي واجتماعي يشمل جميع العناصر والفرق في المجتمعات المختلطة .

المجتمع العراقي

ان الوضع السياسي في العراق هو الذي يضع لمجتمعنا خطوطه المتميزة ، فهو مجتمع مختلط يشبه من حيث التكوين الشعبي بعض المجتمعات المختلطة الاوربية كالمجتمع التشكوسلوفاكي أو البلجيكي أو السويسري اذ يضم عدة قوميات أو عناصر وعدة اديان .

وقد يختلف عن المجتمع السويسري بالنسبة لاساس تكوينه وبالنسبة للعلاقات الموجودة بين أقسامه . فمن حيث التكوين لم ينشأ المجتمع من تلاءم نفسه وانما قررت الحدود الجغرافية ذلك له بواسطة المعاهدات التي عقدت بعد الحرب العالمية الاولى ، دون ان يكون لاهل البلاد رأي حاسم في ذلك لذلك فهو اقرب الى المجتمع التشكوسلوفاكي بالنسبة لاساس تكوينه منه الى المجتمع السويسري لذلك فالمقاطعات العراقية تختلف اختلافاً كبيراً من حيث الميزات والخصائص على حين تكون المقاطعات السويسرية متشابهة منسجمة . وسعة البلاد وقلة المواصلات مع وجود هذه العوارض الطبيعية جعلت العراق من حيث التكوين الاجتماعي يختلف عن مجتمع سويسرا وكذلك من حيث العناصر المختلفة ايضاً .

وما دام المجتمع العراقي مجتمع فعلياً أن نستفيد من صفات هذا المجتمع القوية ونحارب الصفات الضعيفة فيه ، فمن الصفات القوية في مثل هذه المجتمعات هي وجود تقاعلات قوية في الهيئة الاجتماعية تعمل على دفع المجتمع للتقدم والتطور اذ يقل الجمود الاجتماعي وتزداد الحيوية والنشاط .

اما الصفات الضعيفة فهي في مثل هذه المجتمعات قد تتعرض الى خطر التنافر الاجتماعي فكما كانت المجتمعات المختلفة المكونة لهذا المجتمع الكبير غير منسجمة مع بعضها كلما سهل عليها التفكك والابتعاد عن الوحدة السياسية وربما تكون الحياة المشتركة مملوءة بالخصومات والمنازعات كما حصل في تشكوسلوفاكيا وغيرها من امثال هذه المجتمعات السياسية .

اما عندنا فليس الامر كذلك حيث انه لا توجد منازعات قديمة بين اقسام المجتمع العراقي ولا اثر للخصومات او التنافر وانما قد نكون مع ذلك معرضين كغيرنا من المجتمعات الى دخول عوامل الشقاق بين هذه المجتمعات بواسطة ذوي المصالح المعينة أو بواسطة العوامل السياسية الخارجية لذلك على المجتمع العراقي ان يأخذ الحيطة لاتقاء هذا الخطر والعمل على نشر الوعي الاجتماعي بين جميع طبقات الشعب وتثييت قيمه هذا الاختلاط واثره على نواحي الحياة المختلفة .

وكما كانت المجتمعات السياسية مختلطة وقعت المسؤولية الاولى في نشر هذا الوعي على المدرسه كما حدث في المجتمع الامر بكى اذ استطاعت المدرسه الامر بكية ان تصهر جميع العناصر التي هاجرت الى امر بكى في بوتقه واحده وتكون شعوراً امر بكياً موحداً في حين أن البيت والمجتمع كانا بعيدين عن ذلك لذلك فمدرستنا مسؤولة عن تنظيم حياتها بحيث تستطيع القيام بهذا الواجب كما قامت به مثيلاتها في البلدان الاخرى .

على ان المجتمع العراقي قد يبدو اكثر اقتراباً من بعضه لانعدام الفروق الدينيه الكبيره حيث ان الناحية الدينيه الاسلاميه تسود النفوس بصوره موحده وان الدين الاسلامي يستند على منبع واحد بينما نجد ان المجتمعات الغربيه قد تختلف في عقائدها الدينيه والمذهبيه اكثر من مجتمعنا في هذه الناحيه .

لهذا فان المجتمع العراقي حرى بالدرس وقد يكون من حيث التكوين الشعبى العنصري مجتمعين لىكل منهما خصائص خاصه كما يستو لن كل منهما بقعه من

الأرض تختلف عن الأخرى .

أن الوضع الجغرافي العراقي يبدو متكاملاً فقد جمع بين الجبال والسهول والمناطق المنعزلة الصيفية الشتوية ولو خصصت له جهود منظمة ، واحسن ، استغلاله لكان مناطق منتجة ، تكمل مناطقه بعضها البعض .
اما علاقة المدرسة بالمجتمع فملاقة تحددها المدرسة وتوجهها كما تريد .

طبقات المجتمع

اعتاد الناس في اكثر الامم تقسيم المجتمع الى ثلاث طبقات :

١ - الطبقة العليا - وهم الافراد من الامة الذين يقومون بالاعمال الادارية العامه والناحية السياسية ومزاولة بعض المهن العليا .

٢ - الطبقة الوسطى - وهم الافراد الذين تؤهلهم عقليتهم وذكاؤهم لادارة الاعمال المتوسطة ذات الاستقلال الذاتي المحدد .

٣ - الطبقة الدنيا - وهم الافراد الذين لا تؤهلهم عقليتهم لادارة الاعمال بصورة مستقلة بل توكل اليهم اعمال تعهد امر ادارتها للطبقة الأخرى .

وهذا التقسيم رغم شيوعه في العالم لا ينطبق حرفياً على جميع المجتمعات ولا يتمتع بخصائص ثابتة وانما هو تقسيم اصطلاحى لزيادة الايضاح ولايجاد حدود مصطنعة بين المجموعات تميز بعضها عن بعض .

وقد تختلف الشعوب من حيث هذا التقسيم الاجتماعى الى طبقات فنجد بعضها تكون طبقته الوسطى كبيرة على حين أن الطبقتين الاخرتين ضعيفتان ، على ان التوزيع الاول هو المثالى المطلوب لأنه يشكل للمجتمع هرمه الكامل ، فالطبقة العليا تضم عدداً قليلاً من الافراد . اما الآن فنجد اتجاهاً عاماً في تقارب الطبقات من بعضها وتغليص تلك الفروق مهما أمكن فنجد الطبقة الوسطى الآن هي التي سادت المجتمعات الغربية الحديثة ، ويسير الاتجاه الى تنويعها واقتراب الطبقتين الآخرين منها .

اما المجتمع العراقي فحديث التكوين لم تنبلور حياته الحديثة بعد ، ولذلك

فقد كان قبل عشرين سنة يضم ثلاث طبقات اقرب الى الهرم الكامل ، اما الآن وبعد الحرب العالمية الثانية فقد تغير هذا التكوين بعد تطور الناحية الاقتصادية لأنها لم تسير التكوين الاجتماعي المألوف ولهذا فان فقدان استقرار المجتمع يحدث اضطراباً ألبساً في حياة المدرسة واتجاهاتها لأن المدرسة تسير المجتمع وتحاول تظمين رغباته والسير في اتجاهاته . لذلك فقد أصبح واجب المدرسة العمل على تحقيق استقرار المجتمع ايضاً .

اهمية المجتمع للتربية

إن أهمية المجتمع واضحة قوية تعد اليوم المقياس الاول للحياة وهي التي تقرر اسلوب العمل واتجاهات الافراد ، ولم تكن المجتمعات قليلة الاهمية قبلاً فقد كانت حتى في زمن اليونان والرومان ذات نفوذ قوي على اتجاهات السياسة وأنظمة الدولة . وقد تظهر أهمية المجتمع جلية بما يتصف به من صفات ذات اثر مباشر على حياة الفرد من جهة وحياة المجموع منها :

١ - ان المجتمع انما هو المنبع الاول للصفات المكتسبة ، لاسيما العادات والمعتقدات واللغة وطرز الحياة والمعيشة . لقد آمن علماء الاجتماع المحدثين بأن الانسان كما يخضع للقهر الذي تخضعه الطبيعة على الكائنات الحية كذلك يخضع الانسان للضغط الاجتماعي الذي يقع على شعوره من قبل الهيئة الاجتماعية . لذلك فان مثل هذا الضغط هو الذي يؤثر على التربية وعلينا ان نحسب حساباً لمثل هذا الضغط الاجتماعي لأن وظيفة التربية هي اعداد الفرد لأن يكون كائناً اجتماعياً لذلك فالطفل يعاني ضغطاً في كل فترة من فترات حياته من قبل الهيئة الاجتماعية تلك الهيئة التي تحاول أن تطبعه بطابعها وان تجبر الآباء والمدرسين لأن يحققوا لها هذا الطابع لأنهم في الحقيقة قد خضعوا قبلاً لهذا الضغط .

٢ - إن تأثير المجتمع في الافراد مستمر فيهم منذ الولادة حتى نهاية العمر والانسان يخضع لذلك في كثير من اسلوب حياته وتصرفاته ويختلف عن البيت والمدرسة ذات الفترات القصيرة .

٣ - يعتبر المجتمع مرجعاً أخيراً للفرد بعد اكمال مرحلة نموه واستعداداته الجسمية والفكرية فهو الذي يكون حقل عمل الانسان وموضع انتاجه وحركته وفيه تمارس المهن وفي نطاقه يعمل الافراد بأشكال مختلفة ووفقاً لأنظمة تنظم ذلك ، وكلما تعمقت الحياة الاجتماعية كلما ظهرت قيمة المجتمعات بتنظيماتها الخاصة بالعمل والمهن والادارة .

٤ - لما كانت حاجات المجتمع هي اولى اهداف التربية ، في العصر الحديث أصبحت قيمة المجتمع ذات شأن كبير لذلك فإن المجتمع يفرض على المدرسة ان تأخذ بعين الاعتبار هذه الحاجيات وتكون حياتها وفقاً لما يحقق هذه الحاجات . ولقد أصبح هم التربية الحديثة معرفة هذه الحاجات بوضوح تام لتوجيه المدرسة نحوها . وكثيراً ما يحدث ارتباك في المدرسة لفقدان الوضوح في هذه الحاجات إذ ليس من السهل على المدرسة معرفة ذلك لاسيما في المجتمعات التي تمر في دور تطور سريع كالمجتمع الذي نعيش نحن فيه الآن .

٥ - ما زال المجتمع يتمتع بميزة هامة وهي انه مقياس هام للحكم على تصرفات الافراد واخلاقهم . ولما كانت الناحية الخلقية ذات اثر كبير على تفكير الافراد والجماعات لذلك فإن المجتمع له سلطان كبير في هذا الموضوع وحتى الذوق الفني يخضع لأثر المجتمع ، حيث يتكون من الحياة الاجتماعية فهذه الميزات وغيرها هي التي فرضت على التربية الحديثة دراسة المجتمعات ومسايرتها الى درجة كبيرة .

حتى لقد أصبحت التربية الحديثة تنادي بأن تكون المدرسة نفسها مجتمعة مصغراً تتفاعل فيها العوامل الاجتماعية وتعمل على تنظيم حياة الطالب تنظيمًا يجعله آلفاً لحياة المجتمع مقدراً لقيمه وأهميته قادراً على التفاعل معه في سبيل نفسه ورفقي المجتمع .

ولما كانت الحياة الجديدة قد بدأت تخطو خطوات سريعة نحو التطور والتبديل لذلك وجب على المدرسة ان تمرن الطلاب اثناء حياتهم المدرسية على مسايرة التطور واللاحاق به او على العمل على تسهيل عمالية التطور نفسها .

ونحن الآن في بدء حياة اجتماعية جديدة ، لذلك فإن دراسة الناحية الاجتماعية ذات قيمة كبرى للتربية ، إذ ان الحياة قد أخذت تتأثر بقوة من الانتاج الصناعي الغربي ومن التفاعلات الثقافية مع الغرب في حين أن مجتمعنا مازال بدائياً ومازالت الروابط فيه تعتمد على القربى وبعض العقائد الدينية لذلك يفرض على مدرستنا ان تكون اكثر رعاية لدراسة المجتمع عندنا واكثر وعياً وتقديراً لهذه التفاعلات جميعها . لاسيما بعد أن زادت الصلة بين مجتمعنا والمجتمعات الاخرى واصبحت التصادمات الاجتماعية ذات اثر فعال على حياة الفرد وحياة المجموع .

المدرسة

أصبحت المدرسة المحيط الثاني للطفل فهي التي تحتضن الطفل بمد بلوغه السنة السادسة وتبقى ملازمة له مدة طويلة وقد تستمر أحياناً ما يقرب من ١٦ سنة أي حتى انتهاء الجامعة ، لذلك أصبحت أهمية المدرسة كبيرة لا بالنسبة لحياة الطالب نفسه بل لحياة الهيئة الاجتماعية ونظام الدولة .

ولقد رأينا في ما مر بنا سابقاً كيف تطورت المدرسة وجاهدت كثيراً من أجل كيانها وتنظيمها حتى استطاعت أخيراً أن تنال حريتها الكاملة وتتصرف بنظمها وأوقاتها كما تراها ضرورية لحياة الطالب ولمصلحة الشعب .

لهذا لم تبق المدرسة الحديثة كما كانت قبلاً محلاً للتعليم فقط بل أصبحت اليوم مجتمعاً صغيراً خال من النواقص (أي محيطاً مصغراً مثالياً) معداً لتربية الطلاب واعدادهم للحياة وتزويدهم بما يحتاجونه من العادات الصالحة والضرورية لحياتهم وحياة الأمة فهي تقوم بتربية الطلاب تربية اجتماعية فتهدب ميولهم للانتفاع منها في المصلحة العامة .

لقد كانت المدرسة الغربية قبلاً لا تقوم إلا بتزويد الطلاب بالقراءة والكتابة والحساب كما كانت أكثر المدارس العليا محصورة بطبقة الاشراف وذوي السلطان حيث لا يدخلها إلا من يعد نفسه لوظائف الدولة واعمالها الادارية .

وقد زادت هذه المدارس بفضل التقدم العلمي والرفاه الاقتصادي الذي وصله الغرب فعمت المدارس وفتحت ابوابها لجميع المواطنين وتطور التعليم وأسلوبه وفقاً لتطور الحياة وانسجم مع المثل العليا للامم الغربية .

ان المدرسة اقرب من الاسرة الى مطالب الأمة وأهميتها واضحة في هذا الامر حيث انها أكثر أثراً عند الطفل وان أكثر الاسر ليست على الدوام متشعبة بالمثل الاجتماعية العليا إذ تزرع تحت تأثير الآراء القديمة والاعتبارات الاجتماعية فالحياة في المدرسة لذلك هي المرحلة الوسطى بين البيت والأمة فهي التي تستلم

الطفل من البيت وتهيئته للأمة .

اذ كثيراً ما يصعب على الآباء أن يربوا اطفالهم ليصلحوا للمجتمع لما بينهم من ارتباط عائلي قوي حيث نرى الآباء كثيراً ما يربون ابناءهم على ما تهوى نفوسهم لذلك تصادف الاطفال اشق الصعوبات فيما إذا تركوا على اسلوب تربية الآباء ولم يوجهوا نحو الانسجام العام لذلك نجد المعلم يدرك مشا كل الطفولة اكثر من الآباء ويستطيع مواجهة هذه المشا كل بشئ . كثير من التجرد وبذلك يهطي لها حولا اكثر فائدة مما يقوم بذلك الآباء .

ولقد تنوعت المدارس من حيث الدراسة ومدتها ونظام التعليم وطرق التربية السائدة فيها ، لذلك اصبحت المدرسة مختبراً صغيراً اكثر مما هي محل يقوم المعلمون فيه بعملية تعليمية ميكانيكية ولهذه الاهمية الكبرى فقد تغيرت نظرة الناس الى المدرسة وقيمتها في حياة الاطفال وحياة الامة ، لذلك فقد كثرت الالبحاث في الغرب عن المدرسة وقامت دراسات متنوعة حول ذلك ، فظهرت ابحاث حول شروط المدرسة ووظائفها ووسائلها ، وكان لهذه الالبحاث الفضل الاول في الوصول الى حالتها الحاضرة .

إن الوظيفة الجديدة للمدرسة وهي قيامها بمهام التربية بالاضافة الى عمليات التعليم ، فرض على رجال التربية أن يكونوا المدرسة بشكل يضمن تحقيق أهداف التربية ولذلك فلم يقتصر الاهتمام على المعلم والطالب وإنما شمل أيضاً بناء المدرسة ونظامها ، وذلك لقيمة كل من البناء والنظام في انجاز مهام التربية . ولقد شمرت الدول الغربية بأثر ذلك في عمليات التعليم واسلوب التربية ولهذا فقد وجهت عناية خاصة لبناء المدارس والنظام التي تسير عليه . وماتت الفكرة الاولى التي انحدرت عن اليونان وهي انه لا حاجة للتعليم الأولى الى بنايات واسعة والى تنظيم جديد ، فهذا التعليم يكتفي بالمعلم الجيد والطالب النشيط ، أما المدارس الغربية فقد شعرت بأن عمالية التعليم لا تستطيع أن تعوض عن التربية ، وأهداف التربية لا تتحقق بواسطة التعليم فقط لذلك فإن أ العلم ابحاثا قد قادت الشعوب الغربية الى

التفكير الجدي في بنائات المدارس من جميع النواحي ، لتستطيع المدرسة أن تنظم الطلاب وتسمح بحركتهم وفقاً لأهدافها وبحرية واسعة . وبهذا التطور في البناء والنظام أصبحت المدارس الغربية ليست محلات تعليم فقط ولكنها معاهد تربية وتهذيب .

البناء

بعد أن تتوفر في البناء جميع الشروط الصحية من حيث الهواء والنور والحرارة ، نرى أن بعض المربين لا يكتفي بذلك بل يضيف إليه خصائص أخرى ليس لها علاقة بالوسائل الصحية وإنما يعتبرها ضرورية للإنتاج العالمي والاجتماعي لذلك نرى أن تتوفر في المدرسة ما يلي :-

١ - يفضل أن يكون البناء مسطحاً وذا طبقة واحدة وأن يكون محاطاً بساحة للألعاب والتمارين الرياضية وبحديقة للأطفال الصغار للقيام ببعض التجارب الزراعية والملاحظات الطبيعية .

٢ - يجب أن يكون شكل البناء مقبولا وأن يؤمن الصلة التامة بين الأقسام المختلفة دون ازعاج الحياة المدرسية ، وأن يسهل دخول الطلاب الى الغرف بسرعة والحركة ، كما يسهل اشراف الادارة على الأقسام جميعها .

٣ - لابد للبناء من أن يحتوي بالاضافة الى عدد الغرف الخاصة للفرق العلمية أو الصفوف الضرورية على صالة كبيرة يستطيع الطلاب جميعهم أن يجتمعوا فيها وأن يقوموا بالاحتفالات والسمر والملاحظات العامة والمناقشات والخطابة فيها وهذه الصالة تتسع لكافة أعضاء المدرسة وحتى لبعض الزوار . فالمدرسة التي تريد أن تقوم بنصيبها من الحياة الاجتماعية بحاجة الى اجتماعات عامة في محل واحد .

٤ - يجب أن يكون أثاث المدرسة منسجماً مع واجبات المدرسة ونوع الحياة التي تحياها على أن يكون الأثاث بوضع يسهل نقله من محل لآخر واستخدامه في كثير من الأمور المدرسية . وأن تعنى المدرسة بتخصيص قسم

من الأثاث لحفظ انتاج الطلاب ومواد التجارب العلمية والملاحظات الطبيعية .

٥ - يفضل بعض العلماء أن لا يزيد عدد طلاب المدرسة على ٤٠٠ طالب ولذلك يكون البناء كافياً لهذا العدد إذ أن زيادة عدد الطلاب سيوجد للمدرسة مشاكل كثيرة إدارية وعلمية لا تسهل السيطرة التامة والارشاد الكامل ومعرفة كل طالب معرفة صحيحة . كما لا يسهل اجتماع الطلاب جميعهم في محل واحد ، كما لا تساعد على القيام بالاحتفالات التي تضم الطلاب وأولياءهم أو بعض أصدقائهم .

أما إذا قل العدد عن ذلك فإن عملية الانتقاء الضرورية للانتاج الفني والعلمي والاجتماعي تتعرض الى الاهمال حيث لا يصبح بمقدور المدرسة أن تخرج العدد الكافي من ذوي القابليات الخاصة للقيام بالاحتفالات والتمثيل والجولات والمسابقات الرياضية على أن هذا العدد يمكن أن يزيد قليلا أو ينقص بالنسبة للمحيط الذي تميز فيه المدرسة وسعة البناء .

أما إذا كانت المدرسة تسير على نظام الصفوف فيفضل أن لا يزيد عدد طلاب الصف على الأربعين من الصغار و ٣٠ من الكبار وهناك بعض العلماء من يرى أن لا يزيد عدد طلاب الصف على ٢٥ طالباً لأن العدد الكبير يعرقل حركة الطلاب ويقلب الحياة المرحية النشيطة الى حياة صفية جامدة .

وكما كانت المدرسة تقوم بالتجارب العملية أو تسير على الطريقة الحرة في التعلم كان أكثر تفضيلاً أن يكون عدد طلاب الصف قليلاً لما تتطلبه التجارب من حرية الحركة ومجال العمل الواسع لكل طالب .

النظام المدرسي

قبل وضع أي نظام للمدرسة يجب أن ينظر الى غايتين هامتين ، الاولى وهي غاية المدرسة العامة ، والثانية ، الغاية الخاصة من المدرسة . فالغاية العامة تتطلب من النظام ان يحقق قيام المدرسة بوظائفها الاساسية لمجتمع صغير من الأمة .

اما الغاية الثانية فهي تزويد الطالب بالقابلية الخاصة والمهارة الضرورية التي

تساعد الطالب على تحقيق هدف المدرسة الخاص .

وعلى هذا الاساس يكون نظام المدرسة اما اداريا قاسياً كما هو الحال في المدارس المهنية والمدارس العسكرية واما نظاماً اكثر مرونة وحرية كما في المدارس الاخرى .

وإذا نظرنا الى انظمة المدارس الاوروبية وجدنا ان نظام مدارس حدائق الاطفال والصفوف الاولى الابتدائية اشبه بنظام غير مكتوب فالحرية التامة سائدة وكذلك الحركة نشيطة وهما العنصر الاول الذي يسعى اليه المعلم .

ونجد أيضاً أن نظام الجامعة أكثر حرية من نظام المدارس الثانوية لأن الطلاب أصبحوا رجالاً يقدرون مصالحهم الخاصة وما على عاتقهم من واجبات عامة . والانتاج العلمي يتطلب هذا النظام الذي يبتعد كثيراً عن التعليمات الادارية لاسيما بعد أن مر الطلاب بالمدرسة الثانوية وتشبعت نفوسهم بالنظام الضروري لحياة الجامعة .

أما الصفوف الابتدائية الأخيرة والمدرسة الثانوية فيسود فيها نظام حازم ودقيق إذ أن هذه الفترة الاساسية للتعود على الدرس الجدي والانتاج الذاتي والقيام بالمشاريع التعاونية لذلك يطالب المعلمون بأن يكونوا أقوياء في تدريسهم وفي شخصيتهم حتى يستطيعوا إيجاد روح النظام في النفوس واخضاع المراهق الى نظم المدرسة الضرورية لحياته وحياة الهيئة الاجتماعية . ومهما كان نوع النظام الذي تسير عليه المدرسة مرناً أو غير مرن لا بد له من أن يسهل للمدرسة القيام بوظائفها المختلفة . فمن أهم وظائف المدرسة الحديثة التربية الصحيحة والمتنعة بالحياة الاجتماعية . وتحقيق رغبات الدولة أو الهيئة الاجتماعية التي تتطلبها من المدرسة . ولا يتم ذلك إلا إذا كان النظام يسهل القيام بما يلي :-

١ - تسهيل الاتصال بالمحيط لمحاربة الشيء الفاسد فيه وتعميم الجيد بعد التهذيب والاصلاح ووضعه بقالب مألوف وبطريقة مدرسية ملائمة للطلاب ومنسجم مع أعمارهم ومستواهم العقلي .

٢ - أن يقوم بمساعدة المدرسة على الاتصال المستمر بالآباء وذوي العلاقة المباشرة بالطلاب للاستفادة من خبرتهم ومساعدتهم في تهذيب الطلاب واصلاح الاعوجاج فيهم لاثـر الآباء في ذلك .

٣ - ان يسهل القيام بتجارب عملية ورحلات وحفلات ومسابقات على أن يستفاد من كل هذه الاعمال في الوصول الى غاية التربية بحيث لا يكون طابعها اقرب الى التسلية ، رغم أن التسلية مهمة ايضاً بالنسبة للمدرسة وكثيراً ماخصص لها وقت كاف واوجدوا الوسائل الضرورية لها وذلك لغاية علمية وانتاج جدي .

٤ - لقد اصبح أستثمار وقت الفراغ من الامور التي تهـم المدرسة الحديثة ولذلك فهي تسعى لتنظيم ذلك حتى لا يذهب عبثاً ويعرقل التربية المطلوبة . والمدرسة الحديثة أصبحت مركزاً هاماً للهيئات الشعبية لاسيما في القرى والمدن الصغيرة حتى انها أوجدت النظام الذي يسمح للآباء والامهات بان يقوموا بانجاز كثير من الاعمال البيتية والمهنية في المدرسة ويستعينوا بخبرة المعلم ومقدرته الفنية بالآلات المدرسة ووسائلها العلمية لاصلاح العمل ولترقية الذق الفني . ولهذا فان النظام يجب أن يؤمن القدرة على استثمار أوقات الفراغ بالشكل المطلوب والمفيد .

فعلى النظام اذن تتوقف تحقيق الغاية العامة والخاصة للمدرسة والنظام هو المظهر الاول لكل مدرسة واتجاهها في الحياة وقد يكون النظام هو الفارق الاول بين مدرسة ومدرسة وشعب وشعب .

ان المدرسة العربية الحديثة مقتبسة من المدرسة الغربية ولذلك ما زالت في بلادنا تكافح في سبيل الاستقرار والتكامل لحداثة عهدها اذ لا يزيد عمرها على جيل واحد في العراق اما المدرسة العربية القديمة فما زالت تسير على طريقتها القديمة . وان كانت هذه المدرسة بحالة تفلس واحتضار تدريجي لطغيان النظم الحديثة في الحياة العامة تلك النظم التي تتطلب مدرسة تسير على طريقة صالحة تؤمن

اللامه تحقيق هذه القيم .

واذا كانت المدرسة الغربية بعيدة عن عملية التعليم الميكانيكية فان مدرستنا الحديثة ما زالت في هذه المرحلة الاولى ولم تصل حتى اليوم الى درجة المدرسة الحديثة الغربية اذ اننا لا نلمح اهتماماً كبيراً للتربية الاجتماعية بقدر الاهتمام في التعليم وتلقين المعلومات المختلفة . فالحياة العامة في بلادنا تختلف عما الفتة البلاد الغربية من حياة اجتماعية حيث ان المعلم الذي يعد المسؤول الاول عن بعث الروح الاجتماعية في الطلاب لم يعيش حياة اجتماعية في اثناء فترة التمرين وانما اقتصرته حياته على كسب المعلومات والمروور بالامتحانات . على ان مناهج التعليم ونظام المدارس وعلاقاتها بالدوائر المسؤولة تعرقل الى حد كبير الاعتناء بالحياة الاجتماعية في مدرستنا الغربية واننا نأمل بعد ان تنال المدرسة الاستقرار الضروري ويحصل الانسجام بين ما اقتبسته من الغرب من نظم وطرق وبين محيطنا العربي وحاجياتنا الجديدة ان تقوم المدرسة بدورها في التربية وتساهم في بناء المجتمع العربي الجديد كما ساهمت المدرسة الغربية في بناء المجتمع الغربي .

عندما فرقت بعض اللغات الاوروبية بين الحضارة والمدنية اعتبرت الحضارة الانتاج الروحي الذي يختص به كل شعب ولا يمكن نقله من أمة لامة وهو يشمل التذوق بالجمال والغناء والشعر والادب ومظاهر الافراح والاحزان ونوعاً خاصاً من التفكير والعقلية اما المدنية فهي الانتاج العلمي والميكانيكي والذي يمكن نقله الى الامم الاخرى ولذلك فتعتبر هذه اللغات أنه بإمكان كل شعب مهما كانت حالته الاجتماعية ان يقتبس ما شاء من نظم المدنية ومنتوجها كالسكك الحديدية والمواد الآلية والادوات اللاقطة وكافة المخترعات التي تسهل التمتع بالحياة وتنفيذ الانسان ، كذلك تعتبر ان الاقتباس ليس بالشيء السهل فبعض الامم تحاول ان تقتبس من المدنية كل ما يلائم حياتها ويتفق وذوقها واعتقاداتها بينها نجد أماً اخرى تحاول ان تكيف حياتها وفقاً للمدنية وطبقاً للنظام الجديد لذلك تعتبر النظم الحديثة هي الاساس وعلى الحياة ان تتغير وفقاً لهذه النظم .

وهناك أمم أخرى اقتبست من المدنية الشيء الكثير ولكنها حاولت أن تحافظ على مظهر الحضارة فيها ولا تحدث الاضطرابات بين ما ورثته من عقائد وعادات ومارأته ضرورة مأساة حياة العصر الحاضر . ومن ابرز الامثلة على القسم الاول من بلاد الشرق هي تركيا كما ان أحسن مثال للقسم الثاني من بلاد الشرق هي اليابان . فكل من الدولتين سارت بطريق خاص ، فالاولى ارادت أن تسدل ستاراً على الماضي وتضع نفسها تحت تصرف المدنية الحاضرة ، اما اليابان فلم تترأساً من وضع حد بين الحياة العملية الجديدة وما تتطلبه من وسائل والآلات وبين الحياة الروحية وما فيها من قوى وصفات .

والامة العربية على مفترق الطرق فهي ذات صلة وثقى بالمدنية العربية ، كما انها مرتبطة بالماضي ومما خلفه لها برباط قوي ومنسجم مع حياتها وخصائصها . لذلك لا بد لها من تقرير موقفها من المدنية الغربية . او ترك ذلك للزمن نفسه الذي سيكون العامل القوي في تقرير ذلك بالنسبة للمدرسة .

فالمدرسة العربية اذاً امام مشكلة كبيرة تمس حياتها كاملة وعليها يقع الشيء الكبير من المسؤولية في اجراء التجارب للامة عما يمكن اقتباسه ، بمقدار تكوينه بحيث يناسب العادات العربية وحاجات الامة ، اذ على ذلك يتوقف نوع التنظيم المدرسي والتشكيلات الادارية ونسيق المناهج وغيرها . ولما كانت المدرسة الغربية قد ساهمت ايضاً في تسهيل عملية تطور الحياة وسيادة الانظمة الجديدة لذلك اصبح من واجبات المدرسة العربية الجديدة القيام بهذا العمل لا سيما وهي انؤسسة القوية في البلاد التي تستطيع ان تتقبل التنظيم الجديد وتهيئ الطلاب للحياة الجديدة .

صفات المرء

يقرر علماء النفس الاجتماعي أن شخصية الطفل تتكون من عنصرين :

١ - العنصر الاول وهو يتكون من داخل الطفل ذاته أي من باطنه ، وهو الميول والنوازع الفطرية وتهتم بدراسة ذلك الوراثة وعلم النفس .

٢ - أما الثاني فهو آت من الخارج من المجتمع ، والمجتمع مختلف الحلقات والطبقات ولذلك فالمدرسة توجه همها الى معرفة هذا المجتمع بالاضافة الى الاطلاع على نتائج علم الوراثة وعلم النفس .

وأهم أقسام المجتمع الذي تعنى بدراستها المدرسة هي :

أ - الأسرة - ب - المحيط الاجتماعي - ج - الدولة .

والمدرسة سواء كانت قديمة أم حديثة ذات علاقة وثيقة بهذه الاقسام الثلاثة . وعلاقة المدرسة تختلف بالنسبة للبلاد التي تنشأ فيها والعصر الذي تكون فيه لذلك يحسن بنا ان نلقي نظرة على علاقة المدرسة بكل قسم من هذه الاقسام الثلاثة .

(الأسرة - البيت) وعلاقتها بالمدرسة .

(البيت هو البيئة الاولى لتربية الطفل قبل ان يدخل المدرسة وهو ذو الاثر الفعال في حياة الطالب واثره يبقى مستمراً حتى وان قطع الطالب مرحلة طويلة في التعليم وقضى سنين طويلة في المدرسة كما مر بنا)

والمدرسة لا يمكنها ان تقوم مقام البيت . وعلاقة الطالب بالاسرة علاقة ذات حددين ، أولاً لانه يتسلم منها اكثر صفاته الطبيعية التي ورثها عنها وثانياً يتلقن بصورة مباشرة او غير مباشرة جميع العادات والتقاليد والقابليات الاخرى في حياته وطرز معيشته وهو جزء لا ينفصل عنها .

لذلك اصبح من واجب المدرسة ان تعرف البيت معرفة طيبة وان لا تهمل دراسته وتكوين علاقة متينة به لاسيما والتربية تعترف ان مصير الطفل انما يتقرر في سنواته الاولى ، (فسنوات الطفل التي يقضيها في البيت تكسبه الطابع الخاص الذي يقرر الى حد كبير نوع مستقبله) . وهذا هو السر في اهتمام المربين منذ القرن الثامن عشر بالتربية العائلية والتأكيد على أن الحياة البيتية هي أهم مساعد للمدرسة فيما اذا كانت صالحة واكبر عقبة في طريقها اذا كانت غير صالحة . لذلك فقد غيرت كثير من المدارس الحديثة نظمها حتى تصبح منسجمة مع الحياة البيتية

حتى لا يحصل عند الطالب التوتر بين حياتين متناقضتين تعمل كل منهما على هدم ما تبنيه الأخرى .

ولقد أسهبت كتب التربية في شرح تأثير البيت في حياة الطالب ولذلك لا بد لنا من الاكتفاء بما جاء في هذه الكتب .
 إن أكثر المدارس الحديثة أصبحت تهتم بعلاقة المدرسة بالبيت وكونت هذه العلاقة بطرق متنوعة وذلك لغايتين :

١ - حتى تعرف أكثر ما يمكن معرفته عن الطالب من الوجهة الوراثة ومن الوجهة الاجتماعية لتستطيع بذلك تفسير تصرفه واعطائه الارشاد الصحيح وتقديم مواد الإصلاح له .

٢ - حتى تستطيع أن تؤثر على البيت حسب امكانياتها فتصلح ما فيه من خلل وأن تستعين به في إصلاح الطالب الذي تحرص هي عليه ويهم البيت إصلاحه أيضاً .

ولقد بالغت بعض المدارس الحديثة كمدارس (ونتكا) النموذجية في أمريكا وغيرها بأن لا تقبل الطالب فيها إلا إذا تعهد الأبوان بأن يقوموا بما تكلفهما به المدرسة لأنها تعتقد أن الجهود المدرسية لا يمكن أن تعطى الثمرة المطلوبة إلا إذا سارت المدرسة والبيت متعاونين في سبيل غاية واحدة .

لذلك أصبحت قيمة المدرسة الحديثة تقاس في بعض الاقطار الغربية بمقدار علاقتها بالبيت ولقد استطاعت مدارس كثيرة أن تنفذ الطالب من أخطار كثيرة عندما وجدت أن الحياة البيتية لا تكفل له التقدم في حياته وأن الأبوين لا يقومان بواجبهما تجاه الطالب لذلك فقد استعانت هذه المدارس بالحكومات على إبعاد الطالب عن البيئة البيتية الفاسدة . ولهذه القيمة التربوية نجد أن المدرسة العربية بحاجة كبيرة الى إيجاد علاقة قوية مع البيت وذلك لإصلاح البيت العربي الذي يحتاج الى انسجام مع نظام المدرسة ولتخفيف عمله السليبي غير المباشر بالنسبة لتنظيم المدرسة أولاً ولإزالة ما يشكو منه المعلمون وهو عدم النظام في المدرسة ثانياً إذ أن الطالب يصبح مطيعاً ونظامياً كلما شعر أن المدرسة لها صلة

بالبيت وانها تستعين باليت وتنال ثقتها .

صلة المدرسة بالمحيط الاجتماعي

من واجبات المدرسة الأولى دراسة المحيط من وجهتيه ، الجغرافية والاجتماعية .
فدراسة المحيط يزود المدرسة بمعلومات قيمة عن الطلاب والحياة الملائمة لهم .
لذلك أخذت المدارس مهما كان نوعها ودرجتها تهتم بدراسة المحيط حسب امكانياتها
ودرجتها وتغير بعض أنظمتها بالنسبة لتناجح هذه الدراسة .

وقد لا يصعب دراسة المحيط الجغرافي فيما إذا استعانت المدرسة بالخبرة العلمية
في الامم الاخرى واستخدمت الوسائط الحديثة التي أصبحت سهلة المتناول في
درس هذا المحيط .

أما المحيط الاجتماعي فهو ذو تأثير كبير على المدرسة لذلك لا يمكن أن تكتفي
المدرسة بدراسة المحيط الجغرافي فقط إذ أن المحيط الاجتماعي هو الذي يعطي
الطابع الخاص والاتجاه العام . فالنظرة الدينية والعادات القومية والنقائيد الشعبية
هي ذات تأثير ثقافي وهي التي تكون القسم الروحي من حياة الفرد لذلك وجب
على المدرسة أن تفهم المحيط الاجتماعي وتحاول أن تسير بحكمة في اصلاح هذا
المحيط أو على الأقل عدم التصادم معه .

فعلى المدرسة معرفته المحيط وتأثيره كي تستخدمه في غرضها التربوي واستثمار
قواه في اصلاح الطلاب وتحسين حياتهم المدرسية . وقد استطاعت مدارس كثيرة
توجيه الطلاب توجيهاً مفيداً بعد درس المحيط وأظهار الناحية التي يجب أن تحارب
والناحية التي يجب ان يعنى بها كما استطاعت مدارس كثيرة ان تصلح المحيط
بكامله بعد ان هيء لها معلمون واعون ذوو هممة كبيرة .

لذلك فعلاقة المدرسة قوية بالمحيط فهي يجب ان تحتل مركزاً هاماً في حياة
الهيئة الاجتماعية لتقوم بدورها من الوجهة الجغرافية والتاريخية والروحية وأن
تقوم بالحفلات والمسابقات التي تهذب المحيط وترفع مستواه وتغير
نظرته الى الحياة .

فعلافة المدرسة بالمحيط يجب ان تكون قوية ومساعدة على اصلاحه لانه من واجبات المدرسة معرفة التراث الثقافي للشعب ومنزجه بحياته وتفسيره على ضوء العمر الذي يعيش فيه ثم تسليم ذلك الى الاجيال القادمة التي يجب أن تهضمه وتنميه ولا يتم ذلك إلا بتكوين علاقة متينة مع المحيط الاجتماعي. ان هذه البيئة الصغيرة هي الوطن الصغير للطفل لذلك لا يمكن ان يحبه الطفل إلا اذا استطاع معرفته والاطلاع على خصائصه ونواحي الجمال فيه. واذا ما ثبتت المدرسة هذا الحس في نفوس الطلاب سهل عليها ان تعم ذلك على الوطن الكبير حتى يستطيع الطلاب أن يقوموا بواجباته ويقدموا له التضحيات الضرورية.

وكما قامت المدرسة بدراسة المحيط كلما استطاعت أن تكون مركزاً لتخريج الافراد القادرين على التكيف والنهوض بالمجتمع ورفع مستواه. والطالب كفرد يعيش في محيط ما، تملكه كبقية الافراد عادات كثيرة تتصرف به دون ان يعرفها وما دام الانسان لا يعرف نفعها وقيمتها ونتائجها لا يستطيع السيطرة عليها. ولذلك فالمدرسة تسمى للسيطرة على ذلك وتوجيهها وجهة صحيحة أو الحد من تأثيرها على الطلاب لذلك لا بد من الاتصال الوثيق بذلك.

أن « السيطرة الاجتماعية الحقيقية معناها تكوين ميل فكري معين في الفرد أو طريقة الى فهم الاشياء والحوادث تعينه على الاشتراك الفعال في الاعمال الاجتماعية » هذا ما يطلبه جون ديوي وما تسعى التربية الحديثة الى تحقيقه. فالترفيه تريد ان تساعد الفرد على أن ينال هذه السيطرة الداخلية وذلك ليكمل مصلحته وفهمه للاشياء متشابهاً مع مصلحته وفهم الآخرين.

لذلك فالمدرسة في حالة تفاعل مستمر مع البيئة الاجتماعية وهي تتأثر بها وتؤثر فيها ولذلك عليها أن تقرر مقدار ما يجب أن تتأثر بالبيئة وتنسجم معها ومقدار التأثير الذي تحدثه في البيئة بطرقها وجهودها.

وكما كانت البيئة الاجتماعية راقية ومستقرة كلما حاولت المدرسة أن تجعل نظمها وحياتها متشابهين معها وكما كانت البيئة ضعيفة وبسيطة كلما حاولت

المدرسة صرف جهود كبيرة لتنظيم البيئة ورفعها الى مستواها الحقيقي حتى تستطيع أن تنتج وأن تقوم برسالتها القومية والتربوية .

عريف المربية بالروية

تختلف الامم في علاقة مدارسها المختلفة بالدولة باختلاف الظروف والحالات السائدة . ولقد تنوعت العلاقة المدرسية بالنسبة للعصور الماضية وأخيراً استقرت على أن الدولة هي المسؤولة الاولى في توجيه المدارس والاشراف عليها سواء كانت المدارس تابعة مباشرة للدولة او مرتبطة بهيئة اجتماعية خاصة .

وكما كانت طريقة الحكم في الدول ديموقراطية استعانت الدولة بمجالس البلديات او الهيئات الشعبية المختلفة للقيام بأعباء المدرسة المالية والثقافية . اما اذا كان الحكم ميالا للروح الديكتاتورية فان الدولة لا تقبل الاشراف فقط على المدرسة بل تريد أن تكون المدرسة خاضعة في كافة امورها المختلفة للدولة وسيطرتها . اذ ان الدولة لا يمكنها أن تستغني عن المدرسة كأداة توجيه للشعب نحو جهة معينة وفي طريق خاص .

ان الدول الفتية على اختلاف انواعها واشكال الحكم فيما تميل الى السيطرة التامة على المدرسة حيث أن هذه الدول بحاجة كبيرة الى مساعدة المدرسة في قيادة الشعب واعطائه الطابع الضروري لحياته الدولية لأن الدول الفتية تشعر بمسؤوليات كبيرة تجاه تربية الشعب وارشاده بوقت معين وتحت الظروف الحرجة التي تمر بها اكثر .

وتقسم المدارس من حيث علاقتها بالدولة الى قسمين :

١ - المدارس الرسمية .

٢ - المدارس الاهلية .

أما في البلاد العربية فيضاف اليها نوع آخر وهي :

٣ - المدارس الاجنبية .

أما موقف المدارس الرسمية فواضح فهي تسير وفقاً للخطة الحكومية التي

ترسمها لها وزارة المعارف . فالحكومة حرة التصرف من وجهة النظام والمنهاج والدوام والوجهات الاخرى .

أما المدارس الاهلية فهي متنوعة بالنسبة لنوع الهيئات الاجتماعية التي تقوم بانشائها وتشرف على اداراتها واغلب الاحيان تكون هذه الهيئات ذات طابع ديني لان هذه الطوائف الشعبية تشعر احياناً أن مدارس الدولة الرسمية لا تحقق لها الهدف الديني او الاجتماعي الذي تضعه لانبائها لذلك تقوم بانشاء مدارس خاصة على نفقتها وتسير وفقاً لرغباتها واتجاهاتها الدينية .

وموقف الدولة من هذه المدارس مختلف بالنسبة للامة وبالنسبة لعلاقة الدولة بالطائفة نفسها فقد نجد بعض الدول لا تشجع قيام مثل هذه المدارس بينما نجد دولاً أخرى ترى ان هذه المدارس تخفف العبء الكبير الملقى على عاتق الدولة تجاه المدرسة .

وقد تقوم بعض المدارس الاهلية وفقاً لحاجة محلية بأن تشعر احدى المدن بأن الدولة لا يمكنها سد حاجاتها الاقتصادية بانشاء مدارس معينة وفقاً لخصائص المنطقة أو البلدة فتقوم الهيئة الاجتماعية في البلدة نفسها بانشاء المدارس كأن تقوم البلدة بانشاء مدارس صناعية خاصة أو فنية مهنية حفظاً لثرات قديم او تشجيعها لبعض القابليات الصناعية التي تمتاز بها البلدة . وعلاقة مثل هذه المدارس علاقته ولاء تام للدولة في اكثر الشعوب الأخرى .

والدولة تشترط في كافة المدارس الاهلية ان تخضع لرقابة الدولة وتطبق بعض القواعد التي تؤمن للدولة سلامه التربية من الناحية الوطنية والصحية و احياناً العامية أيضاً إذ تشعر الدولة انها لا يمكن أن تتساهل في هاتين الناحيتين لأنها من وظائف الدولة الاساسية وواجباتها الاولى .

اما من الناحية الفنية والعلمية فان المدارس الاهلية تتمتع بحرية واسعة وان كانت هذه الحرية مقيدة ايضاً بالنسبة لاعتراف الدولة بالشهادة التي تمنحها هذه المدارس فكلما انحصرت الشهادات المدرسية في الشهادات الرسمية دون معادلة فان

المدارس الاهلية تضطر الى اتباع المنهج الرسمي وتطبيق الكتب المدرسية الضرورية وذلك وفقاً لحاجة الافراد الى هذه المعادلة .

فكثيراً ما لا ترغب الدولة ان تمنح هذه المدارس حق منح شهادة لا تؤمن المستوى العلمي الذي تتمتع به المدرسة الحكومية وأحياناً يكمل بعضها بعضاً وتكون الحلقات متصلة تماماً لذلك لا بد من توحيد الشهادات حتى يستطيع الطلاب الانتقال من المدارس الحكومية الى الاهلية وبالعكس لذلك قد تلعب وحدة الشهادات دوراً هاماً في توحيد المدارس .

اما النوع الثالث من المدارس وهو المدارس الاجنبية وهذا النوع يكثر في بعض اقسام البلاد العربية تبعاً لحالة البلاد السياسية وارتباطها الدولي ولكن مهما كان نوع المدارس الاجنبية فان الدولة لا تسمح بتكثير هذا التعليم في البلاد لأن المدارس الاجنبية تخدم أهداف المنظمات الاجنبية بالدرجة الاولى لا الدولة المحلية . ومن الملاحظ ان المدارس الاجنبية تكثر في بلادنا العربية بصورة تدعو الى الريبة والشك إذ كثيراً ما تقتسر ادارات المدارس الاجنبية بأنها تقوم بنشر لغة معينة أو ثقافة خاصة على أن الدول العربية جميعها لا تميل الى السماح بنشر التعليم على أيدي أجنبية . ولذلك فالتنازح اليوم اتجاهها عاماً في البلاد العربية لمحاربة هذه المدارس والعمل على تمويلها بمدارس حكومية أو على الأقل اهلية محلية . كما انه اصبح اليوم امر العناية باللغات الاجنبية كبيراً ولذلك نجد ان المدارس الرسمية والاهلية تقوم بنشر تعليم هذه اللغة دون الحاجة الى الاستعانة بالمدارس الاجنبية .

وكثيراً ما تكون الحالة الاقتصادية عاملاً فعالاً في انشاء مدارس اهلية او حجازاً في طريق انشائها إلا ان هذا العامل لا يكون له اثر كبير في قيام المدارس الاجنبية وازعافها ان كانت تستمد قوتها المالية من دولة أجنبية تلامن مؤسسه خاصة لأن الدولة الاجنبية تملك من الوسائل المالية ما يساعدها على تغذية المدارس الاجنبية بالحاجات المادية دوماً . وعلى هذا فالعامل السياسي قد يكون

العامل الوحيد في قيام المدارس الاجنبية او القضاء عليها كما حدث في بعض اقسام البلاد العربية لا سيما سوريا .

اننا اصبحنا اليوم نشعر ان الازمة الاقتصادية اخذت تؤثر على المدارس الاهلية في اكثر البلاد العربية حتى اصبحت لا يمكنها ان تستمر في اعمالها ما لم تقم الدولة ببعض المساعدات المادية وذلك باعطائها منحة مالية او اعطائها بعض القوات التعليمية او بمساعدتها ببناء المدرسة ولذلك اصبحت تعتبر مدارس نصف رسمية وقد لا تختلف كثيراً عن المدارس الرسمية من حيث المستويات والمناهج والاعمال المدرسية الاخرى .

والدولة تشجع المدارس الاهلية اذا خضعت هذه المدارس للنظام العام وقامت بواجبها من حيث نشر التعليم دون احداث ضرر في الناحية القومية او الصحية ، لأن هذه المدارس تساعد الدولة على القيام بواجبها العالمي والثماني سيما وان البلاد العربية بحاجة كبيرة الى نشر التعليم بمدة قصيرة .

ان الدول اليوم اصبحت مضطرة بحكم مسؤولياتها المتعددة ان تكون علاقتها بالمدرسة قوية لا لسلامة الاتجاه القومي والصحي فحسب بل لتوجيه الناشئة نحو الانتاج الاقتصادي والوعي الاجتماعي والقيام بالخدمة العسكرية وتحمل جميع المسؤوليات التي تفرضها الدولة . وكلما توسعت مسؤوليات الدولة كلما استندت في انجاز تلك المسؤوليات على المدرسة وبذلك تقرب علاقة المدرسة بالدولة من علاقة خضوع المدرسة لسيطرة الدولة ولقد ظهر هذا الاتجاه جلياً في جميع الممالك العربية وحتى في الممالك التي كانت المدارس قبلاً تتمتع فيها بحرية تامة واستقلال كبير .

فالحياة الجديدة قد اودعت للدولة مسؤوليات التنظيم الاقتصادي ولذلك فالدولة مسؤولة عن تأمين توزيع الانتاج وزيادته بنظام يضمن للمواطنين الاطمئنان والقناعة ولذلك فالمدرسة هي خير وسيلة بيد الدولة لتحقيق ذلك .

نرى من كل ما مر انه من المناسب القاء نظرة سريعة على مدرستنا ، وذلك لأهمية ذلك لنا ، حيث أن حالنا تدعو الى أن نغنى بالمدرسة عناية خاصة لأنها أداة قوية بيد الامة في تحقيق كثير من الاهداف العامة .

ولما كانت سياسة التعليم تستمد في كل بلد من فلسفة الحياة التي تسود ذلك البلد لذلك وجب علينا أن لا ننتظر سياسة حازمة للتعليم في بلادنا ما لم تسبق ذلك وجود فلسفة معينة للحياة التي يقوم التعليم بعملية الاعداد لها . حيث أن واجبات التعليم الحالية قد تعددت وتنوعت وتعمقت ايضاً نظراً لتطور الحضارة وتوسع المدنية ، ولذلك فقد تم التعليم واعتبر الزامياً بعد ان كان اختيارياً للضرورة الكبيرة ولاعتماد الحياة الحاضرة بكثير من نواحيها على التعليم . ولهذا السبب ايضاً توسع التعليم وطالت مدة الزاميته وجعل حراً تستطيع الهيئات الاجتماعية ان تقدمه لجميع ابناء الامة وبناتها دون التفريق . لذلك نودي بايجاد الفرص وتكافئها حتى يستطيع كل مواطن ان يأخذ من التعليم قسطه الضروري لحياته وينسجم مع مقدراته المختلفة .

لقد اصبح اليوم التعليم امضى سلاح بيد الامم لمحاربة الفقر والامراض وخير سلاح يقي به عوادي الدهر واحداث المستقبل . فالجاهل يتعرض الى امور خطيرة في هذه الحياة المعقدة . كذلك يكون الجاهل اضعف مقاومة تجاه الامراض وأقل حيلة في التغلب على الفقر والبؤس .

هذه الاهمية الجديدة للتعليم هي التي دفعت جميع الامم لأن تضع التعليم ونشره وتحسينه في مقدمة برامجها واصبحت مهما تقدمت في المدنية والحضارة تغني به اكثر فأكثر فزيد من مدته حسب امكانياتها وتكثر منه وتنوعه وان تغني باتقانه ايضاً . وهذا ما جعل التعليم ورجاله في حركة فكرية دائمة وتطور سريع ليمشي التعليم بذلك حاجات الزمن ومستوى الحياة الجديدة .

وإذا كان التعليم يقوم بهذه المهمة وهذا مع ذلك واجب واحد من واجبات

المدرسة ، عندئذ نستطيع أن نتصور أهمية المدرسة وخاصة بالنسبة لنا في مثل هذا الموقف الذي نريد فيه ان نأحق بالتطور العالمي ونسير مع قافلة الحضارة والمدنية . ان حاجتنا هذه الى المدرسة تدعونا لأن لا نعجز من كثرة الابحاث والمناقشات حولها ومن اجراء ما امكن من تجارب للوصول الى افضل النتائج وأخيراً يجب أن نزول من نفوسنا فكرة الخوف من صرف الاموال ما دامت تصرف في سبيل المدرسة . لأن ذلك سرف لا يذهب عبثاً كما يتصور بعض الناس .

لقد بدأت مدرستنا حياتها الجديدة ، او حياتها الحاضرة قبل ثلاثين عاماً في العراق وان كانت بعض المدارس قد نشأت في العهد التركي وهي لا تختلف كثيراً عما عليه مدرستنا الحاضرة . لكن العدد كان قليلاً لا يعتد به .

وتكونت المدارس الحاضرة على الاسس الغربية السائدة آنذاك والتي وصلت اليها ، فكانت المدرسة تماشي تطورنا الحديث قبل ثلاثين سنة ، أي قبل أن يزداد اتصالنا بالغرب وتوثق علاقاتنا بالحياة الغربية . فكانت قبلاً بدنياً ومعلمياً ومناهجياً ، ما كنا نستطيع عمله في تلك الفترة الزمنية . حتى لقد كانت قبل ربع قرن مفخرة الدولة وموضع اعتزاز الناس .

ولقد تنوعت المدارس فأصبحت ثلاثة مراحل - اولى - ابتدائية وثانوية - مهنية وعالية ، وتسلسلات في الاهمية والقوة العددية ، كما تتسلسل امثالها في البلاد الغربية الاخرى .

وكان الهدف الاول من جميع هذه المدارس اخراج شبان وشابات يفهمون شيئاً عن الحياة الغربية ويستطيعون مسايرتها في بعض نواحي حياتهم ويسدون حاجة الدولة من موظفين .

وسارت مدرستنا على هذا الاتجاه ووفقاً لتلك الحاجات . فقامت المدرسة بقسم كبير من واجباتها العامة وقدمت للبلاد الموظفين الذين يحتاج اليهم جهاز الدولة واستطاعت أن تسير النهضة الجديدة والتطور العام .

ولكن التطور السريع الذي حصل في البلاد والتوسع الكبير في بعض مرافق

الدولة والصلة المحكمة التي حصلت بين حياتنا وحياة الغرب ، كلها أوجدت شكاً في نفوسنا بأن مدرستنا لم تصبح منذ زمن غير يسير مسيرة الاتجاهات الجديدة وانها أصبحت غير قادرة على تحقيق رغبات الناس وسد حاجة البلاد . وقد نكون غير مباليين حتى حينما نقول بأن الناس أصبحوا حائرين في أمر المدرسة وقيمة ما ينفق عليها . وربما يكون سبب ذلك واضحاً لأن الحياة عندنا قد قفزت في تطورها قفزات كبيرة بمناسبة الحرب وزيادة الصلة بالغرب . أما المدرسة فلم تستطع مسايرة هذه الحياة إن لم نقل انها بقيت جامدة في بعض فرائدها وضعت في نواح أخرى ، مما باعد الشقة بين الحياة والمدرسة وأصبحت الحياة في واد والمدرسة في واد آخر كما يقول المثل .

(والأتم تقوم بعد كل فترة زمنية أو بعد كل حوادث جسام تحدث في الحياة ، بفحص المدرسة ، فحماً دقيقاً ، تعيد اليها النشاط وتتقي شر التمسح والانحلال أما مدرستنا فرغم قفزات الحياة ورغم تعتمد الحياة الجديدة بصورة عامة فهي لم تتم بعملية اصلاح تسير قوة التطور وسرعة الحياة .)

وكل ما حدث في المدرسة انما هو توسع نسبي في الكم وارتفاع في سلم المراحل التعليمية . إذ لا ننكر أن عدد المدارس قد زاد زيادات مختلفة بالنسبة للقفزات الزمنية وزاد في العراق التعليم العالي وازدادت الكليات ، وقامت البعثات بنصيب قوي في ارسال الطلاب الى خارج البلاد لا كمال الدراسة العلمية . إلا أن أسس المدرسة من حيث المفاهيم ونوعية المعلم والمواد التدريسية فقد بقيت على حالها ولم يحدث عليها تطور يذكر وربما حصل في بعضها تحسن بينما ضعف البعض الآخر .

وأما فلسفة المعلم ووضوح رسالته ونظراته الى مهنته ونظرة الطلاب الى المدرسة وعلاقتهم بها فقد يكون قد اصابها شيء كثير من الارتباك والغموض .

وقد يكون لتطور الحياة عندنا أثر كبير على مثل هذا الاضطراب والغموض . فازدياد النظرة المادية وسيطرة العلاقات الشخصية قد أثرتا على هذه الناحية من المدرسة فأضعفت القيم الروحية فيها وطردت العواطف العامة واللذة في العمل

لذلك نجد الاهتمام المدرسي قد رافق الحياة فتركز حول الأسس المادية في المدرسة وابتعد عن الأسس غير المادية .

لذلك زادت قيمة الامتحانات واعتبرت هي المقياس الأوحـد للقيم جميعها . وكثر الاهتمام بالشهادة المدرسية دون الالتفات الى قيمة الخبرات والأعمال . وتركز العمل المدرسي في الدروس الزمنية وفي تطبيق حرفية المنهج واشغال مدة الساعات الزمنية . أما التفكير الذاتي والابداع الذاتي واستنباط القواعد من قبل الطالب نفسه والمسؤولية والروح الاجتماعية وروح التعاون والعمل المشترك فهي قد توارت وراء المدرسة أكثر من ذي قبل .

لقد أصبح اليوم جلياً ان هم الطالب الاول وذويه أيضاً عبور الامتحانات المدرسية بأي شكل وبأي اسلوب وما المعلومات التي يتلقاها الطالب في المدرسة إلا جسر يستخدم لعبور الامتحان وأصبح التعليم لا كما كان قبلاً عندنا ولا كما هو الآن في الغرب وإنما هو شيء قائم بذاته ينحو نحو جمع المعلومات دون النظر في قيمتها ونوعها ، ولا ينظر إلا الى كمياتها واستعدادها للظهور أثناء ساعات الامتحانات . أما خلق الطالب وأما سلوكه وأما قيمته في الحياة فهذه أشياء تأتي بعد ذلك بمراحل .

كذلك نشاهد اليوم بوضوح أنه ليس هناك حماس خاص لأساليب التعليم الجديدة ولا اندفاع خاص نحو قيم أخرى وإنما كل شيء يسير بهذا الاتجاه المادي . وإذا أعترفنا بوجود هذه الحالة في المدرسة وجب علينا التفكير جدياً، حيث إننا أصبحنا نخشى أن تكون المدرسة عاملاً من عوامل الفوضى وسبباً من أسباب عدم الاستقرار . اننا بحاجة الى إعادة النظر في تكوين مدرستنا الحاضرة وتعيين حاجاتها كمية ونوعية والتفكير في وجوه الإصلاح والقيام بتجارب تربوية وعامية ، وصرف مبالغ كبيرة لتحسينها وتعميم الحسن منها .

ولتكن لنا خطتان - خطة انتقالية تكون سرية المفعول بحيث نحاول بها اتقاء استمرار الخطأ .

وخطة طويلة - لمدة معينة من الزمن نستطيع فيها تغيير شكل المدرسة وسد

حاجتها الدائمة وتثبيت اسس المدرسة وعناصرها بحيث نستطيع الاطمئنان على مستقبل أولادنا ، والنظر بعين الأمل الى مساهمة المدرسة بقوة في تحسين الحياة وتطورها ، التطور الذي نحتاجه ونسعى اليه .

لقد ظهر اليوم بوضوح اثر التعليم في تحسين الحياة فان المعارف التي تعلمها معاهد التعليم الى الطلاب لها اثر بين في تغيير تفكير الامة ، حيث تبدأ الامة تسأل نفسها عن نفسها وهذا السؤال وحده كاف ليدفع الكثيرين من الناس للتفكير في عوامل الاصلاح وسبل التحسين ، لان المدرسة الصحيحة هي التي لا تكتفي باعطاء معارف جامدة لا تتحرك وانما تسعى بعد اعطاء المعارف الى مساعدة الطالب في الاستفادة من هذه المعارف وقد يكون ايضاً من واجبها الاول استخدام هذه المعارف لايجاد قيم خلقية في الطالب . واذا ما قامت المدرسة بهذه الأمور تكون قد ساهمت باكبر قسط في تحسين الحياة وأصلاح كثير من المفاسد في المجتمع . لهذا فان امتنا قد تكون احوج من غيرها الى العناية بالتعليم عناية تشمل كميته ونوعيته لأن تطور الحياة السريع ، سيزيد في مشا كل الناس وسوف يحدث فروقاً بينهم لا يمكن أن تحل كل هذه المشكلات إلا بتعليم جيد وتوجيه حسن كما ان الفروق الكبيرة التي بدأت تتكون في حياتنا سوف تكون عاملاً مزعجاً ومزعجاً لتطورنا السليم . وهذه الفروق لا تزول او لا تخف على الاقل إلا بواسطة التعليم والمدرسة .

واذا كانت الامم المستقرة تنظر الى أن حياة البلاد تتوقف على نوع التعليم فيها فان حياتنا الحاضرة لا يمكن أن تستقر إلا بواسطة التعليم . وعندما نؤمن بذلك ، نستطيع عندئذ أن ننظر الى المدرسة غير نظرتنا الآن ، ونستطيع ان نراها مركزاً للاصلاح ومهداً من معاهد التربية والتوجيه . أن ننظر الى كل من تخرج منها بأنه اكثر فعالية ونشاطاً واكثر حماساً للمصلحة العامة ووعياً لها ، فيزيد الهدوء وينسجم اعضاء الشعب ويتمون الافراد ويتجهون رغم اختلافهم في حياتهم ومقدراتهم وامكانياتهم نحو هدف موحد وغاية مشتركة .

عنصر التربية الاجتماعية المعلم

لقد رأينا مما سبق أن التربية الحديثة قد أولت الطالب المنزلة الاولى فأصبح محور العمل المدرسي ، على حين أن المعلم في التربية القديمة هو الذي كان يتمتع بهذه المنزلة . إلا أن هذا التغيير لم يضعف من قيمة المعلم في المدرسة وإنما اعطاه اتجاهاً جديداً وأصبحت الامم الحديثة تقدر المعلم أكثر من ذي قبل ولا سيما بعد انتشار حركة التعليم الازمائي فيها وتوسع النهضات الحديثة فكلمها أعتدت الامة بالتعليم شعرت بحاجتها الى التقدم في الحياة والاستعانة بالمعلم على تحقيق هذه الرغبة .

لقد بدأت الشعوب الغربية منذ القرن التاسع عشر لا تكتفي من المعلم بأن يقوم بعملية التدريس فقط لأن المدرسة أصبحت اليوم مركزاً هاماً من مراكز الإصلاح العام وصار المعلم الذي يعتبر المنظم الاول في هذا المركز يتحمل مسؤولية أكثر من ذي قبل بالنسبة للتطور بمختلف انواعه .

ولعظم هذه المسؤولية التي القتها الامم على عاتق المعلم أصبح لزاماً عليه ان يجري البحث والنقاش حول امكانية تحمل المعلم لهذه المسؤولية .

لقد كان المعلم قبلاً يتمتع بحرية واسعة فهو عضو محترم تابع للكنيسة ويقوم بتدريس الدين وبعض العلوم الاخرى الضرورية لذلك والي لها علاقة وثيقة بالدين فكان يؤدي وظيفة دينية تتمتع باحترام الناس على اختلاف طبقاتهم .

وكان المعلم يقتصر في تدريسه على بعض المعلومات المختصرة والضرورية للهدف الذي تطلبه الكنيسة .

اما بعد تطور اليقظة الفكرية وانتشار الاختراعات والاكتشافات وتولي الدولة مسؤولية التنظيم الشعبي فقد أصبح المعلم تابعاً للدولة ويسعى لتحقيق اغراضها لذلك فقد ابتعد كثيراً عن مقامه الاول وبدأ يتمتع بما يتمتع به موظفو الدولة

الآخرون كما ان الدولة اصبحت مسؤولة عن راتبه او تأمين ما يضمن له العيش كعضو من اعضائها .

فمنذ منتصف القرن التاسع عشر حتى اليوم ، ومقام المعلم الاجتماعي لم يتغير وان حدثت تطورات كبيرة في حقل التربية الحديثة .

وقد اخذ الكثيرون من المربين يبحثون جدياً في المعلم وصفاته الخلقية والنفسية وتدريبه المهني لا سيما بعد أن تطور علم النفس واعطى نتائج ذات قيمة علمية ، إذ رأى المربون ان المعلم الذي لا يتحلى ببعض الصفات المعينة لا يمكنه أن يقوم بواجبه ولا ان يؤدي رسالة امته القومية .

وصفات المعلم مرتبطة باهداف المدرسة ووظيفتها في الحياة الشعبية فعلى تعيين هذه الاهداف والوظائف تتعين الصفات الاساسية التي يجب ان يتحلى بها المعلم ليستطيع القيام بعمله المهني ويصل الى الغاية .

وعلى هذا اصبحت السؤال الآتي هو الذي يشغل العلماء وهو :

من هو الذي يصلح لمهنة التعليم ؟ ..

نرى من هذا السؤال أن التعليم أصبح مهنة بينما كان قبلاً لا يتحدد بشروط المهن المعلومة التي سادت الحياة قبل القرن التاسع عشر ، اذ لكل مهنة شروطها الخاصة وتتطلب قابليات واستعدادات معينة في الافراد الذين يرغبون مزاولتها فللاجابة على هذا السؤال الاساسي بحثت مسألة التعليم كمهنة مثل بقية المهن وماذا تتطلب هذه المهنة المهمة في حياة الشعوب وقد رأى علماء التربية أن يبحث في ذلك من ناحيتين :

١ - في صفات الشخص الذي يود الانتساب الى مهنة التعليم .

٢ - كيفية التدريب الفني ومدته ومادته .

لقد أظهر علم النفس أن هناك صفات موروثية في الانسان وهي التي تكون أساساً متيناً لكل مهنة فاذا ما أضيف الى هذه الصفات الموروثة الصفات المكتسبة والمقدرة الفنية أصبح الانسان صالحاً للمهنة ومنتجاً فيها أما اذا

لم يراع في انتقاء المعلمين هذه الصفات الطبيعية والاستعدادات الخاصة فان التربية المهنية مهما تحسنت فلا تعطي النتائج القوية كما لو اقترنت بالصفات الاولى - لذلك فيعتمد على علم النفس في كشف هذه الصفات والاستعدادات الخاصة وملاءمة ذلك لمهنة التعليم . ولقد وجد ان كل انسان له استعداد فطري لمهنة معينة حتى أصبح بالبع في ذلك فيقال إن فلاناً خالق لأن يكون طبيباً أو محامياً أو تاجراً أو نجاراً أو سياسياً لذلك فعلى علماء التربية أن يقرروا الصفات الموروثة التي يزود بها الشخص للاستعانة بها في تشيئة المعلم .

لقد اختلفت صفات المعلم بالنسبة للعصور التاريخية وبالنسبة للشعوب المختلفة لأن المحيط الذي يعمل فيه المعلم يقرر نوع الصفات البارزة التي يتصف فيها فاذا كان المحيط ابتدائياً أصبحت أهم صفات المعلم الرجولة ذات الطابع الرصين والحياة الحشنة وهنا يكتفي بمعلومات عامة يحتاجها المحيط الابتدائي . أما إذا كان عمله في محيط قطع مرحلة كبيرة في الحضارة ونال نصيباً مرضياً من الثقافة فان صفات المعلم تختلف بالنسبة لهذا المحيط كما أن تدريبه يصبح أطول مدة من المعلم الذي يعمل في المحيط الابتدائي .

(والتربية الحديثة أصبحت لا تنظر الى المعلم من حيث أنه يعطي الدروس المختلفة ويلقي المعلومات المتنوعة وانما تطلب منه قبل ذلك أن يكون مربياً ومرشداً وقائداً وواجبه الأول ليس تثبيت المعلومات بمختلف الطرق فقط وانما النظر الى الطالب كشخصية لها حرمتها ومكانتها وقابلياتها ، وهـذه الشخصية تستطيع أن تنمو وتنتج إذا تعهد لها مرشد حسن الارشاد وقائد يعرف القيادة ولا يستطيع المعلم القيام بهذا العمل التربوي اذا اقتصر على القدر القليل من الثقافة الضرورية للحياة الابتدائية لذلك فلا بد اذن من أن يكون ذا خلق متين وعلم صحيح يستطيع قيادة الطلاب وارشادهم ومساعدتهم على حل المشكلات التي تعترضهم في حياتهم المدرسية لأن التربية تسعى اليوم لتدريب الطلاب على التفكير الصحيح المتزن وعلى ايجاد روح التعاون بين الطلاب ولا يستطيع المعلم

تأدية هذه المهمة ما لم يتصف هو نفسه بصفة القيادة والارشاد وأن يتمتع بميل طبيعي الى التربية والاعتناء بالطلاب . والبلاد التي أخذت نصيباً كافياً من الحضارة والمدنية أصبحت تقدر جهود المعلم بمقدار رقي الهيئة الاجتماعية فيها لذلك فالمعلم مسؤول عن الاستمرار أو عدمه في الحياة الشعبية لأن مهمة المدرسة والمعلم ليست التلقين والتأليم فقط بل تهذيب الوجدان وتوجيه الثقافة نحو المثل العليا التي تتطلبها الأمة بالإضافة الى تسليم ما ورثته الاجيال عن الماضي والعمل على تحسينه وتزويدهم العصر الذي يعيش فيه والطريق التي يجب أن يسلكها بالنسبة للعصر ووضع الأمة العام .

لذلك فقد أصبحت الأمم تشيد كثيراً بفضل المعلم كما سجلت الأمة نصرات في إحدى ميادين الحياة وهذا ما حمل بسمارك ومراثيه الالمانيين لأن يعترفان انتصارهما في حرب السبعين كان نتيجة لجهود المعلم الالماني على ان الأمم التي تعترف للمعلم بفضلها عند الانتصار لا ترفع عنه نصيبه الكبير ايضاً من المسؤولية عند الانكسار لذلك فقد صرح بعض العلماء في المانيا انهم خسروا الحرب العالمية الاولى سبب المعلم .

ومما بالغ الزعماء في نظرهم الى المعلم أو انهم بالغوا في اهماله وعدم تقديره فالواقع يثبت رغم ذلك ، إن المعلم اليوم يساهم بنصيب وافر في الحركات الشعبية والقومية وفي الانتاج العام لذلك فهو يتحمل شئناً كبيراً من مسؤولية الخسارة كما له نصيب وافر في التقدم الذي تسجله الأمة في كافة ميادين الحياة .

ولاهمية المعلم في اوقت الحاضر فقد راح علماء التربية يكتثرون من الصفات الخلقية والعقلية والجسمية التي يجب ان تتوفر في المعلم حتى يصبحوا يعددون كل صفات الكمال مع العلم ان من يتحلى بهذه الصفات يصلح لأن يكون حكيماً أو مصلحاً اجتماعياً مثالياً اكثر من معلم يقوم بمهنته خير قيام . على أن بعض علماء التربية كانوا عمليين اكثر من غيرهم لذلك فقد حددوا هذه الصفات بعدد قليل يمكن ان تتوفر في بعض الناس الذين يريدون محاولة مهنة التعليم ومثل

هؤلاء العلماء كانوا يستفيدون كثيراً من نتائج علم النفس وعلم طبائع البشر لذلك فرضوا أن البشر ينقسمون الى عدة اقسام بالنسبة لخلقهم وصفاتهم الساعمة على نفوسهم ومن هؤلاء البشر ينتخب أفراد الطبقة التي تكون أكثر صفاتها ملائمة لمهنة التعليم فإذا اخذنا بنظر الاعتبار ما مر معنا في أبحاثنا السابقة من تقسيم البشر الى ستة اصناف ١ - الانسان النظري ٢ - الفني ٣ - الديني ٤ - الاجتماعي ٥ - الاقتصادي ٦ - محب السلطة . والصفات الاساسية التي تتصف بها كل طبقة من هذه الطبقات الستة ، وجدنا ان الشخص الاجتماعي هو الشخص الصالح للقيام بالتربية والتعليم لان الشخص الاجتماعي هو الذي يكون مزوداً بحس فطري يدفعه الى الميل الى الافراد الآخرين وتكون علاقته طبيعية مع بني جنسه ورفاقه وهذه العلاقة تسمى فيه الشعور الاجتماعي الذي يدفعه الى مساعدة الآخرين والتضحية من أجلهم وهذه الصفة هي أهم صفة تبحث عنها التربية الحديثة لمهنة التعليم إذ على الشعور الداخلي والعطف العميق تتكون الصلة الروحية بين المعلم والطلاب .

وكل العلماء الذين بلغوا درجة عالية في العلم والتقدير كانوا يتصفون بهذه الصفة إذ أن عاطفتهم وحنوهم على أبناء جنسهم وطلابهم هو الذي جذب الناس اليهم فأخذوا عنهم وتعلموا منهم وفي مقدمتهم (سقراط) الذي يعتبر المعلم الاول فقد وصفه افلاطون بتفصيل وأشاد بهذه الصفة الضرورية لعمل المعلم . كذلك ظهرت هذه الصفات جلية في أبي المدرسة الحديثة (يستالوتزي) فان حموه الكبير على طلابه والاعتناء بهم والسهر على حياتهم رغم فقرهم المادي وتأخرهم الاجتماعي هي التي كانت عاملاً كبيراً في ازدهار المدرسة التي أسسها وهذا الحنو والصبر هما اللذان أثارا إعجاب كافة طلابه الذين أصبحوا فيما بعد أساتذة التربية والتعليم في العالم مثل (فروبل وهربرت) .

لذلك ترى التربية (أن المعلومات التربوية وفن التدريس مهما توسعت واتقنت لا يمكن أن تجعل الشخص مريباً حقاً ما لم يتصف بصفة العطف والحنو على

الآخرين ويندفع بشعور داخلي الى العمل المستمر في سبيلهم

وهذا ما حمل ايلسرف الالماني « كنت » لأن يعترف بأن اقتراحاته التي كتبها عن التربية لا يمكن تطبيقها وإذا ما حاول تطبيقها فسوف يكون معلماً رديئاً وذلك لأن (كنت) يتصف بالرجل النظري البجائنة الذي تطغى عليه آراؤه العقلية وتفكيره المنطقي أكثر من شعوره الداخلي .

وعلى هذا نرى (أن أول صفة يجب أن يتصف بها المعلم : هي الرغبة الحقيقية في التعليم والانجذاب الطبيعي نحو الاطفال والشباب وقوة التأثير عليهم . وهذه الصفة هي التي توجد الانسجام والتعاون المشترك بين الطلاب والمعلم وهي اساسية وضرورية لكل من يشغل في حقل التربية)

أما الصفات الاخرى فهي كثيرة يختلف العلماء في عددها فمنهم من يقتصر ذلك على ست صفات ومنهم من يوصل عددها الى عشر صفات فأكثر . وكتب التربية على اختلاف أنواعها تتناولها وتشرحها وتقسمها الى عدة أقسام على أن أكثر المؤلفين يقسمونها الى ثلاثة أنواع :

١ - الصفات الجسمية .

٢ - الصفات الخلقية والاجتماعية .

٣ - الصفات العلمية والثقافية .

ولما كانت مهنة التعليم من المهن الراقية التي تتحلى بالاضافة الى العمل المادي بروح اجتماعية وبصفة عامة ، لذلك فإن الصفات التي تتطلبها المهنة من المعلم يجب أن تكون متوفرة فيه واضحة في جميع أعماله ونتاجه .

وكما نظرت الشعوب الى مهنة التعليم نظرة تقدير واحترام كلما تطلبت تلك الشعوب صفات راقية مميّنة تنسجم ونظرتها الى تلك المهنة .

الصفات الجسمية

لا شك أن للجسم أثراً قوياً على تكوين شخصية الانسان ، وان الناحية الجسمية هامة بالنسبة للتعليم ، لأن الطالب في أكثر مراحل الدراسة يتأثر

بصورة مباشرة بشخصية المعلم ولذلك تعنى الأمم باختيار ذوي الاجسام التي تنسجم ومهنة التعليم .

ويشترط فيمن يريد امتحان مهنة التعليم أن يكون خالياً من كل نقص جسمي ومن العاهات المختلفة ومن الشذوذ بأنواعه . على اننا ان أردنا أن نحادث تأثيراً ايجابياً مريحاً للطلاب علينا أن لا نكتفي بخلو الجسم من تلك النقائص وإنما نتطلب صفات خاصة أهمها :

١ - الاعتدال - بما أن التعليم ذو أثر قوي على نفسيات الصغار لذلك لا بد لنا من صفة الاعتدال الجسمية بحيث لا يكون الانسان بديناً أو نحيفاً ، طويلاً أو قصيراً ذا لون خاص غريب في الشعر والعيون وبعض أعضاء الجسم . كذلك يفضل الاعتدال أيضاً في الناحية الجمالية . كل ذلك خوفاً على نفوس الطلاب من اثاره عوامل نفسية قد تؤثر على سير الدروس والاثار التربوي الروحي .

٢ - قوة الاعضاء السمعية والبصرية : مهنة التعليم تتطلب ملاحظة دقيقة وانتباهاً خاصاً ولذلك فان عمل المعلم له علاقة كبرى في هذه الحواس ، فاذا ضعف المعلم بهذه الحواس أصبح معرضاً للارتباك لأن الضعيف في ملاحظاته الكثيرة وفي القيام بتصليح أمور الطلاب وأعمالهم ونتاجهم التجريبي والشفوي لا ينجح لذلك يعتني بفحص حاسة السمع والبصر بدقة لهذه الغاية .

٣ - الصحة الجيدة - لصحة المعلم أثر قوي على نظراته الى مهنة التعليم وعلاقته مع الطلاب ولذلك فكلما كان المعلم يشكو مرضاً كلما أصبح غير صبور على غلطات الطلاب وربما يتعرض الى حدة عصبية تعطي نتائج سيئة . ومن الملاحظ أن المعلمين لا سيما في المدارس الصغيرة قد يتعرضون الى ضعف الاعصاب نظراً لخلل في صحتهم . لذلك يجب أن نعنى بالصحة بحيث لا نكتفي بأن يكون الجسم خالياً من الامراض والعاهات فحسب ، بل ويكون متمتعاً بصحة قوية تعطي لنفسه المرح والاعتزاز وتدفعه الى العمل والانتاج ، ليكون بذلك قدوة حسنة لطلابه .

الصفات الخاصة بالمرحلة الاجتماعية

كذلك يشترط في المعلم أن يكون خالياً من كل ضعف خلقي واجتماعي لا ينسجم ومهنة التعليم ، ومع ذلك يتطلب من المعلم زيادة على ذلك صفات خلقية معينة لأنها ضرورية أيضاً لمهنة التعليم .

١ - قوة الشخصية - ان أكثر انتاج المعلم وأثره على الطلاب يتوقف على الشخصية فهناك مراحل تعليمية تعتمد على قوة الشخصية اعتماداً كلياً . كذلك فان اسلوب التعليم الذي يجري وفقاً لنظام الصفوف يتطلب قوة في الشخصية . لأن ادارة الصف ضرورية للتعليم ، خاصة اذا كان التعليم الزامياً . وعلى ذلك فان رجال التربية لا يتساهلون في تحقيق هذا الشرط .

فاذا ما تحلى المعلم بقوة الشخصية استطاع أن يتغلب على كثير من المشاكل المدرسية ، الصفية وغير الصفية وأصبح قادراً على الانسجام مع الهيئة التدريسية والهيئة الاجتماعية . وشخصية المعلم تبقى ماثلة أمام أعين الطلاب وهناك مراحل تعليمية تسود الطلاب فيها روح التقليد والمحاكاة لذلك لا بد من تقديم نموذج حسن هو شخصية المعلم القوية للاقتداء بها ومحاكاتها . وما دامت التفاعلات مستمرة بين المعلم والطلاب لذلك يجب أن نحرص على أن تكون هذه التفاعلات بأسلوب مرضي وبطريق صحيح .

٢ - القابلية الاجتماعية : ان مهنة التعليم انما هي مهنة اجتماعية ولذلك لا بد للمعلم من التحلي بالصفات الاجتماعية الضرورية لمهنة التعليم . لذلك اذا اختير لمهنة التعليم اختير الشخص الاجتماعي الذي يتحلى بصفة الحب والعطف وتقدير الذوق والجمال . وأعمال المعلم تتطلب هذه الصفات لأنها تكون ذات أثر مباشر على الطلاب . فالمعلم الذي لا يتصف بصفة المساعدة للآخرين والعطف عليهم والصبر على قبول غلطات كثيرة وتصرفات غير ناضجة لا يستطيع أن يكون معلماً ناجحاً .

ولما كنا نهدف من وراء التعليم الى التأثير الخلقى على الطلاب لذلك نصبح القابلية الاجتماعية خير صفة تحقق لنا هذا التأثير . وكل معلم لا يتصف مثلاً بحب العمل التعاوني لا يكون معلماً ناجحاً ، حيث اننا أصبحنا اليوم نطلب أعمالاً مشتركة من الطلاب ولذلك علينا أن نربي فيهم روح التعاون والعمل المشترك ولا يتم ذلك إلا بواسطة معلم يتصف هو نفسه بروح التعاون المشترك .

٣ - التمسك بالقيم الخلقية - لا شك أن الكثير من واجبات المعلم لا يمكن أن تقاس بالشيء المادي وإنما يعتمد على شعور المعلم نفسه . فإذا لم يتميز المعلم بالقيم الخلقية الصحيحة كالشعور بالمسؤولية والشعور باداء الواجب ، والامانة والاعتراف بالجميل والشكر والعدل وما شاكل ذلك من قيم خلقية عالية لا يمكننا الاطمئنان الى أن المعلم يقوم بمهمة التعليم كما تريدها الأمة ويقصدها الشعب .

ان التمسك بالقيم الخلقية يخلق عند المعلم فلسفة خاصة ويوجد في المعلم وجهة واضحة في اصلاح المجتمع ومعرفة نواقصه . وتمكون عنده المثل العليا حية يحاول تثبيتها في نفوس الطلاب والتأثير كذلك على جميع من يختلط به لاسيما زملائه وأولياء الطلاب .

الصفات الثقافية العلمية

أما مشكلة تثقيف المعلم فهي من المشاكل الهامة في الامة حيث يتوقف على ذلك أمل الناس في اتجاه وقابلية الطلاب ، لأن المعلم هو الذي يقوم بتثقيف الناشئة ولما كان المعلم يقوم بهذه المهمة عليه اذن أن يكون واسع الثقافة واضحاً في اتجاهاته وآرائه .

كذلك نجد ان مهنة التعليم هي من المهن الحية النامية ، التي تتطور مع الزمن ولذلك فإن المعلم يتعرض كل يوم الى مشكلات جديدة والالتقاء باتجاهات جديدة فحتى يستطيع حل المشكلات ومسايرة الاتجاهات عليه أن يكون ذا ذكاء عال وتفكير صحيح ، لأنه هو الذي يرشد الطلاب ويوجههم وقد تكون احكامه احياناً حاسمة من الوجهة الثقافية والعلمية ، لذلك نرى ان يتصف المعلم بما يلي

على الأقل :

١ الذكاء والتفكير - ان المعلم الذي لا يتحلى بدرجة عالية أي فوق المتوسط في الذكاء لا يصلح مطلقاً لمهنة التعليم . وكذلك المعلم الذي لا يتمتع بالتفكير الهادئ الواضح لا يستطيع أن يقوم بتربية الطلاب عقلياً وتعويدهم على التتبع واستنباط النتائج الصحيحة .

وكثيراً ما شاهدنا ان ذكاء المعلم هو الذي حقق له الهدوء في الصف وهو الذي اخضع الطلاب لرأيه وجعلهم مطيعين لأوامره وارشاداته . وما دامت المدارس تدير بتدريسها على نظام الصفوف ، فان المعلم يتعرض الى مواجهة الطلاب بمختلف قابلياتهم ومستوى ذكائهم ولذلك عليه أن لا يكون قليل الذكاء فيفقد الطلاب الثقة العلمية به ويصابون عندئذ بالعقم الفكري .

٢ - سعة المعلومات - كلما كانت المعلومات واسعة ومنظمة كلما عملت هذه على تكوين شخصية قوية في المعلم ، وكذلك كلما عملت على تحويل ساعات الدروس من دروس جامدة الى مناقشات فكرية حرة ، فسعة اطلاع المعلم ونوع المعلومات أمر ضروري للتعليم لا سيما في مرحلة الدراسة الثانوية .

٣ - روح التتبع العلمي - مهما كان المعلم واسعاً في ثقافته ومعلوماته فانه بحاجة الى التتبع العلمي لأن العلم سائر في طريق التطور والنمو بسرعة فائقة ولذلك يخشى على المعلم الذي لا يتحلى بهذه الصفة أن يتبقى وراء القافلة الحضارية والعلمية وبما ان واجب التعليم ان يأخذ بيد الطلاب نحو التقدم والنمو لذلك لا بد من وجود هذه الصفة ليستطيع المعلم مسايرة التقدم العلمي . كذلك نجد ان روح التتبع العلمي تساعد المعلم على النمو في مهنته والاتصال بأمثاله من المعلمين الآخرين في البلاد نفسها وفي البلاد الاخرى .

وأخيراً لا بد بعد كل ذلك من معرفة الصفات المنسجمة مع كل مرحلة من مراحل التعليم فهناك وجهات ثلاث تؤخذ بعين الاعتبار . أولاً وجهة نظر المهنة والرجال المشرفين عليها ثانياً وجهة نظر الطلاب انفسهم واخيراً وجهة نظر الآباء

وأولياء الطلاب فكيراً ما تختلف وجهات النظر هذه ولذلك يعمل على تقريب ذلك
بإيجاد قيم مشتركة واضحة توحد بين الجميع لأن الهدف إنما هو موحد منسجم .
ونجمل هنا بعض الصفات الضرورية :

١ - أن يكون المعلم ذكياً بحيث لا يقل ذكاؤه عن ١١٠٪ بالنسبة لمقاييس
الذكاء المألوفة .

٢ - أن يكون هادئاً من الوجهة العصبية متصناً بالتفكير الذاتي .

٣ - أن يتمتع بصحة جيدة - سالماً من الأمراض ، قوياً - وأن يكون مظهره
مقبولاً .

٤ - أن يكون متحملاً بالعواطف المختلفة والتي تكون ذات علاقة كبرى بالتعليم
على أن لا تكون عواطفه هذه جامحة .

٥ - أن يكون المعلم متفائلاً تغلب عليه مسحة السرور بالحياة والاستقرار النفسي
٦ - أن يكون مجداً مستقيماً في عمله لا تؤثر عليه التقلبات الخارجية ولا بعض
الصعوبات الخاصة .

٧ - أن يكون سلس المعاشرة قادراً على التعاون مع من هم فوقه من الأفراد أو
دونه في المستوى أيضاً .

٨ - أن يكون متبعاً مهتماً بتطورات الأطفال لا سيما الذين يتعهد بتربيتهم
وتعليمهم .

٩ - أن يكون منتظماً في عمله وأن يقوم بجمع معلوماته عن الطلاب والمحيط
الذي يعيش فيه لاستثمار ذلك في التعليم .

١٠ - أن يكون محباً لمهنته قادراً على القيام بما تتطلبه هذه المهنة من أعمال في
المحيط المعين .

١١ - أن يلم بالمعلومات الأساسية للتعليم ويطلع على سير التربية والتطورات
العامة الضرورية .

١٢ - أن يكون المعلم حريصاً على مساعدة الطلاب دون أن تغلب عليه الروح

المادية وان لا يقيس عمله بمقدار ما يدره عليه من ربح مادي.)

١٣ - أن تكون للمعلم فلسفة خاصة ووجهة واضحة في إصلاح المجتمع الذي يعيش فيه.

١٤ - أن يكون عملياً في حياته بحيث يستطيع مساعدة الآباء واولياء الطلاب لصالح الطلاب والمدرسة.

١٥ - أن يكون ملاماً بالمثل العليا مؤمناً بها عارفاً بالمجتمع ساعياً لتحقيق ماله قيمة هامة منها ومحارباً ما لا يفيد.

تدريب المعلم

أن قضية تدريب المعلم من القضايا الحيوية التي تهتم بها التربية الحديثة وتنال عناية الحكومات والامم . وتدريب المعلم مرتبط أيضاً بهدف المدرسة ووظيفتها من جهة وبالمستوى العلمي والاجتماعي للهيئة الاجتماعية من جهة أخرى . فبعد تقرير أهم الصفات التي يجب ان يتصف بها من يريد الانتماء الى مهنة التعليم يبدأ التفكير حالا في كيفية تدريب المعلمين ونوع هذا التدريب ومدته ولذلك فالترية ما زالت تنظر الى عملية تدريب المعلمين كدعامة أساسية في تطبيق النظم الحديثة والنظريات الجديدة لذلك فقد بحث المربون ايضاً في امر تدريب المعلمين كل بالنسبة لمستوى شعبه وأمته والهدف التي تضعه الامة امام المعلم لايجاده .

لذلك فالترية تنظر الى تدريب المعلمين من ناحيتين :

١ - المادة التي يجب ان يتعلمها المعلمون في اثناء تدريبهم المهني .

٢ - مدة التدريب المهني .

والامم تختلف كثيراً بالنسبة لتدريب المعلمين وان اتفقت في تعيين الصفات الاساسية لهم لان مستوى الحياة هو الذي يقرر ذلك ففي البلاد التي ارتفع فيها المستوى الثقافي والعلمي نرى أن تدريب المعلمين أصبح منسجماً مع المستوى ولذلك فهو يتطلب مدة أطول ومواداً علمية ارقى . اما في المحيط الذي لا يزال مستواه العلمي ضعيفاً فان مدة تدريب المعلمين قصيرة ومواد التدريب بسيطة ايضاً .

كما ان مدة التدريب ونوعه تختلفان بالنسبة الزمن في الامة الواحدة لتطور الحياة وتقدم الحضارة ورفي الثقافة ، فلا يمكن ان تحدد مدة التدريب للمعلمين في الاعم ولا في امة واحدة لمدة طويلة كما انه لا يمكن ان تعين مواد التدريب ونوعه بصورة مطلقة . إلا انه لا بد للتربية من تأمين الحاجات الآتية الضرورية لمهنة التعليم والتي تطلب من تدريب المعلمين مهما يختلف نوعه وتبدلت مدته أن يحقق ما يلي :

١ - يجب أن يعطى المعلم المعلومات الضرورية لحياته المهنية وأن تنمى فيه المقدرة الخاصة لاداء واجبه .

٢ - يجب أن يوضح المعلم هدف المدرسة بالنسبة للامة ووظيفة هذه المدرسة بالنسبة للحياة العامة .

٣ - عليه ان يزود المعلم بقابلية الابتكار في عمله وايجاد روح وقابلية التجدد حتى اذا صادف محيلاً غريباً عليه ، يستطيع أن يعيدش فيه وينتج .

فالتحقيق هذه الغايات العامة لا بد من ايجاد معاهد خاصة لتدريب الطلاب على مهنة التعليم وهذه المعاهد تنوعت في البلاد الغربية بالنسبة للغايات التي وضعت للمعلم ونوع التدريس والمحيط الذي يعمل فيه المعلم .

معلمو الثانويات

أن اكثر الصفات التي يجب أن يتصف بها معلم المدرسة الابتدائية يجب أن تتوفر في معلمي المدارس الثانوية إلا ان بعضها يختلف بالنسبة لمر الطلاب الذين يقوم المعلم بتدريسهم ومعلم المدارس الثانوية بحاجة الى ثلاث صفات أساسية .

١ - المقدرة العلمية في الفرع الذي يدرسه .

٢ - ان تكون طريقة التدريس فنية وواضحة .

٣ - ان يتمتع بقوة الشخصية الضرورية لمرحلة التعليم الثانوي التي تحدث فيها

المراهقة عند الطلاب .

إلا ان أكثر معلمي الثانويات في العالم يعتنون بالدرجة الاولى في المادة العلمية دون ان يهتموا بطريقة التدريس وبتقوية الشخصية مما احدث ضعفاً بارزاً في التعليم الثانوي وامت نظر علماء التربية الى هذه الناحية لان البلاد بحاجة الى معلمين صحيحين أكثر من ممثلي فروع علمية كما ان المادة العلمية لا تقيد الطلاب اذا لم تقترن بشخصية قوية وبطريقة واضحة . وبدون ذلك ينقد معلمو الثانويات الحرمة الحقيقية التي يجب ان يتمتعوا بها .

لذلك فقد خصصت أكثر الامم الراقية مهاد عالية خاصة لتدريب معلمي الثانويات على حين كانت هذه الامم تكتفي بالمثاقفة الجامعية وحدها . اما اليوم فتمد اصبح ضروريا لكل من يريد الانتماء الى مهنة التعليم في المدارس الثانوية ان يمر بدورة مسلكية فنية لتثبيت اهليته للتدريس لان المغدرة العلمية التي ينالها في الجامعة لا تؤمن للمدارس الغاية المطلوبة من التعليم .

فواجب معلم الثانويات ان يوجد الشباب القوى الضروري للبلاد والمزود بالروحية الصحيحة التي تتطلبها الوطن وبالعالم الذي يتفق والمستوي العصري وكل معلم في المدارس الثانوية عليه ان ينظر الى تحقيق هذا الهدف بواسطة الفرع الذي يدرسه لان المادة العلمية ليست غاية بل وسيلة للهدف الشعبي والقومي .

وفي المدارس الثانوية يغير الطالب اتجاهه في الحياة ونوع المهنة التي يختارها لذلك تتطلب التربية الحديثة ان يكون معلمو الثانويات اقرباء يستطيعون توجيه الشباب نحو المهن التي تصلح لهم والتي يمكن أن ينتجوا فيها أكثر من غيرها ومثل هذه الوظيفة لا تتحقق بواسطة المستوى العلمي الذي يتمتع به المعلم في الثانويات فقط .

لذلك فلا يمكن تحديد المادة الضرورية لمعلمي الثانويات ولا مدة التدريب وانما تختلف كلها بالنسبة للامم وبالنسبة للعصر الذي تعيش فيه الامة .

معناط

كل من يتتبع احصائيات وزارة المعارف العراقية وقوانينها وانظمتها يأخذ فكرة واضحة على أن المعارف قد عنيت باعداد المعلم ، حيث اشترطت فيه المستوى

العلمي والاعداد المهني ، ولقد منعت استمرار جميع الذين يزاولون مهنة التعليم الآن من اكتساب حقوق ما لم يدخلوا دورة تربوية يثبتون فيها جدارتهم لمهنة التعليم . واذا ما قارنا معلم العراق بالمعلمين في بقية الاقطار العربية الاخرى نجد ان العدد الذي يكمل الاعداد العلمي والمهني من الذين يزاولون مهنة التعليم هذه في العراق اكبر منه مما في اكثر الاقطار العربية الاخرى .

كذلك نجد ان العراق قد تمتع منذ فترة بعيدة ، ومن قبل الحرب العالمية الثانية باهتمام خاص الى تكثير دور المعلمين الخاصة باعداد المعلمين وتوزيعها وفقاً للحالات المختلفة في العراق والمراحل التعليمية المختلفة .

لقد سار العراق مدة طويلة يعير معاهد اعداد المعلمين عناية خاصة وتوجيهاً معيناً على ان توسع الحركة التعليمية فيما قبل الحرب الثانية وجه وزارة المعارف الى محاولة تكثير عدد مدارس اعداد المعلمين بنسبة قد تكون اعلى مما كانت المعارف تستطيع مسايرتها . لان هذه الرغبة الشديدة لم يرافقها قبلاً استعداد كافي من قبل الوزارة من حيث البنايات واءاد الكتب وتجهيز الدور بالمختبرات والعمل على وضع منهج للسفرات داخل العراق وخارجه تلك السفرات التي لا يستغني عنها كل من يمارس مهنة التعليم .

وفي الحرب الثانية بدأ يظهر الضعف لاسيما وان الحرب قد احدثت رجعة اجتماعية وعلمية واقتصادية في العراق . مما اثر على اتجاه الناس ونظرهم الى نواحي الحياة المختلفة .

لقد تأثر التعليم بالحرب الثانية تأثراً كبيراً ففتد بعض عناصره القوية واتجه الناس الى رغبة الربح المادي والاهتمام بكل ما يدر على الانسان مالا ولما كان التعليم خدمة اجتماعية لا يمكن ان تقاس بالربح المادي لذا نجد انه قد تأثر اكثر من غيره بهذا الاتجاه الجديد للحياة الذي تكون في الحرب الثانية .

والمعلم العراقي تعرض الى هذه التطورات لاسيما من الناحيتين الاجتماعية والاقتصادية . ولذا نجد ان نفسية المعلم قد تغيرت قليلا في الحرب عما كانت

عليه قبل الحرب . فقل الحماس لمهنة التعليم ، وصار المعلم ينظر اليها كأنها مهنة اعتيادية لا يفضل غيرها من المهن الاخرى وان واجبه فيها انما القيام بالناحية المادية منها كتقديم المعلومات المقررة بالمهنة للطلاب والاكتفاء بهذا القدر فقط . ولما كان المعلم العراقي يعتبر من العناصر المثقفة الاولى في البلاد فقد اتصل بالحياة الفكرية وبتياراتها المختلفة ، مباشرة دون واسطة الدولة أو توجيهها . ولما كان عدد المعلمين كبيراً بالنسبة لغيرهم فقد أثر هذا العدد على حياة المعلم من وجهتيها الاقتصادية والاجتماعية ، حيث أن المعلم العراقي انما هو موظف في الدولة لذلك فشكل تحسين في حالته المادية قد يكلف الدولة وميزانية الحكومة عبئاً ثقيلاً لاسيما اذا نظرت الدولة الى ان التعليم لا يحتل المقام الاول من العناية والاهتمام .

ولقد حدثت فجوة كبيرة في مهنة التعليم ، وفجوة أخرى بسبب الضعف الاداري والتنظيمي الذي رافق بعض مؤسسات التعليم ، ودور اعداد المعلمين . واصاب القسم الآخر منها توسع في العدد دون جودة مأموسة في مادة الاعداد ولا في وفرة حاجات الاعداد .

وأصبحت الحياة الاقتصادية برجة قوية نأثر بها المعلم قبل غيره من موظفي الدولة ، لاسيما المعلم في المدارس الابتدائية ، حيث أن الموارد المحدودة أصبحت لا تسد حاجات الحياة اليومية الضرورية ، فسيطرت على نفسية المعلم ضرورة سد هذه الحاجات وأشغلت جزءاً كبيراً من تفكيره واهتمامه من جهة ، كما أنها عملت على خلق نفس يائسة متدمرة . وهذه النفسية قد أثرت على التعليم (من) فاحيتين :

١ - (الناحية العملية - لقد جعلت المعلم غير متحمس للعمل المدرسي متدمراً من كل واجب يكلف به ، وجعلته حاقداً على مهنة التعليم وغير راض على جميع التنظيمات الخاصة بالمعلمين مهما كان نوعها ومركزها)

٢ - الوجهة التوجيهية - ان هذه القضية قد أثرت على الناحية التوجيهية

تأثيراً كبيراً ، حيث قد ابتعد المعلم عن الحياة في حين أن التربية تدعوه للاتصال بالحياة وصار يميل الى الانزواء بين جدران مدرسته مهما كانت ضيقة . وفقدت نفسه المرح والسرور الضروريين لمهنة التعليم وللتوجيه التربوي لذلك أصبحت علاقته بالطالب وبالحياة علاقة جامدة لئس فيها انتعاش أو أمل قوي . ولذلك قل تتبع المعلم وجمد في نظراته الى الحياة الجديدة لذلك أصبح معرضاً للعقم العلمي ولا مراض نفسية خطيرة .

واخيراً اننا نؤمن بان المعلم عندنا ما زال هو مقياس المدرسة وهو الموجه الاول في الحياة وعليه ان وعى واجبه القومي ووضعت فلسفته ان يعرف ان جميع هذه المشكلات مزعجة له ولمهنة التعليم وان كان المعلم نفسه وهو العنصر الواعي في البلاد والكثير العدد عليه ان يقوم بما يحتمه عليه الواجب لنفسه ولغيره بان يساعده في حل هذه المشكلات ، بصرف جهود فكريّة وعامية للوصول الى حل مرضي لها . لان المجتمع عندنا ينظر من المعلم مساهمة فمالة في اصلاح الحياة . والمجتمع العراقي سيعتبر بجهود المعلم وتضحياته ، وربما يكون اصلاح الحياة للشعب العراقي متوقفاً الى حد كبير على دخول المعلم العراقي بهمة وبشاط في الاصلاح والتوجيه والعمل على مساعدة الجيل الجديد ليصل هذا الجيل الى حياة أسعد وانتاج اكثر .

فلتكن لمعلمنا رسالة قومية واضحة يسمي لتحقيقها ونشرها واتكن له مهمة عالية وثقة بنفسه بأنه يستطيع تحقيق هذه الرسالة .

الطال

لقد رأينا في أبحاثنا السابقة كيف أن التربية تطورت بالنسبة للعصور المختلفة وبالنسبة لنتائج البحث العلمي حتى استقرت أخيراً فبؤات الطفل مركز التفكير التربوي فأصبح هو ونموه وأستعداداته المقياس الذي نقاس به كل نظم التعليم وطرق التدريس والمناهج الدراسية والكمية العالمية . وحتى البنيات المدرسية وساحات الألعاب ووسائلها ولتربوي الطفل لهذا المركز الأول أصبح من واجبنا ان نلقي نظرة الى خصائص الطفل وتطور نموه والميزات التي يمتاز بها عن غيره .

الطفل

اعتادوا كثر العلماء أن يعرفوا الطفل بأنه «هو الشخص غير الكامل النمو ، من استهمل طفولته بالولادة وأنهاها بظهور الغريزة الجنسية» . لذلك فيعرف بعض العلماء الطفولة بأنها المدة التي يقضيها الحيوان في النمو حتى يبلغ درجة النضج . لذلك تختلف المدة هذه بالنسبة لاختلاف أنواع الحيوان إلا أن الانسان يمتاز بأن مدة الطفولة عنده أطول من سائر الحيوانات لأن مدة النمو عندها قصيرة بالنسبة الى ما عنده حيث ان النمو الجسمي لا يتكامل لديه إلا في سن الخامسة والعشرين لذلك لا يوجد حيوان تصل مدة نموه حتى السنة الخامسة والعشرين وقد اعتبر بعض العلماء مدة الطفولة مقياساً لذكاء الحيوان وورقيه . فوجدنا الانسان اذكي الحيوانات الاخرى وارقاها لان طفولته تشغل زمناً منها .

أن مدة الطفولة ليست متساوية في كافة الشعوب ولا في جميع الافراد فهناك شعوب سبقت غيرها في ظهور الغريزة الجنسية على حين نجد أخرى تتأخر تبعاً لاختلاف المناخ وطبيعة الشعوب وخصائصها والتغذية . كما ان هناك فرقاً في الافراد بالنسبة للشعب الواحد فنرى ان بعض الافراد يسبقون غيرهم في الوصول الى آخر مرحلة الطفولة غير ان هناك فرقاً بين البنات والبنين في ذلك في كافة شعوب العالم .

وقد وجد تأثير بين لدرجة الحضارة والمستوى الثقافي في تحديد نهاية الطفولة إذ نرى حديثاً أن الشعب الذي اتسع في مستواه الثقافي هو الذي امتدت فيه مرحلة الطفولة ومرحلة الاعداد للحياة المقبلة . وأخيراً ، نذكر فرقاً متميزاً بين المدن والقرى فيما يتعلق بنهاية مرحلة الطفولة .

لقد أصبح اليوم من واجب المدرسة معرفة هذه الفروق بصورة عامة وتحديد ذلك بالنسبة للمحيط الذي تقع فيه المدرسة حتى تبني عليها مدة الدراسة لأن من الضروري أن تساعد المدرسة الطفل على اختصار مدة الطفولة وذلك بمساعدته على النمو والتكامل ، وهذا يتطلب معرفة ثابتة عن نوع الطفولة ولا يتم ذلك إلا اذا تعاونت الهيئات الاجتماعية على ذلك لا سيما البيت والمدرسة .

والموصول الى معلومات صحيحة عن الطفولة وجب على المعلم أن يستعين بعلم النفس وبعلم الحياة لأن علم الحياة يظهر لنا التطور الجسمي وتأثير ذلك على الناحية الفكرية كما ان علم النفس يوضح الحوادث والظواهر النفسية وعلاقة ذلك بالتطور الجسمي اذ تقرر الآن : ان الانسان وحدة لا تتجزأ . ولذلك فالعلاقة قوية بين الانفعالات النفسية والنمو الجسمي وقد ضعفت بذلك النظرية القديمة القائلة ان الجسم منفصل عن الروح ، وان الروح من عمل المربي ، أما الجسم فهو من اختصاص الطبيب .

اما اليوم فقد أصبح واجب المعلم أن يتعاون مع الطبيب والطبيب النفسي في ذلك أي يبقى باقصال دائم بعلم النفس وبعلم الحياة وكما استلزام المعلم أن يستفيد من نتائج هذين العلمين استطاع ان يختصر الطريق ويتصرف مرحلة الطفولة بحيث يقدم للاطفال ما يحتاجونه لذلك وبطريقة ملائمة وموافقة لتدريج المرحلة التي يعيشون فيها .

لقد رأينا في بحثنا علاقة التربية بعلم النفس فعلم النفس يهتم بقواعد عامة وبشيء مطلق ولذلك فان هذا العلم يفيد المعلم بأن يظهر له الفرق بين الطلاب العاديين والطلاب الشواذ ومتمدار الشذوذ ودرجته كذلك يستطيع أن يفرق

بين الطلاب العاديين في المستوى العقلي وبين المتفوقين جداً منهم وذلك ليستطيع المعلم تقسيم الصف الى جماعات حسب قوتها العقلية ان اراد كما ان علم النفس يظهر للمعلم الخصائص النفسية بالنسبة للمرحلة الزمنية .

اما علم الحياة فانه يستطيع ان يعلل بعض العلاقة بين الحوادث النفسية والمظاهر الجسمية بحيث يستطيع المربي ان يستفيد من المظاهر الجسمية في معرفة بعض التطورات النفسية التي ترافقها .

فمثلاً يظهر لنا علم الحياة : ان تكون جسم الرضيع يختلف عن تكون جسم الطفل البالغ من العمر ثلاث سنوات كما انه يظهر ان نمو الاعضاء في الجسم ليس متساوياً في كافة الاعضاء فالخط البياني لنمو القلب غير الخط البياني لنمو الدماغ كما يظهر ان مفهوم الغدد ذو تأثير على الطفولة .

ان علم الحياة يصف لنا بدقة عملية تطور الطفل العادي والجسمي لذلك يستطيع المربي ان يعرف ان كل تطور مخالف لذلك يجب ان يبحث بدقة حتى يعرف هل هو نتيجة مرض أو شذوذ جسمي أو عقلي كما انه يستطيع ان يذكر لنا الامراض الخاصة بالاطفال وهنا بعض الفرق ايضاً من ناحية علم النفس وعلم الحياة فالاول يعتنى بالاطفال والشباب حتى نهاية نمو الذكاء والغريزة الجنسية بينما نرى علم الحياة يمتد في ملاحظته للانسان اطول اذ يستمر حتى نهاية النمو الجسمي . لذلك نرى ان علم النفس يرافق الانسان بعناية خاصة حتى بلوغ السن السابعة عشر أو الثامنة عشر .

مراحل النمو

تقسم فترة النمو في الانسان الى مرحلتين كبيرتين الاولى - مرحلة الطفولة والثانية مرحلة الشباب وقد ذكرنا ان المرحلة الاولى تبدأ منذ الولادة وتنتهي في ظهور الغريزة الجنسية والثانية تبدأ منذ ظهور الغريزة الجنسية حتى نهاية الفترة وهي الثامنة أو التاسعة عشر وحياناً تمتد حتى الحادية والعشرين .

أن كلا من هاتين المرحلتين تقسم الى فترات صغيرة بالنسبة لمظاهر تطور

الطفل أو الشاب والتحديد بين هاتين المرحلتين أسهل من الفريق بين الأقسام الثانية لأن كل مرحلة تتمتع على المرحلة السابقة وتؤثر في التي تليها ولذلك فكافة المراحل متصلة ببعضها رغم ما بينها من فروق يمنية .

وقد وضع بعض العلماء الحد الفاصل بين هاتين المرحلتين وهي أن دورة الطفولة تمتد من الولادة حتى السنة الثانية عشر إلا أنه يظهر هنا فرق بين البنين والبنات إذ أن هذه المرحلة تنتهي بالسنة العاشرة عند البنات . كذلك نجد بعض العلماء من يضع السنة الثانية عشرة كحد فاصل بين مرحلتين الطفولة والشباب .

على أن أكثر العلماء لا يبحثون في هذه المرحلة كوحدة كاملة بل يجزئونها إلى فترات صغيرة فمنهم من يقسم ذلك إلى فترتين الأولى تبدأ منذ الولادة حتى السنة السادسة والثانية من السنة السادسة حتى الثانية عشر . أما القسم الآخر فيقسم مرحلة الطفولة إلى أربع فترات من الولادة حتى السنة الثالثة ومن الثالثة حتى السادسة ومن السادسة حتى الثامنة ومن الثامنة حتى الثانية عشر . أما القسم الثالث فيقسمها إلى أربع فترات أيضاً وهي من الولادة حتى السنة الثانية ومن الثانية حتى الرابعة ومن الخامسة حتى الثامنة ومن التاسعة حتى الثالثة عشرة .

وهذا الاختلاف في تقسيم مرحلة الطفولة إلى فترات غير متساوية نتيجة للأساس الذي يسير عليه العالم النفسي في عمله أو بالنسبة لخصائص المحيط الذي تبحث فيه الطفولة . وقد يفضل بالنسبة لبلادنا أن نسير على تقسيم آخر وفقاً لخصائص بلادنا وطبيعة أمتنا . على أن أكثر المعلمين في بلادنا يفضلون أن يقسموا مرحلة الطفولة إلى فترتين : الأولى قبل المدرسة . والثانية الحياة المدرسية الابتدائية لأن بحث الطفولة في بلادنا ضعيف يدرس بصورة عرضية . بحثه الأطباء بحثاً نفسياً قبل المربين كما ذكرنا فأول كتاب صدر عن خصائص الطفولة كان في أواخر القرن الثامن عشر فبعد أن أظهر الأطباء بعض الحقائق العلمية عن الأطفال أخذ الفلاسفة

والمربون يوجهون اهتمامهم نحو الاطفال وخصائص حياتهم وقابلياتهم وأخيراً
توسع البحث في ذلك لما أختص بعض الاطباء في علم النفس .

خصائص الطفولة

لقد بدأ اكتشاف خصائص الطفولة على الملاحظة التي قام بها بعض الاطباء
وتوسعت من قبل علماء النفس والمشتغلين بالترفيه والتعليم . ولما انتشرت قوانين
(ماندل) في الوراثية رأى بعض العلماء انه يمكن تطبيق ذلك على الانسان
لمعرفة تأثير الوراثة في الطفولة من الناحية الجسمية والعقلية . وقد اعطت كل
هذه الابحاث نتائج ذات قيمة عامية للمربين والآباء وقد وجد أن خصائص
الانسان تتكون نتيجة أمور ثلاثة .

١ - نتيجة الاستعدادات الخاصة .

٢ - نتيجة المزاج الشخصي (الخلق - التصرف - القدرة)

٣ - نتيجة البيئة - (الاجتماعية - الطبيعية) .

(فهذه العوامل الثلاثة هي التي تحدد نهاية الطفولة) سواء كان ذلك بالجهير أو
بالافراد انفسهم .

(من اعم الامور التي يجب ان يلاحظها المربي هي الامور التالية) :

١ - أن الطفولة تتأثر كثيراً بصحة الوالدين لاسيما الأم قبل الولادة .

٢ - أن كثيراً من الصفات الجسمية والعقلية هي مورثة لذلك فعامل الوراثة
مهم في خصائص الطفولة .

٣ - الحالة الصحية والمسـتوى الاجتماعي والاقتصادي لها تأثير كبير
على الطفولة .

٤ - أن الطفولة تختص بأمراض معينة في عمر معين .

٥ - أن النمو في الطفولة سواء كان ذلك من الناحية الجسمية أو العقلية يسير
وفقاً لقوانين وأنظمة معينة .

من أهم الصفات الجسمية التي يرثها الولد عن والديه هي الطول والتكوين

الجسمي كذلك الذكاء يتأثر بالوراثة أيضاً وهناك من يرى ان بعض الاستعدادات أو القابلية الفنية كاللوسيقى أو الشعر يورث أيضاً .

ولما كانت نظريات ما ندل لا يمكن أن تطبق على الانسان كما تطبق على الحيوان لذلك لا يمكن البت في كثير من الصفات الاخرى فيما اذا كانت تورث الى الابناء أم لا ، على أن العلماء ميالون الى الاعتقاد بأن كثيراً من الصفات الخلقية تورث أيضاً حيث وجدوا أن كثيراً من الآباء المجرمين مثلاً يلدون اولاداً ميالين الى الاجرام مما يدل على أن الاستعداد للاجرام يورث نتيجة عوامل معينة .

كذلك وجد ان المستوى الاجتماعي والاقتصادي يؤثر على الاطفال لا من الناحية الصحية فحسب ، بل ومن الناحية العقلية ايضاً فقد وجد بالتجربة ان الكثيرين من اولاد الاغنياء اكثر ذكاء من اولاد الفقراء كما انه ظهر ان اولاد العمال المتعلمين اكثر ذكاء من اولاد العمال الجهلاء وان اولاد أهل المدينة اكثر ذكاء من اولاد أبناء القرى .

وقد وجد ان الولد الذي له اخوة واخوات كثيرون يكون في مستوى عقلي غير من لا يملك اخوة وأخوات . إذ ظهر ان عدد الاولاد في العائلة يؤثر على الطفل ومظهره الفكري .

ان أهم الامراض التي اختصت بها الطفولة لا سيما قبل سن المدرسة أي حوالي السنة الخامسة والسابعة من عمر الطفل هي السعال الديكي والحصبة والدفتريا والجذري فهذه الامراض بالاضافة الى الامراض الاخرى تؤثر على مظهر الطفولة وخصائصها الجسمية والعقلية وعلى المعلم معرفة خصائص الاطفال بتأثير هذه الامراض ومظاهرها في الطفل حرصاً على حياة الطلاب في المدرسة . ولقد وجد ان اكثر الوفيات في هذه الامراض يكون في سن المدرسة اذ وجد أحد العلماء مثلاً ان نسبة عدد الاطفال الذين يموتون بهذه الامراض هي ٣ و ٤ / من وفيات الاطفال في دور الرضاعة بينما نرى النسبة تبلغ في السنة السادسة أو السابعة الى ٥٢٢ / وهذه النسبة الهائلة لوفاة الاطفال في سن المدرسة تجبر المعلم على

ملاحظة هذه الامراض في المدرسة باستمرار .

ان النمو في المرحلة الاولى للطفولة يسير بصورة واضحة فبعد أن يولد الطفل وهو غير كامل النمو جسمياً وعقلياً نلاحظ انه يستطيع أن يمشى في السنة الاولى وتكمل حواسه في هذه السنة ثم يبدأ الكلام والمحادثه (في السنة الثانية) كما أنه يحاكي الانسان ويستطيع أن يفرق بين الاشخاص الذين يحيطون به ثم تبدأ الارادة تظهر في السنة الثالثة فيغضب ويتصف بالاعناد وتبدأ شخصيته كذلك يتصف بالحركة واللعب الكثير بعد السنة الثالثة من العمر إلا أن الادراك الحسي يكون سطحياً عنده لأن التفكير يكون مفككاً ثم يعيل بعد السنة الثالثة الى سماع القصص الخرافية ويتصف بالرغبة الشديدة في الحصول على كل ما يراه . ويكثر الاسئلة تسليه وإلهاء اكثر منها اسئلة جديه من أجل المعلومات الخاصة . ويستطيع بعد السنة الثالثة أن يبدأ بترتيب الامور لذلك يمكن أن تبدأ رياض الاطفال مفعولها وبعد دخول المدرسة يستطيع الطفل أن يفهم علاقته مع الآخرين ويقوم بما يكاف به من الواجبات والوظائف ولذلك فالمدرسة مقبولة لديه لاسيما اذا بنت نظامها على اساس يشبع رغبة الاطفال ويلأئم نفسياتهم في هذا العمر .

ثم يرتبط الطفل بالحاجات التي يستعملها ويميل الى العمل المشترك لاسيما بعد السنة السابعة كما انه يخضع للقيادة ويطيعها .

وأخيراً يعيل الطفل الى التجربة التي تستهدف اكتشاف بعض الامور المعينة ويحاول تفسير الحوادث التي تحدث تفسيراً منتظماً لأنه يكون قويا في ملاحظته للطبيعه وما فيها من قوانين وقواعد وفي نهايه مرحلة الطفولة يستطيع الطفل أن يقوم بالتجارب الطبيعیه والاعمال اليدويه بانتظام دون أن يخشى العلم تخريبا أو لا اباليه في العمل . وقبل آخر المرحلة تقوى فيه قوة الحفظ والانتباه ويربط افكاره ويمركزها كما ان الطفل يميل الى الاعزاز بالأبطال ويميل الى المجازفة والاقدام .

ويلاحظ ان بلادنا فيها خطر قوي تجاه الطفولة وخطر صحي ، وذلك لفقدان

المبادئ الأولى لحياة الطفل وجهل ذلك من قبل الأمهات والآباء وكذلك فإن انتشار الفقر والجهل في عامة الشعب يأخذان كل سنة عدداً كبيراً من أطفالنا فرغم كثرة الولادات في العراق ما نزال نجد زيادة النفوس قليلة بالنسبة لكثرة الولادات وذلك لكثرة الوفيات في الأطفال . وتدل الإحصائيات التي تنشرها وزارة الاقتصاد والصحة للمدن العراقية الثلاث : بغداد - البصرة - الموصل بأن الوفيات تبلغ أحياناً ثلث الولادات في الأطفال الصغار الذين لا يتجاوز عمرهم السنة الأولى وسبب ذلك سوء التغذية وقلة العناية بالطفل .

والطفل العراقي معرض زيادة على أمراض الطفولة الاعتيادية - للحالات السالفة من جهل الوالدين وسوء الحالة الاقتصادية - إلى أمراض كثيرة قد لا يتعرض إليها مثيله في الأمم الأخرى ، وهذه الأمراض حتى وإن لم تقتل الطفل فإنها تبقى أحياناً طول حياته متألماً .

مرحلة الشباب

حتى آخر مرحلة الطفولة والأطفال يسرون بنموهم الجسمي والعقلي بصورة تدريجية ودون أثر كبير للفروق الجنسية . أما في نهاية المرحلة فتبدأ الفروق بين البنين والبنات بالظهور اذ وجد ان البنات في آخر المرحلة أقل مقدرة على تفسير الحوادث الطبيعية تفسيراً منطقياً فلسفياً كالبنين إلا ان البنت تكون أعم من الولد في الحساسية الصورية وان كان الولد أقوى وأعم . وفي آخر فترة الطفولة تظهر الفروق جلية بين البنت والولد فتبدأ بذلك مرحلة الشباب التي تبدأ بالمراهقة وتنتهي بالسن الثامنة عشر أو الحادية والعشرين . وهناك قسم من العلماء يميلون إلى تقسيم هذه المرحلة إلى فترتين الأولى فترة المراهقة والثانية فترة الشباب إلا أن الفروق بين هاتين الفترتين قليلة ولكن التقسيم يجري نسبة إلى ظهور الغريزة الجنسية .

ان هذه المرحلة مهمة بالنسبة للحياة ففيها يحدث انقلاب جسمي وعقلي كبير وفيها ينفصل الجنسان عن بعضهما في التطور والميول .

وتسبق البنت الولد في الوصول الى مرحلة الشباب والدخول في دور المراهقة لذلك يلاحظ عليها زوال المرح والميل الى العزلة والانفراد .

إلا ان النمو يشمل القسمين . لكن البنت تميل الى العمل السلبي بينما يبقى الولد في السير بعمله الايجابي . كما انه يلاحظ ان مفعول المراهقة في البنت أقوى من الولد حيث تشعر البنت بضعف عام وتعب نفسي وجسمي وتنفق روح المغامرة ويملاً نفسها الالم والتفكير الخاص والالتجاء الى العزلة .

والبنون يتأخرون في الوصول الى هذه المرحلة مدة سنة أو أكثر واذا ما بلغ الولد المراهقة بدأ يشعر بالاستقلال الذاتي فيتصرف برأيه الخاص على الاشياء في المحيط كما يبدأ يشعر بفرديته واستقلاله ولذلك فلا ينحرف في العزلة كما تفعل البنت ، كما ان تأثير المراهقة عليه أقل مما هو على البنت وهذه المرحلة مساعدة لظهور الانتاج الفردي اذا استغلت وأحسن التصرف فيها لان الطالب لا يخضع فيها الا للانتاج الذاتي والقيادة التي لا تعتمد على شخصية القائد لا قيمة لها بنظر الطالب فان خضوعه الى السلطة المدرسية يقل في هذه الفترة ويحل محلها الخضوع للقوة الشخصية لذلك يفضل ان يكون المدرسون اقوياء في شخصيتهم .

وفي فترة النضوج أي في السنة الرابعة عشر حتى التاسعة عشر تتحول الرغبة من حب الاطلاع الى مشكلات عملية يحاول الطالب حلها كما ان الفردية تظهر ايضاً في الحياة العامة بالاضافة الى الحياة المدرسية وتضعف نتيجة لها العلاقة العائلية .

واذا تميزت الطفولة بان الطفل يميل الى الجماعة والعدد الكبير ودور المراهقة الى العزلة والانفراد يتميز دور النضوج هذا بميل الفرد الى تكوين علاقات شخصية فردية مؤسسة على الحب والاعجاب أو الصداقة . لذلك فالفرصة الجسمية تميل في المرحلة الاولى من المراهقة الى الحس الجنسي الابتدائي واشباع هذا الحس ، اما مرحلة النضوج فان الفرد يميل الى التضحية والخدمة من اجل من يحب أو يصادق أو يعجب به وفي آخر المرحلة تبدأ النظريات تتحول الى تطبيق عملي لمعالجة المشكلات اليومية فيقل الاهتمام في الطبيعة والعالم ويتحول الى

بحث السياسة والاقتصاد والمهنة والمجتمع . ويظهر هنا تأثير البيئة الاجتماعية أو الجغرافية فلمدن تسبق القرى في الوصول الى هذا الدور كما ان المناطق الحارة تظهر الغريزة الجنسية فيها قبل المناطق الباردة وفي الطبقة الغنية قبل الطبقة الفقيرة .

ودور المراهقة يصحب بمظاهر جسمية جديد كتغير الصوت (ويكون في البنين اكثر من البنات) ونضوج الاعضاء التناسلية ومظاهر الانوثة والرجولة ويشعر الطالب والطالبة بالبرودة ويحتاج الفرد الى كمية اكثر من الغذاء لانه يجوع بسرعة .

وهنا يتأخر احياناً النضوج العقلي بالنسبة للنضوج الجسمي لتأثير المراهقة في الانسان كما ان البنت تصبح نتيجة هذه الفترة اقصر من الفتى اذ تنقص عنه بما لا يقل عن ١٠ سم لكنها تميل للسمنة اكثر منه ويكتسب جسمها بطبقة شحمية بينما نرى الفتى يقوى في عضلاته وينحف في جسمه .

لقد لاحظ العلماء اهمية هذه المرحلة في حياة الانسان فخصصوا لها الفصول الطويلة لمراقبتها ولا بداء الارشادات القيمة للطالب وللعلم ، فمن اهم الامور التي ينصح بها العلماء هو اولاً - ان لا يبقى الطالب لوحده في هذه الفترة ، ثانياً ان لا يكثر من رؤية المناظر المهيجة سواء كانت نفسية ام جسمية ، كالافلام والصور والروايات وتناول بعض المأكولات الحادة كالبهارات والقوة أو الكحول أو السكاير .

أما من الناحية الايجابية فيفضل ان يقوم الطالب بتمارين منعشة على ان لا تكون مجهدة وان يعتني بالنوم والراحة وتسير وفقاً لنظام ثابت وتجنب السفرات والقيام بالعباب منفردة ، لذلك تشجع الالعب الرياضية الفردية ويجب ان يحارب المعلم كل تهكم في الصف أو المدرسة حتى لا يحدث في نفوس الطلاب الشعور بالنقص الذاتي . وان يستعين المعلم باللبيب اذا عسر عليه الامر وان يوضح للطلاب هذه الظاهرة الجديدة بوضوح حتى يحارب بذلك القيام باعمال مضرّة بالصحة والنمو

العقلي لأنه في هذه المرحلة من العمر يكمل نمو الذكاء . والفكر يكون مشتتاً لذا
وجب على المعلم ان لا يزعج الطلاب كثيراً .

ان هذه الفترة معرضة لامراض قوينة لا سيما السهل ومحاولة الانتحار خيبة
الامل في الحصول ما يجب وقد يصحب ذلك جنون وقتي أو ضعف عقلي شديد
فهي مرحلة رغم ما فيها من انقلابات عقلية وجسمية يحمل فيها الانسان اعباء
علمية كبيرة اذ فيها تكمل الدراسة الثانوية التي تعد اصب مرحلة علمية في الحياة
بالنسبة للطلاب .

وفي هذه المرحلة تظهر في الطلاب بالاضافة الى الفروق الجنسية الفروق الشعبية ،
حيث تظهر بوضوح في الطالب الثانوي بعض الخصائص التي تمتاز بها الشعوب
وتفرق بعضها عن بعض .

والطالب الثانوي يكون جدياً في التفكير بامور ثلاثة هي :

- ١ - الناحية المهنية ٢ - الناحية الدينية ٣ - الناحية السياسية .
- وختاماً لذلك ، نجمال أهم الصفات الظاهرة في مراحل النمو المختلفة .

أهم خصائص الطفولة في مرحلة ما قبل المراهقة

القسم الاول من الولادة الى ٣ من العمر :

- ١ - يستطيع الطفل في هذه المرحلة الكلام والمشي وتحريك العضلات والاعضاء
- ٢ - يسرع في النمو لا سيما في السنة الاولى .
- ٣ - يزداد فيه الميل الى تناول كل شيء تقع عليه يده وتتمكيكه والتأمل فيه
- ٤ - يشعر الطفل بوجوده وانه شيء مستقل
- ٥ - تصبح عند الطفل للمؤثرات الخارجية قيمة وتثبت الخبرات الخاصة وتبدأ
الذاكرة عملها ويستطيع ان يعيد ما حفظه او يتذكر ما مر عليه .
- ٦ - تكون وجداناته وانفعالاته حادة ومضطربة فهو ينتقل بسرعة من الغضب
الى الرضى والضحك الى البكاء والميل الى النفرة .

٧- يكثر فيه العناد حتى يسمى البعض هذه الفترة بفترة العناد ويصرح لأقل سبب .

٨- يبدأ في تعلم الهدوء وضبط النفس في آخر المرحلة لذلك تبدأ عنده الاستعدادات لدخول الحياة شبه المدرسية المنتظمة .

٩- يهتم كثيراً بوالديه وتتوى عواطفه نحوهما حتى ليفار من كل شخص يقاسمه هذه العواطف وحتى لو كان أخوه أو أخته .

القسم الثاني من السنة ٣ - ٦

١- يسير الجسم في نموه ببطء أكثر من القسم الأول .

٢- تزداد المقدرة على ضبط العضلات والاعضاء وتحريكها تحريكاً ارادياً متزناً حسب الحاجة .

٣- يكون الطفل حركاً لا يستقر على حالة .

٤- يحب الجري واللعب كثيراً (حتى لقد سميت هذه الفترة بفترة اللعب)

٥- يستطيع ان يتخذ اللعب وسيلة للتعليم لذلك تنقيد في ذلك رياض الاطفال

٦- يميل الى العزلة والانفراد في اللعب (أي يكون فردياً في لعبه) ولا يتحمل اللعب مع الآخرين إلا فترات قصيرة .

٧- يميل للسيطرة وحب الزعامة ولذلك فهو يريد أن يسير الاطفال في اللعب لا أن يسير معهم وعلى هذا فتكثر المشاحنات والخصومات بين الاطفال .

٨- يبدأ فيه استعداد للروح الاجتماعي ويستبدل أحياناً المشاحنات الفردية بمشاحنات اجماعية .

٩- يحاول الطفل تعديل محيطه الخيالي بحيث يتلاءم ورغباته وحاجاته .

١٠- يقوي في الطفل حب الاستطلاع ويكثر من الاسئلة التي لا تغنى شيئاً هاماً في أكثر الأحيان .

١١- يكون انتباه الطفل مشتتاً سريع التنقل من شيء لآخر ويكون حسياً فقط ذا طابع سلبي أي بدون ارادة .

- ١٢ - يقوى في الطفل الخيال وشدة الميل الى المحاكاة والتقليد .
 - ١٣ - يتسع الخيال كثيراً بحيث يجعله يعيش في عالم من الخيال (يستعمل الآلات كخيول للركب أو جنود حرب يقودها) .
 - ١٤ - قوة الخيال تجعله يميل الى القصص والاساطير الغريبة كالجن والحيوانات (ذات العبارات المتكررة) .
 - ١٥ - يحاول تقليد الاشخاص لاسيما اقاربه والكبار في السن منهم وتظهر فيه قابلية للتمثيل .
 - ١٦ - يبقى شديد الاثرة فردياً محباً لنفسه لا تهمه إلا مصلحته ولا يكثر لمصالح الآخرين ويريد أن يتحكم في كل شيء .
 - ١٧ - يستطيع ضبط نفسه ويصبح مستعداً لدخول المدرسة ذات النظام الدقيق
 - ١٨ - يدرك ضرورة الطاعة والاحترام .
 - ١٩ - تأخذ محبة الاطفال في النمو لاسيما في آخر الفترة ويميل الى اللعب معهم ولو كان ذلك لفترات قصيرة .
- ونجمل اهم صفات الطفل في مرحلة الدراسة الابتدائية .
- ١ - يكون نمو الجسم فيها ابطأ من السابعة وقد يكون النمو ابطأ من جميع مراحل النمو
 - ٢ - يكون الطالب منسجماً مع المحيط الخارجي أي لا يجري في نفسه تضارب بينه وبين شعوره الداخلي وما يحيط به من أمور عملية .
 - ٣ - لا يهتم الطالب كثيراً بالشعر والخيال بل يكون جل همه بالامور الواقعية لذلك فتكون نظراته الى الحياة نظرة غير ذاتية اي موضوعية Objective
 - ٤ - يكون الطالب منبسط المزاج من الوجهة النفسية اشبه بالشخص الناضج
 - ٥ - يصبح الطالب نشيطاً وكثير الحركة ويتمتع جسمه بقوة مقاومة الامراض فتقل الوفيات والامراض .
 - ٦ - الطالب يستطيع ان يتحمل اعمالاً شاقة كثيرة ونشاطه الجسمي يتجدد بسرعة ويزول التعب عنه بسرعة .

٧ - يستمر نمو الدماغ من حيث الوظائف والعمل الفكري .

٨ - تظهر في الطفل ميول خاصة أهمها : -

أ - الميل الى الالعب ذات المهارة والشجاعة - كثرة الالعب المغامرات .
مثل طرزان

ب - الميل الى العمل اليدوي (النجارة - الحدادة)

ج - الميل الى الجمع والادخار والتوفير - يستفاد منه في الناحية الاقتصادية

د - الميل الى الالعب بالبطولة حتى يبلغ حد التقديس

هـ - الميل الاجتماعي يزداد - ويكون جماعات وفرقاً للالعب - والسرعة
والنزاع الخ ...

٩ - يصبح الطالب مهملاً لهندامه ومظهره الخارجي - لذلك تمزق الثياب ويغير
الشعر ويتوسخ الجسم .

١٠ - ينمو في الطالب العقل لا سيما من ناحية الانتباه الارادي - وتكون
الحواس نشيطة ويربط الاشياء بالمعاني - ويكثر الاستماع والمطالعة .

١١ - تقوى في الطالب الذاكرة الآلية والقوة البصرية - لذلك تزداد قوة
الاستظهار - ويرتبط بين فهم المعنى والحفظ اللفظي .

اهم صفات مرحلة المراهقة الثانية

١ - (تظهر صفة العنف والاضطراب والنمو السريع)

٢ - يحاول الطالب الرجوع ثانية الى عالمه الروحي

٣ - (يكون الطالب بحاجة الى ضبط غرائزه وحيوانيته لظهور الثورة فيها)

٤ - تتكون في الطالب أحلام وخيالات ثورية سلبية .

٥ - (ينمو الجسم بسرعة لا سيما المظام ويفقد بذلك الانسجام الجسمي السابق

فيتأثر بهذه الظاهرة)

٦ - تسبق الفتاة الفتى في المراهقة وتسبق الشعوب الحارة الشعوب الباردة .

٧ - للعوامل الاجتماعية والاقتصادية والصحية أثر كبير في تبكير المراهقة أو تأخيرها .

٨ - إن التهمك والازدراء من قبل الآباء والأقارب والمعلمين تحدث عقداً نفسية ومشكلات انضباطية تخشى عواقبها (الهروب من المدرسة - الاعتماد على المعلمين) .

٩ - يزداد الاضطراب الفكري ويصبح الفتى خجلاً يتأثر من أقل انتقاد .

١٠ - تكثر الحيوية في الطالب لذلك لا تكثر الوفيات ولكن هناك خطر كبير على الطلاب من مرض السل .

١١ - يصبح الفرد متقلباً بين الحالات المتضادة أي ينقلب من حب السيطرة الى الخضوع ومن القوة الى الضعف .

١٢ - يحاول الفرد أن يكون مستقلاً في رأيه ونظراته الى العالم ويميل بصورة خاصة الى روح النقد للمبادئ والأفكار فيقرر النظريات العامة التي تصلح للعالم .

١٣ - يميل الفرد الى البحث الكثير والتفكير في أمور العالم .

١٤ - تضعف في الفرد القدرة على التذكر الآلى ولذلك يفضل أن لا يرهق الطلاب بمواد من هذا النوع .

١٥ - تكثر في الفرد أحلام اليقظة وتزيد فيه قوة الخيال والفكرة الانسانية ويستطيع أن يبر عن ذلك بالادب والفن .

١٦ - يشور الفرد على الماضي ويريد تجديداً في حياته من وجهتيها المادية والروحية ويحتقر أحياناً ماضيه لأنه شيء طفلي - وهذا خطر لأنه يحاول تقليد الكبار عادات سيئة كالتدخين وشرب الكحوليات والزعات .

١٧ - تغلب على الفرد روح الغرور ويميل الى حب الظهور وجلب انتباه الناس اليه (يكثر ذلك في البسات - وذلك باللباس - مظهر الوجه والشعر والزهو في المشي) .

١٨ - يميل الى معرفة أسرار الكون والغيب والتعمق الفلسفي والتفكير في قواعد الدين ونظمه .

١٩ - ينفر كثيراً من اطاعة الاوامر أو الخضوع لقوانين لا يراها منطقية .

٢٠ - يميل الى الاهتمام بالناس ويكون مستعداً للتعاون من أجل ذلك والرفق بالكبار والصغار وعمل الخير .

٢١ - حب الاستقلال الذاتي يدفعه الى التفكير في مزاولة المهنة لتأمين مستقبله نفسه .

المهنة والمهنة

لقد أصبحت المهنة للانسان الحديث من أهم الامور الحيوية التي يجب أن يعتني بها ويعيرها اهتمامه الاول لان المهنة هي التي تمرر طرز حياته ونوع انتاجه كما ان علاقة الفرد بالهيئة الاجتماعية وحتى بعائلته الخاصة تتأثر كثيراً بنوع المهنة التي يزاولها الانسان . لذلك فلا يعتبر المرء قد دخل الحياة العملية في اوربا إلا بعد أن يقوم بعمل ثابت له صفة المهنة .

والقيام بالعمل أمرت به الاديان السماوية لا سيما الدين الاسلامي والمسيحي فكلهما قد حثا الانسان على العمل والانتاج وحاربا البطالة إلا أن العمل المهني قد توسع وتنوع منذ بدأت الصناعة في اوربا تنمو والمدن الاوربية تتكون لذلك ورغم مفعول الناحية الاقتصادية في المهنة اليوم ما زال التأثير الخلقى والديني ظاهراً وذا مفعول كبير ايضاً في العمل المهني .

وكما نال أحد الشعوب نصيباً وافراً من المدنية الحالية اضطر الى تقسيم الاعمال والاعتناء بتربية الجيل الناشئ على مزاوله احدى المهن الضرورية لحياة الشعب كما ان توسع العلوم ونمو الصناعة ساعدا على رفع مستوى الحياة في الشعوب الغربية لذلك فلا بد من أن يقوم كل شعب يريد أن يشق طريقه الى الحياة الجديدة بالانتاج في ناحية معينة من الحياة ولذلك أصبحت الدول الصغيرة لا تستطيع السير في قافلة المجموعة العالمية ما لم تحدث التوازن بين قوة الانتاج وكمية الاستهلاك فيها ، وأصبح هم الحكومات الحالية لا يقتصر على تأمين الموازنة الحكومية وذلك بالتعادل بين مصروفات الدولة ووارداتها كما كان ذلك في القرن التاسع عشر بل ايجاد التوازن الصحيح بين مستوى الشعب الاقتصادي ودرجه الاستهلاك فيه ولهذا فقد أصبحت الحكومات تفكر في ايجاد المهن الضرورية للشبان والشابات لايجاد الاستقرار الاقتصادي في البلاد .

ان تنوع المهن ومقدار القوات المخصصة لذلك أصبح بالنسبة للحالة الاقتصادية

العامة للبلاد وبالنسبة لقابليات الافراد واستعداداتهم لهذه المهنة ، ولهذا فقد تختلف كل امة عن غيرها بالنسبة للتقاليد الاجتماعية الموروثة فيها . لذلك فلكل مهنة عواملها السياسية والحقوقية والاجتماعية والخلقية بالإضافة الى مفعولها الاقتصادي .

ولأهمية المهنة لحياة الشعوب الحالية التي ابتعدت كثيراً عن حياة الزراعة البسيطة ، أصبح من واجب التربية تحقيق هدف الامة من ذلك وتغيير الخطط والمناهج بالنسبة لهذا الاتجاه الجديد . لذلك فان الدول الاوربية قطعت شوطاً كبيراً في الاخذ باساليب المدنية الحديثة واصبحت تعني كثيراً في تزويد الافراد بالمقدرة المهنية واستغلال استعدادات الفرد وقابلياته في تقوية الانتاج المادي . ولهذا السبب فقد بحث العلماء لا سيما المربون منهم كثيراً في وقت دخول الانسان للمهنة اولا وفي نوع المهنة ثانياً وذلك لان العمل المهني يجب أن يؤمن عوامل ثلاثة مهمة للشعب وهي :

١ — الانتاج الاقتصادي .

٢ — التذوق المهني لا سيما من ناحية التحسين والجمال .

٣ — التقدم المهني وذلك بأن ينمو الانسان في مهنته ويتقدم فيها .

ولتأمين هذه النواحي الثلاث لابد من معرفة العمر المناسب لذلك والقابلية الضرورية لهذه المهنة .

"عمر المناسب لمفول المهنة"

لقد لوحظ ان الاطفال يتحدثون منذ الصغر عن المهنة التي يريدون مزاولةها إلا أن ذلك لا يعني شديداً جدياً لان التحدث عن المهنة أيام الطنولة الاولى هو ضرب من اللعب او التقليد الخاص بهذه المرحلة من الحياة إلا انه يمكن الاستفادة من ذلك بتوجيه الطفل منذ هذه المرحلة من العمر الى المهنة التي يعتقد انها تلائمها وتنطبق وقابلياته الخاصة وان تحبيب هذه المهنة اليه يكثر من التحدث عنها وعن فوائدها .

وفي دور الشباب الاول - لاسيما في اوائل دور المراهقة يبدأ الطالب في التحدث عن المهنة ونوع الحياة التي يريد تكوينها إلا أن ذلك ممزوج بشيء كثير من احلام الشباب لان هذه المظاهر الخارجية تفعل مفعولها في نفسه فتوجد تلك الاحلام لذلك نرى اكثر الشباب يرغبون في مهنة الضابط لقيافته العسكرية ولوضعه الاجتماعي لاسيما في الحياة العامة . كما ان تأثير المحيط الذي يعيش فيه الطالب كبير على نوع المهنة التي يتحدث عنها أو يميل اليها لذلك فلا يعتد كثيراً بهذه الرغبة إذا كان الدافع اليها احلام الشاب الخيالية التي تكثر في هذه الفترة من العمر .

إن تقرير التعليم اللازمي في الامم الاخرى وضع حداً أساسياً لبدء الدخول في الحياة العملية فلقد أصبحت مدة التعليم اللازمي في اكثر الامم الغربية الراقية تبلغ ثمانى سنوات لذلك فإذا بدأ الطالب حياته المدرسية في نهاية السنة السادسة من عمره فسوف لا يترك المدرسة في تلك البلاد قبل بلوغه الرابعة عشرة فبعد هذه السن يصبح الطالب حراً في مزاوله المهنة أو متابعة الدراسة وفقاً لقابلياته .

وفي الطبقات الشعبية الفقيرة أو دون المتوسطة لا تستطيع العائلات ان تصرف أموالاً كثيرة على متابعة دراسة الاولاد والبنات لهذا وجد ان اكثر هذه الطبقات تحاول ايجاد المهنة المناسبة للولد أو البنت حتى لا يصبح عبءاً ثقيلاً على الابوين بل يقدمان مساعدة ضرورية لحياتها اليومية وحالة العائلة المالية ، لذلك أصبحت الحالة الاقتصادية لهذه الطبقة هي وحدها التي تقرر بدء ممارسة المهنة وعلى هذا فالطفل لا يستطيع ان يقرر نوع المهنة التي يراها موافقة لاستعداداته ورغباته انما كثيراً ما يساق اليها سوقاً بمعامل اقتصادي بحت .

ولقد ظهر ان دخول الطالب في سن الرابعة عشرة الى الحياة العملية لا يؤمن إلا الناحية الاولى وهي الناحية الاقتصادية فقط إما الناحيتان الاخرتان فتبقيان ضعيفتين جداً وذلك :

١ - لأن الطالب في سن الرابعة عشر لم يبلغ النضوج الجسمي ولم يتكامل

الذكاء عنده ولم تظهر فيه القابليات الخاصة . حتى لقد وصف الطالب بهذا العمر بأنه ما يزال طفلاً صغيراً .

٢ - ان سن ١٤ هي بدء عهد المراهقة وفي هذه الفترة تحدث تطورات كبيرة ذات أهمية كبرى على اتجاه الحياة .

٣ - لا يمكن للفرد في سن الرابعة عشر أن يتذوق جمال المهنة الضروري لنمو المهنة وتحسينها .

٤ - ان بدء الطالب بالعمل في هذه السن دون التزود ببعض المعلومات الضرورية للمهنة لا يسهل له الانتاج والابتكار في هذه المهنة .

لذلك فقد عارض علماء التربية دخول الطلاب في هذه السن الى المهنة وقاوموا بذلك رغبات اصحاب المعامل الذين يريدون استخدام الاطفال في هذا العمر لأنهم لا يكفونهم اجراً عالياً بالنسبة لبقية العمال ذوي الاستقرار العائلي الذين يجب أن يتناولوا اجراً يكفي لسد الحاجات الضرورية لهم ولعائلاتهم . فالعمل يجب أن لا يسير وفقاً للحاجة الاقتصادية فقط بحيث تستثمر الصناعة هذه الحاجة في الانسان فتستغل قوة الانسان ونشاطه لغاية اقتصادية بحثة . فالعمل له وجهتان اساسيتان الاولى الوجهة الشخصية وهي مقدار انطباق العمل على المقدرة ورغبة الشخص ، وثانياً مقدار حاجة الهيئة الاجتماعية اليه .

أما الوجهة الثانية فهي الوجهة العامة . وهي التي تقرر مقدار تأثير العمل في الهيئة الاجتماعية ومساهمته في نمو الحضارة ، لذلك فالعامل الاقتصادي انما هو جزء من ذلك ولا يجب ان يفسح له المجال بأن يطغى على تقرير سن الدخول الى المهنة بل يجب النظر الى مستقبل الانتاج ورفق المهنة لذلك فقبل تقرير ذلك لابد من درس الحالة النفسية والحالة الاجتماعية بالاضافة الى الناحية الاقتصادية وإذا كانت حالة الابوين الاقتصادية لا تسمح بالتمتع بالحريية الاقتصادية فعلى الدولة حرصاً على زيادة الانتاج وتحسينه أن تراعي هذه الامور قبل السماح للفرد بدخول مهنة خاصة والحالة الجسمية بقررها الطبيب . اما الحالة النفسية والخلقية المناسبة للمهنة فتقررها

أما المدرسة بواسطة اختباراتهما وتجاربها المستمرة وأما لجنة خاصة من ذوي الاختصاص .

ولقد اجريت عدة تجارب على الشبان في هذا العمر ووجهت اليهم أسئلة مختلفة أهمها ماذا تريد أن تكون ؟ ولماذا ؟

فجاءت أكثر أجوبة الشبان غير واضحة ولا تدل على نضوج أو وجود فكرة جلية عن نوع المهنة التي يريد أن يزاوئها الفرد منهم طول حياته . وأكثر الاجوبة كانت تميل نحو الوظيفة التي تتمتع بمقام اجتماعي محترم وفيها ضمان اقتصادي واستقرار مالي ، كما أن بعض الاجوبة دلت على أن الشبان يقصدون من وراء مزاوله المهنة الاستقلال التام عن الأبوين وبمضيا اظهرت بأنه يريد أن يعين أبويه واخوته واخواته أو على الأقل يقوم بمساعدتهم في حياتهم . لذلك ظهر من ذلك ان هناك عدداً قليلاً جداً من كانت لهم رغبة حقيقية في المهنة مبنية على الحساب الدقيق والنظرة الصحيحة الى المستقبل كما ان الشاب في هذا العمر لا يهتم كثيراً بالنقود ولا يقدرها بالنسبة للقيمة الاقتصادية اذ وجد ان مفعول النقود على نفسية الشاب أقل بكثير من مفعول الحاجات الاخرى لذلك فلا يسعى الشاب للتوفير الضروري لاستقراره المالي ولذلك فالاجر المتناول في هذه الفترة من العمر لا يؤمن للشباب شيئاً كثيراً من حاجاته في المستقبل كما وجد بالاضافة الى ذلك أيضاً ان الرغبة في التوفير تزداد بزيادة العمر وذلك لأن الوعي الاقتصادي يصبح واضحاً بعد مرور فترة المراهقة واستقرار الشاب النفسي .

ولهذه الاسباب المهمة فقد أصبح مقررراً في الغرب ان احسن وقت لمزاولة المهنة هو بعد بلوغ السن السابعة عشرة من العمر اذ يحدث الاستقرار النفسي والجسمي . كما ان القابلية الخاصة تكون قد نمت وظهرت كاملة واصبح كل واحد يستطيع أن يقرر المهنة التي يرغب فيها لا بالنسبة للحاجة الاقتصادية أو الحالة الحاضرة التي هو فيها فحسب بل بالنسبة لحياته العامة ومستقبله ايضاً .

على ان العلماء الغربيين يؤكّدون بأنه يجب أن تسبق مزاوله المهنة فترة تمرين

وتمارسه وهذه تتراوح في الدول الغربية الراقية بين (٤ - ٨) سنوات إذ فيها يأخذ الطالب المعلومات الضرورية الخاصة بالمهنة ويقوم بالتجارب التي تتطلبها المهنة .

وحتى بعد تجاوز هذه السن فإن الفرد يبقى غير مستقر تماماً في اختيار المهنة لذلك قام أحد العلماء بما يلي :

سأل طلاب الجامعة بين سنتي ١٩١٢ - ١٩١٤ عن وقت استقرارهم النهائي في اختيار الفرع الدراسي ، فكان جواب أكثر من نصف الطلاب الذين وجه اليهم السؤال يشير الى انه لم يحدث هذا الاستقرار إلا بعد الفصل الثالث من حياة الجامعة . وهذا يدل على أن الاستقرار للمهنة بالنسبة لطلاب الجامعات لا يكون قبل بلوغ السنة الـ ٢٠ من العمر لأن كثيراً من الطلاب يرغبون في نوع من الدراسة ولكن بعد دخول الجامعات يصطدمون بعدم وجود الاستعداد الشخصي الكافي عندهم لهذه الدراسة مع أن طلاب الجامعة نالوا نصيباً وافراً من الدراسة . واختبروا قابليتهم واستعداداتهم بمروهم باختبارات متنوعة في المدرسة الثانوية ومن قبل لجان اختصاصية متنوعة .

فاذا بدأ الشاب بعد نضوجه وبلوغه السن الثامنة عشرة على الأقل يكون قد قطع مرحلة المراهقة وتخلص من رجتها النفسية واصبح نموه مساعداً على الاستقلال الذاتي والتفكير الجدي في وضعه الاقتصادي وملائمة المهنة لهذا الوضع لانه يكون في دور استقرار نفسي وجسمي . اما ذوق الشاب المهني فيكون قد تحسن واصبح مقبولا ويكون قد ابتعد عن الاحلام الخيالية او اعتمد على التفكير الواقعي .

وبعد وصول الشاب الى هذا العمر يصبح قادراً على الاستفادة من وقته الذي يتمتع به خارج العمل وأن يثقف نفسه ويحاول التزود بالمعلومات الضرورية لنموه في المهنة وذلك لاشباع رغباته الاخرى وتحقيق آماله وطموحه . كذلك يصبح الشاب مقدراً لقيمة النقدية ايضاً ويستطيع وضع خطة للاستفادة من أجره وما يربحه بواسطة عمله ولذلك فيلتذ كل شاب بتوفير أكبر قسم من أجره لتحقيق

مشاريعه المبنية على خطته الواقعية . لذلك وجد بنتيجة احدى التجارب التي قام بها أحد الاساتذة في بعض المدارس أن الاكثرية الساحقة من الشبان الذين تجاوزوا السن السادسة عشرة والذين اصبحوا يربحون من جهودهم الخاصة أصبحوا يقدرون النقود أكثر من ذي قبل ، فبينما كانت نسبة الموفرين ممن هم دون السن الثانية عشرة لا تتجاوز ٧٠٪ من الطلاب و ٥٨٪ من الطالبات ارتفعت هذه النسبة لمن هم فوق السنة السادسة عشرة الى ٨٤٪ من الطلاب و ٨٢٪ بين الطالبات ولذلك فيظهر جلياً أن تقدير النقود وقيمتها وفائدتها أصبح كبيراً عند الشاب بعد تجاوزه السنة السادسة عشرة من عمره .

على ان هناك بعض العلماء في أوروبا من يرى أن دخول الشاب المهنة بعد بلوغه السنة السابعة عشرة لا يمكن ان يفي بالغرض العام من المهنة ولذلك يقترح أن لا يسمح بذلك إلا بعد بلوغه السنة العشرين من عمره لاسيما في بعض المهن التي تتطلب تفكيراً شخصياً وذوقاً ذاتياً (كالمهن ذات الانتاج الفنى) لان المهنة يجب ان تحقق حاجة المجتمع بالدرجة الاولى وقد وجد المربي « كرسنشتاوينز » ان الاستعداد للتربية المهنية يبدأ بعد بلوغ السنة الثانية عشرة من العمر لذلك فلا بد من تغيير برنامج المدرسة وتقوية الروح العملية بعد هذا العمر . فالطالب يكون في هذا الوقت قابلاً للقيام بتجارب شخصية ويستطيع فهم بعض القوانين الطبيعية وصفات المواد الاولية والآلات ولذلك يرى هذا المربي أن المدرسة يجب ان تنهز هذه الفرصة فتبدأ في تدريب الشبان والشابات على الحياة العملية التي ستوضح لكل واحد منهم نوع المهنة التي يعمل اليها وتلائم قابلياته واستعداداته ويرى أن مدارس العمل التي نشأت في أواخر القرن التاسع عشر هي التي تدعم النظريات العلمية بالقيام بتجارب خاصة وتطبيق عملي . ففي هذه المدارس يبدأ الطالب بالقيام بالتجارب العملية الاولى وهذه التجارب الاولى هي التي تقرر الى حد كبير نوع المهنة التي يزارها الانسان ويعمل اليها حقاً ، لان الميل الى المهنة تقرر المقدرة على الانتاج فيها فالمقدرة الخاصة هي التي تدفع الانسان في أكثر

الاحيان الى اتجاه معين لاختيار مهنة منسجمة مع هذه المقدرة الخاصة .
وقد استفادت المعامل كثيراً من نتائج علم النفس الصناعي كما ان الصناعة نفسها
كانت عاملاً فوالياً في كشف كثير من القابليات الفنية في الافراد بواسطة مدارسها
الخاصة بها والتي تستهدف تثقيف العمال والمشتغلين بالحقل الصناعي .
كذلك استطاعت الحكومة أن تكون وسيطاً بين الصناعة وبين المصلحة العامة
وذلك بحث المعامل على ايجاد مدارس ملحقه بها وعلى نفقة المعامل نفسها تقوم
بتثقيف العمال كما انها سدت القوانين التي تعين مدة عمل الاحداث وحقوقهم الخاصة
ولا سيما حتى التثقيف المهني .

وفي البلاد العربية التي بدأت تسير في حياتها على النظم الحديثة وأخذت قضية
العمل والعمال تشغل قسماً هاماً من تفكير الحكومات في الشعوب والصناعة بدأت
تضع أسسها في كثير من المدن العربية وأخذت المعامل الضرورية تقوم بقدر حاجة
البلاد وقوتها الصناعية ، لذلك اصبح من واجب المفكرين لا سيما رجال التربية
التفكير في كشف القابليات الضرورية لهذا الانقلاب الجديد اذ بكشف
الاستعدادات تستطيع المدرسة أن تساهم بنصيبها من الخدمة الشعبية وتخفف
الضغط الكبير الواقع على المدارس الثانوية والعالية لان نمو الثقافة في البلاد العربية
لا يعطى الثمرة المطلوبة إلا اذا انسجم مع نمو اقتصادي وازدهار مهني يستطيع
استثمار الثمرة قوات الشباب وتوجيه هذه القوات في الانتاج العام .

الساب والمدينة

ان الحس الدينى موجود في الانسان بصورة طبيعية من وقت الطفولة الاولى وذلك لأن الانسان يشكو كثيراً من الخوف ولازالة هذا الخوف لا بد له من الاعتقاد بشيء قد ير يستطيع حفظه ودفع الأذى عنه . واقد صرح كثيرون بأن حسهم الدينى الاول اى ايام الطفولة كان مبنياً على الخوف والرغبة وان كان هذا الحس داخلياً دون تلقين أو تعليم وقد يعتقد الطفل ان السلطة الدينية هي سلطة غير محدودة ولذلك فالطفل يحسم ذلك بسلطة الأب في البيت ويميل الطفل نظراً لهذا الحس الى قبول المعجائب ويقبل بسرور القواعد الدينية القائلة بأن الله يعاقب الرديء ويثيب الطيب وهذا مقبول لديه لاسيما وان الوالد يعاقب الطفل غير المقبول ويثني عليه اذا قام بعمل مرضي . على انه رغم اشتراك عامة الاطفال في الحس الدينى نرى اختلافاً كبيراً بينهم من ناحية الشعور الدينى وذلك بالنسبة للبيئة البيئية او العصر الذي يعيش فيه الاطفال لأن العقيدة الدينية وقواعدها يكتسبها الطفل اكتساباً ويتبناها كبقية التقاليد الاجتماعية الاخرى لذلك فالوسط مهم بالنسبة للعقيدة الدينية كما ان العصر يؤثر بانجاهاته العامة على العقائد الدينية والتقاليد الاجتماعية .

وقد يقسم المحيط البيئي بالنسبة للحس الدينى الى ثلاثة اقسام :

١ - النشوء في محيط دينى قوي

٢ - النشوء في محيط دينى مقبول

٣ - النشوء في محيط دينى ضعيف أو معاكس أو مضاد

وكل من هذه الانواع تؤثر تأثيراً خاصاً في الاطفال فقد يكون التأثير الدينى على الاطفال متساوياً مع قوة المحيط وقد يكون التأثير مختلفاً متبايناً . لأن الطفل وان تقبل التلقين الدينى وخضع لأبويه في ذلك يشعر بضعف في هذا

الحس بعد السنة السابعة من العمر .

اما العصر فهم بالنسبة للحس الديني لانه قد يحدث انسجاماً بين روح العصر الديني وبين التقاليد البيئية السائدة وقد يسير العصر بطريق عامي لا يتفق وما حافظت عليه العائلة من تقاليد وعادات . اذ لم يلاحظ ان التطور العصري يرافقه تطور ديني في داخل المائلات ايضاً فرغم انتشار العلوم الطبيعية والرياضية وسيادتها على طريقة التفكير العامي وبدء الشك في كثير من المسائل الدينية والقواعد الروحية بقيت الاوساط العائلية محافظة على عاداتها الاجتماعية وتقاليدها الدينية مدة من الزمن .

ويعترف الكثيرون من علماء النفس ان الحس الديني موجود في الطفل رغم موجة الشك التي نشأت في اوربا منذ ايام رسو وتقدم العلوم الطبيعية .

ان الحس الديني يبدأ ثانية في الانسان في اوائل دور المراهقة اذ انه بعد أن يضعف هذا الحس بعد السنة السابعة يعود ثانية الى الظهور والقوة في السنة الحادية عشر أو الثانية عشر حيث تبدأ العوامل النفسية الداخلية بالتفتح ، وان سر هذا الحس الديني في اول فترة المراهمة له علاقة وثق باظهار الشخصية للشباب ومحاولة تكوين رأي خاص عن الامور الدينية فهو يحاول تفسير العادات والعقائد الدينية المتوارثة بالنسبة لشعوره الداخلي ورأيه عن الحياة العامة .

والشاب ينظر الى الدين في هذه المرحلة في الحياة كشيء شخصي ومظهر للحضارة العامة ولا ارتباط الهيئة الاجتماعية ببعضها كذلك فهو يكثر من السؤال كيف يجب أن يكون الدين ؟ وما هو سر وجود العالم ؟ والطالب يريد أن يطمئن على ما يخالجه نفسه من الشكوك والالوهام لذلك فهو يكثر من البحث عن الآله وعن العالم وعلاقة ذلك بالبشر والهيئة الاجتماعية ولذلك فان القنّى لا يفرق كثيراً بين الرجال الدينيين وبين من يعتقد في عظمتهم كالفلاسفة أو الشعراء أو الفنانين أو الابطال فهو يقدس العظمة والبطولة مهما كان نوعها .

وقد اظهرت التجارب الماضية أن الكثيرين من الشبان يميلون الى البساطة

الدينية لتصبح منسجمة مع التطور الطبيعي للعالم لذا فهم ينفرون أحياناً من معالم الزينة التي تقوم بها الكنيسة في أوروبا ويبدأ الشبان في انتقاد ذلك والبحث في ضرورتها ومقدار علاقتها بروح الدين لذلك كثرت حوادث الشك والرفض كلما زادت الكنيسة في مظاهر الزينة إذ يشعر الشاب بأن الآله هو في داخله وفي الروح الدينية هي من خصائص القلب أكثر منها معالم زينة او اقامة حفلات دينية ويؤثر اخيراً الابتعاد عن هذه المظاهر بل والتخلص من كافة التقاليد الموروثة . ولذلك فكل محاولة دينية لا تبني على المحاكاة المنطقية لا تثمر في هذه الفترة الزمنية من العمر وقد تحدث اضراراً دينية لأن خيبة الامل في تحقيق روح الدين في المسائل الواقعية كبيرة لاسيما من بعض الرجال الذين يتظاهرون باسم الدين . ويسند خيبة الامل هذه الشك الذي اوجدته العلوم الطبيعية والتي تسيطر على روحية الفتى في هذه الفترة . ولقد لوحظت كثرة مناقشة الشباب للمعلمين الذين يدرسون الدين عن الآله وخصائصه ويحاولون محاكاة الاعمال البشرية بالنسبة للصفات الالهية مثل كيف يمكن للآله العادل ان يخلق هذا العالم المملوء بالظلم والجور والقسوة ولماذا يترك الله الظالم يستمرسل في ظلمه وكثير من الاسئلة الدينية الاخرى التي لها علاقة بخلق العالم وتكوينه ونوع النظام الذي يسير عليه ورغم كثرة الاسئلة التي توهم السامع أن الشاب لا ديني وانه بعيد عن كل شعور ديني يبقى الشاب مرتبطاً بامور دينية كثيرة إلا انها فترة يضعف فيها الحس الديني ويزداد فيها التفكير الفلسفي لذلك يجب أن يكون معلم الدين قوياً في المحاكاة الفلسفية والتفكير المنطقي ومطلعاً على كثير من القوانين الطبيعية لأن كثرة الاسئلة الدينية هذه ساقط الكثيرين في الغرب الى تغيير دينهم او مذهبهم . ولقد قام احد العلماء الامريكان كما ذكر العالم *Spregar* بتوزيع اسئلة مختلفة على عائلات متعددة ضمنها عما اذا كان أحد افراد العائلة قد غير دينه أو مذهبهم وفي أي وقت جرى ذلك وقد كان جواب الاكثرية الساحقة التي غيرت دينها أو مذهبها انه حدث في دور الشباب أي

بين السنة الثالثة عشر والخامسة والعشرين . فأكثر النساء اللاتي غيرن دينهن كن بين عمر ١٣ - ١٦ اما الرجال فقد ابدلوا دينهم أو مذهبهم بعد عمر السادسة عشر . لذلك يرى العالم خطر هذه المرحلة من العمر على الحس الديني كذلك يرى علاقة قوية بين التطور الجنسي والحس الديني .

ومن الحركات التي اثرت على الحس الديني بالاضافة الى انتشار العلوم الطبيعية بعد عصر النهضة العامة هي الحركة الانادية والفلسفية الايجابية .

فالاولى شملت الناحية الاقتصادية وطفعت بواسطة جهود كارل ماركس والثانية بدأها (كونت) الافرنسي ونحت الناحية الفلسفية واسلوب علم النفس ، فالتفكير الاقتصادي الجديد والنظرة الفلسفية هذه اثرت في الاتجاه الديني للشباب لاسيما بعد ان عمت العلوم الطبيعية ومقاييسها الحياة المدرسية في اوربا وظهرت نظرية دارون مؤيدة لذلك مناصرة لهذا الاتجاه .

وقد غيرت هذه النظريات الجديدة بعض الاتجاهات العامية في اوربا واعتبرت المادة مؤثرة على ايجاد السعادة عند البشر كما وضعت الهدف الاول لكل بحث الفائدة العامة التي يجنيها الانسان منه حتى ان سبنسر قسم العلوم الى عدة اقسام رتبها حسب اهميتها للانسان فاعتبر اهم العلوم اكثرها فائدة مادية للانسان اما الفلسفة الماركسية فقد حاربت لأجل تثبيت المادية وبطبيعة الحال اصبحت مضعة للشعور الديني وحتى الآن والماركسية في موقف عدائي بالنسبة للدين حتى لقد قال احد علماء الماركسية في مفعول انادية (ان الدين سقط تحت عجلة الماكينة والعلاقة الاقتصادية ولم ينهض حتى الآن) ولذلك فقد استطاعت الحركة الماركسية ان تكسب كثيراً من الانصار من الشباب وتستخدمهم في حركاتها الثورية وقد نجحت لذلك لما صر بنا من ان الشباب في هذه المرحلة يكونون قلقين في الاحساس الديني ويميلون الى الروح الثورية والمنهج الذي يسحو نحو العنف والشدة .

على اننا نرى ان الكثيرين من الشباب في هذه الفترة يصبحون ميالين اما الى الوحدة الدينية او تركها نهائياً واما الى الاستقرار او اليأس العميق ، واما الى التمسك

بالآله وتقديسه واما الى البحث عن آله جديد وكل هذا نتيجة لعوامل داخلية في الشاب تتبلور بالنسبة لما يشاهده في الهيئة الاجتماعية من نظام وقرانين لانه لا يبتعد كثيراً في تفكيره عما حوله لا سيما وانه يصبح ميالا الى انتقاد كل شيء له صلة به وان المحيط الذي يعيش فيه الشاب يؤثر على اتجاهه الديني . فالبيت والمدرسة والجماعة والرفاق تعمل كلها على تثبيت الحس الديني في الشاب وأعطائه الطابع الذي يظهر لنا .

اما الشباب العربي فهو يختلف عن زميله الشاب الاوربي في هذه الناحية اختلافاً كلياً لان الدين الاسلامي في نشوئه وتطوره وقواعده بالنسبة للعرب غير الدين المسيحي بالنسبة للاوربيين واذا كانت كثير من الامور في الدين المسيحي تثير الشكوك والاسئلة الكثيرة عند الطلاب لاسيما قضية عيسى بن الله وان مريم عذراء ومع ذلك فقد ولدت عيسى . والحياة بعد الصلب ، صعوبة التفسير على الشباب في اوربا لاسيما بعد ان طغت العلوم الطبيعية على تفكيرهم وسيرتهم في الطريق المنطقي الطبيعي . زد على ذلك فان الدين المسيحي بعيد عن اوربا وقد وقعت شعوب اوربية كثيرة ضد هذا الدين ولم تأمن تعاليمه بسهولة وقد جر الدين عليها ويلات وحروب ، فالشباب العربي خال ومتحرر من كل ذلك والدين الاسلامي في نشأته وسيرته التأريخية واضح لدى الطلاب ، كما أن حياة الرسول محمد (ص) معلومة وطبيعية بالنسبة لحياة المسيح . والدين الاسلامي اصبح جوهر التاريخ العربي السياسي فبالاسلام اصبح العرب دولة وعلى استس الاسلام أسسوا مدينتهم وحضارتهم لذلك فالشباب العربي يألف ذلك ويتقبله لاسيما وان طبع الشاب يميل الى الاعتزاز بالتاريخ والدين الاسلامي يشبع هذه الرغبة في الشاب فقد اوجد له ابطلا في كافة الحقول الحياتية والازمنة التأريخية لذلك فهو موقف الشاب العربي يختلف عن موقف الشاب الاوربي من الناحية الدينية .

واخيراً فالعلوم الطبيعية التي شقت طريقها الى الحياة والمدرسة في اوربا بعد

كفاح طويل وتضحيات كثيرة نظراً لوقوف الكنيسة ضدها حتى أصبح تاريخ العلوم الطبيعية مقروناً بالملء كسة الدينية في أوروبا لم تجد في البلاد العربية مقاومة تذكر لا بل رحب بها واستقبلت بحماس لأن الشاب العربي يعرف أن أجداده قد شجعوا هذه العلوم وفتحوا صدورهم لكل علم جديد ولم تحدث في الإسلام مقاومة لأي علم كان لذلك فالنزاع بين العلوم الطبيعية والدين غير موجود بالنسبة للشاب العربي. والحياة الاجتماعية في بلادنا ليست معقدة كحياة أوروبا لأن الصناعة لم تنم بعد والتجارة ما زالت محلية والطبقات وما بينها من فروق لازالت بسيطة وابتدائية. كل هذه المظاهر الاجتماعية حديثة دخلت إلى بلادنا بعد اتصالنا بأوروبا وارتباطنا بها في أمور كثيرة لذلك فالتقاليد الاجتماعية في البلاد العربية ليست ثقيلة كما هي في أوروبا وإنما الحياة الجديدة هذه قد تعد نتاج القرن العشرين في البلاد العربية بتأثير أوروبا وقد بدأ الشاب العربي لاسيما بعد الحرب الثانية يشعر أن نظام حياته الاجتماعية بدأ يأخذ اتجاهًا شبيهًا بأوروبا ولذا فقد بدأ يفكر في صلاح هذا الاتجاه أو عدمه ويثير الشكوك حول ذلك إلا أن ضعف البلاد العربية وخضوعها لفوز اجنبي يكسر من حدة هذه الشكوك ويأخذ وقتاً وجهداً كثيراً من تفكير الشاب، يوجهه نحو إيجاد حل لهذه القضايا المحلية. لذلك فالعربي يفكر في الأمور السياسية في هذه المرحلة أكثر من التفكير في الأمور الدينية.

وهناك نقطة أخرى يختلف فيها الشاب العربي عن الأوروبي وهي علاقة الدين بالنظم الاجتماعية. فالأوروبي قد تخلص منها منذ زمن طويل وأصبح الدين منفصلاً عن ذلك. أما في البلاد العربية التي أخذت تتأثر بأوروبا وتأخذ الشيء الكثير من نظم حياتها فقد واجهت مشكلة جديدة بالنسبة للدين. وإذا ما بحث الشاب في هذه الوسائل فلنما يتجه بتفكيره واستلتمه إلى مقدار الانسجام بين القواعد الدينية وأنواع الحياة التي بدأت تشق طريقها إلى العرب. وهذه المشكلة ليست صعبة لأن العرب واجهوا في أيامهم الأولى مثل هذه المشاكل واستطاعوا حلها

بسهولة فتبنوا كثيرًا من العادات التي لا تضر في جوهر الدين ولا تعارض روح الاسلام . لذلك فمهما بحث الآن في هذا الامر فسوف لا يكون معضلة قوية على الشاب العربي . على ان الشاب يميل بطبعه الى مناقشة ذلك بصورة جدية لذلك فيفضل ان يكون معلمو التاريخ والدين ممن اتصفوا بالشخصية القوية وفهموا القواعد النفسية والمناقشات الفلسفية المطبقة حتى يستطيعوا ايجاد الطمأنينة والثقة في نفوس الشباب في هذه المرحلة .

(الشباب والسياسة)

لقد رأينا في مامر بنا سابقاً ان دور المراهقة يمتاز بعدة صفات خاصة اهمها ما يلي :

١ - شدة الشعور .

٢ - تغلب الانفعالات والاضطراب .

٣ - الشعور الداخلي بعدم الامان وفقدان الطمأنينة .

اما التغيرات الجسمية فقد اجمالنا اهمها في البحث السابق وهي من الخطورة بمكان لذلك اصبح من واجب الآباء والمربين ان يزيدوا من ملاحظاتهم للاولاد والبنات في هذا الدور ويعتبروا هذه المرحلة مرحلة كنزاج جسمي ونمسي يتحتم على كل واحد منهم ان يساهم فيها ليخفف من وطأتها على نفوس المراهقين .

ولقد راقب بعض العلماء المراهقين ودرسوا نفسياتهم فوجدوا انهم يتصرفون بحالات معينة رغم ما بينهم من فروق فردية وجنسية وشعبية فوجدوا ان هذه الفروق تلعب دوراً هاماً في القوة أو الضعف الذي تتصف بها نفسية الشاب إلا أن الصفات التالية عامة في كافة المراهقين :

١ - ان الشاب يتحرر من الاتكال على والديه ويحاول أن يسير بحياته المادية مستقلاً لذلك وجب أن يوجه التوجيه الصحيح .

٢ - يظهر شيء كثير من التفكك على العلاقة العائلية حيث يضع الشاب المراهق ثقله في اناس آخرين غير الابوين والاقارب ويغلب أن يكون هؤلاء رفاقه

في المدرسة أو زملاءه في العمل .

٣ - لقد ظهر ان الشاب المراهق يميل كثيراً الى الاناقة في المظهر لذلك فهو يصرف جهوداً كبيرة للاعتناء بالملبس والظهور بالمظهر اللائق امام الآخرين وقد يحاول تقليد بعض الكبار لذلك تنتشر في المراهقين عادة التدخين التي يجب أن تحارب بشدة .

٤ - ان الشاب في هذه المرحلة يميل الى التحرر من القيود ولذلك فهو يعارض كثيراً من القوانين المدرسية ولا يتحمل بعض القيود الثقيلة للصف لأنه يشعر بعدم صلاحها وبعقمها لا سيما إذا لم تسند القوانين والأنظمة بشخصية قوية .

٥ - يميل المراهق الشاب الى البحث كثيراً في الامور السياسية والدينية ويحاول أن يبني ذلك على فلسفة خاصة يستمد منها رأيه في الحياة كما أن الطالب يفكر جدياً في المهنة التي يجب أن يتوجه اليها وذلك ليستطيع تأسيس كيان مستقل لتحقيق مثله الاعلى للحياة الزوجية .

وقد يكون الشباب لا سيما بعد الحرب العالمية الثانية غير بعيدين عن هذه النواحي الهامة في السياسة لأثر الحرب الكبير على نفسياتهم وعلاقاتهم مع الآخرين .

اننا نلاحظ مع ذلك ان موقف الشباب العربي بالنسبة للسياسة يختلف عن موقف الشباب الاوربي لان الشعب العربي لم يستقر بعد في كيانه السياسي لهذا ما زال في دور كفاح من اجل هدف سياسي بعيد كما أن الحياة السياسية في البلاد العربية ليست منصلة عن الكفاح القومي ولذلك فالسياسة في البلاد العربية هي سياسة سلبية تحاول التخلص من القيود التي وضعها الاجنبي منذ دخوله البلاد العربية مستعمراً .

واخيراً فان السياسة في البلاد العربية لم تأخذ الشكل الاوربي العام فحتى الآن لم تنفصل السياسة عن غيرها كما انه لم تنشأ مدرسة سياسية عربية لها طابعها الخاص ولم تتكون الاحزاب السياسية ذات المبادئ السياسية الواضحة كما هو

الحال في اوربا ولذلك فظهر الشاب العربي الى السياسة ممزوج بالنظرة القومية والشعور الوطني ايضاً .

ان نظرة الشاب الى السياسة تختلف بالنسبة للشعوب وبالنسبة للعصور التاريخية ففي الوقت الذي يمر به شعب ما في دور النضوج والتبلور تكون فيه نظرة الشاب الى السياسة غير نظراته عند حصوله على غايته واستقراره في حياته العامة . كما ان شعباً ما متصفاً بالثورة والمراج الحاد ليظهر فيه الشاب من الاهتمام بالسياسة اكثر من شعب امتاز بالهدوء النفسي والطبع المتزن لذلك فقد تكون نظرة الشاب الانكليزي الى السياسة غير نظرة الشاب الافرنسي لها كما ان اندفاع الشاب الالماني في الكفاح السياسي ايام نكون الوحدة الالمانية غير اندفاعه عند ما تمت الوحدة واستقرت أمنه كذلك ينتظر أن تكون نظرة الشاب العربي في هذه الفترة الزمنية للسياسة غير نظرة الشاب في الشعوب الاخرى . على انه وان اختلفت النظرة بالنسبة للشعب والزمن نجد اتفاقاً عاماً بأن الشاب في هذا العمر يبحث كثيراً في السياسة ويصرف جهوداً تفكيرية أو عملية لها .

ان الرغبة في العمل السياسي والبحث السياسي ، وجوده في داخلية الشاب إلا ان مدلول السياسة في الشبان قد يختلف عن مدلوله بالنسبة للناضجين . وان اكثر شيء يعجب به الشاب وينجذب نحوه هو القدرة أو الساطة ، القدرة الفيزيولوجية أو القدرة العقلية ولذلك فههدف الشاب من السياسة هو الحصول على هذه القدرة ويعتقد أن كل شخص يحصل على القدرة هذه يملك السياسة والساطة الفيزيولوجية لا يمكن أن تستمر طويلاً وان تسيطر بشدة ما لم تسندها الفكرة . على ان الشعب ليس وحده واحدة وانما يضم عدة طبقات كل منها تحاول ان تحقق اهدافها عن طريقها الخاص ولذلك فينشأ النزاع بين افراد الشعب وبين الهيئات الشعبية حتى نرى ان الفكرة تنشعب في طرق مختلفة كما أن مصالح هذه الهيئات ومفهوم الاصطلاحات السياسية متضاربة لذلك فينتظر ان تختلف وجهات النظر السياسية في الشعب الواحد ايضاً .

ان محاولة الحصول على السلطة امر طبيعي يسعى اليه كل فرد أو كل هيئة اجتماعية وليدش في ذلك ما يعيب أو يضر إلا ان الشيء الحساس في السياسة ليدش محاولة أستلام زمام السياسة وانما الطريقة التي يسعى اليها الانسان أو تحارب بها الهيئة الاجتماعية الحصول على أمر السياسة وفي هذه يعتمد على مستوى الفرد أو الهيئه الاجتماعية كذلك فان تسيير السياسة بعد استلامها أمر جوهري يمكن ان يحكم به على مقدرة السياسي أو الهيئة التي نالت هذه السلطة وبالنسبة لهاتين النقطتين تختلف الشوب فيما بينها اختلافاً بيناً مع انها كلها تعترف لكافة الافراد والهيئات الشعبية بالسعي لاختذ السلطة أو الاستيلاء على زمام السياسة . وهنا يأتي الخطر الى الشباب فيما اذا كانت الاحزاب السياسية او الافراد السياسيين ليسوا من النضوج السياسي بمكانة تؤمن السير في الطريق القويم اذ لا يسمح بان ينال الانسان حقه بطريق غير صحيح . كما ان الفرد الذي يطلب الحق لنفسه عليه ان يعترف بهذا الحق لغيره فيما اذا كان الاثنان متساويين في المحقوق الاجتماعية ولهذا ابطال مفعول « الغاية تبرر الوسطة » لان في تطبيق هذه القاعدة السياسية خطر اجتماعي عام اذ تخرج الهيئات الاجتماعية عما افقه من تقاليد وتكر ما للافراد الآخرين من حقوق طبيعية كما انه تعرض السياسة والبلاد الى خطر عدم الاستقرار والاضطراب الدائم واخياناات المتكررة طالما لا يرتبط المرء بتواعد خلقية ولا يعبأ بالنظم الاجتماعية ولا يحترم المواد القاننية .

وبما ان الشاب يملك قوة جسمية عنيفة واندفاعاً فكرياً شديداً لذلك يخشى كثيراً على الشاب من أن يستخدم كآلة لتنفيذ مآرب بمض السياسيين التي لا تستهدف اكثر من الاستيلاء على السلطة باي ثمن كان وبأية طريقة كانت والشباب في هذه المرحلة من العمر يعقد الانسجام بين القوتين القوية الجسمية والنشاط الحيوي وبين النضوج الفكري والقوة العقلية لذلك فهو يندفع بتنفيذ خطة الآخرين دون ان يحاكم الخطة أو يعترف بما للآخرين من حقوق مع العلم ان الشباب المنتمين الى الطبقة المتأخرة يميلون الى روح الثورة واحياناً العبث اكثر

من ابناء الطبقات الاخرى التي ارتفع مستواها العقلي والاقتصادي ويخشى الغريون على الشباب من ان تكون نتيجة تدخلهم السياسي قبل بلوغ مرحلة النضوج عاملاً هداماً اكثراً مما هو عامل اصلاح وتحسين .

وكثيراً ما نرى ان الشباب في نظرهم الاجتماعية والسياسية يقسمون الناس الى قسمين فقط من كان مع الفكرة التي يحملونها او ضدها فمن كان معها كان سامياً محترماً ومن كان ضدها فهو خائن ومثل هذه التعابير تثير الشباب فيندفعون في المقاومة والكفاح دون ان يستطيعوا ان يفهموا وجهة نظر الشخص المعارض الذي لا يسير على رأيهم وفي طريقهم .

لانه هناك حالات في السياسة تتطلب المرونة والوقت بينما نجد ان الشاب قد لا يتصف بالمرونة ولا ينحو إلا نحو التعصب السياسي الشديد لان الرأي السياسي الذي يكونه الشاب هو من نتاج الناحية الفكرية للشباب المجردة عن الواقع والامكانيات والمملوءة بالخيال والمثل العليا البعيدة التحقيق وما دام الشباب بعيداً عن مشا كل الحياة ومعرفة الحاجات البشرية والهيئات الاجتماعية فان الشباب يبقون بعيدين عن القدرة على تسيير السياسة وفقاً لخطتهم التي رسمها لهم عقلمهم المجرد او خيالهم الواسع .

والسياسة لا تعنى الاسلوب الذي بواسطته تدار السلطة وانما السياسة ايضاً تعني المعلومات او المعرفة الخاصة لادارة الدولة ولذلك فالسياسي يجب ان يعرف كيف يستطيع ان يدير الدولة رغم ما فيها من هيئات اجتماعية مختلفة ومطالب فردية لا تنتهي وهذه الناحية من اصعب النواحي على الشباب وهي التي توجد الخطر لرؤساء الاحزاب السياسيين فيما اذا استخدموا الشباب قبل النضوج في الحصول على السلطة اذ ما يكاد ينال الرئيس السلطة الحكومية حتى يصطدم بواقع السياسة ويضطرب بان يماشي اشياء كثيرة حتى يستطيع السير بالدولة نحو الهدف الذي يضعه لها وهذا الاتجاه العلمي لا يقبل به الشباب ويعده خيانة للامبدأ ونقضاً للعهد ولذلك فكثيراً ما تعرضت احزاب

غربية الى خطر الانحلال نتيجة لهذه النظرة وإذا ما أخذنا صعوبه تنظيم الشباب بنظر الاعتبار إذ أن الشباب في هذه الفترة من العمر ليسوا سهلي الانقياد ولا يمكن تنظيمهم كما تتطلب الخطة المحكمة وإنما يعملون الى الابتعاد عن كل رابطة قوية أو نظام دقيق فعند ذلك يشعر السياسيون بخطر الاندفاع في استخدام الشباب قبل نضوجهم في المسائل السياسية الهامة وعندئذ يصبح واضحاً لديهم أن كلمة «من ملك الشباب ملك المستقبل» ليست دائمة لأن الحزب السياسي لا يستطيع أن يملك الشباب لمدة طويلة لا سيما اذا نال السلطة السياسية وحصل على نتيجة مرضية .

وقد وجد في اكثر الدول الغربية أن الفكرة التي يحملها الشباب لا يمكن أن توجد بينهم نظاماً محكماً إذ أن الخضوع للأوامر ضعيف في فترة المراهقة لذلك فلا يساعد الشاب على الانتاج السياسي أكثر من الخدمة العسكرية التي تحارب الفردية وتدخل في نفس الشاب الطاعة المطلقة والخضوع التام للأوامر ولهذا فإن السياسيين الغربيين قد ابتعدوا عن استخدام الشاب لأغراض سياسية قبل أن يتم نضوجهم وان يكملوا الدورة العسكرية المطلوبة لأن إدارة الدولة التي هي الهدف الأول لكل سياسي أو حزب في البلاد تتطلب المقدرة الكافية والخضوع للنظام . ومن السهل أن يخدم الإنسان الدولة وهو صغير ولكن يصعب أن يستطيع إدارة الدولة إلا بعد أن يتعلم كثيراً ويفكر في ذلك ويتقاسي من حكم الدولة الشيء الكثير ايضاً حتى يتم نضوجه ويخبر بنفسه الاتجاهات المختلفة والمصالح المتضاربة .

أن الساسة الاوربيين توصلوا الى قاعدة ثابتة وهي أن الطلاب لاسيما الذين هم دون الجامعة للامة عامة لا لحزب معين ولذلك فلا يجب أن يخدموا حزباً معيناً لأن مصالح الامة هي فوق مصالح الاحزاب السياسية والامة لا يمكن أن تكتفي بحزب واحد ولا بطبقة واحدة ، لذلك فالطلاب في الثانويات لا يستخدمون إلا في المسائل القومية العامة وفي الاعمال التي يعود نفعها على عامة الشعب .

وليسمح أحياناً للأحزاب السياسية إن استعانت بالطلاب قبل نهاية مرحلة النضوج أن تستخدم جهود الطلاب في الأعمال الاجتماعية المساعدة التي تساعد الطلاب على التشبع بالحس الاجتماعي وتساعد على فهم الخدمة العامة وتكوين الوجدان الاجتماعي .

ومن شروط الحزبية السياسية أن تكون خصومة سياسية بين الأحزاب تتناسب قوتها ومدى الابتعاد في الخطة السياسية أو المنهج الحزبي . أما الطلاب فيحظر عليهم الدخول في مثل هذه الخصومات لأنهم ملك للجميع ولمصلحة الجميع لذلك يجب أن يبقوا بعيدين عن ميدان الخصومة الحزبية التي تضر الحركة السياسية إن دخل فيها الطلاب لأنهم لا يمكن أن يكونوا وسطاً في التفكير (فهم رد كاليون ومتعصبون) كما إن الشبان في دور النمو يكونون مزودين بقوة حيوية نامية ذات فعالية كبيرة وليست مصحوبة بغاية معينة ولا بشكل خاص مستقر لذلك إذا استخدمت هذه القوة بغير الخدمات الاجتماعية تنفجر فتدفع الشبان الى نزاع شديد وربما الى تهديم وتخريب وتطبعهم بطابع العنف والتقلب لان الشبان يعملون بطبعهم في هذا الدور الى المناهج الثورية المتطرفة .

وإذا ما دخل الطلاب في هذا العمر في الحركة السياسية الحزبية فإن النتيجة ستكون خطرة لأن الحزب الذي يستخدم الطلاب ويصل بواسطتهم الى هدفه السياسي (الاستيلاء على الدولة) لا يستطيع بعد أن يصبح مسؤولاً عن الدولة ان يسير بالخطة نفسها التي سار عليها قبل نيله هذا المطلب وتحمله المسؤولية لذلك تحدث رجة عنيفة عند الطلاب ويصبحون مهتدين للحزب أكثر مما هم عاملين على تثبيت كيانه . واخيراً لا ننكر إن بلادنا تمر بمرحلة خطيرة في هذه الناحية فلقد كثرت صلة الأحزاب بالطلاب وحتى أصبح طلاب الثانويات منهم بحيث أصبحت بعض الأحزاب تعتمد في نشر دعوتها السياسية على الطلاب بالدرجة الأولى . وان هذه الظاهرة عامة اليوم في البلاد العربية وفي توسع مستمر ، نظراً للظروف الحرجة التي تمر بها البلاد وهذه الظاهرة تحتاج الى معالجة حكيمة وانقاذ سريع .

واحياناً تقوي الرجة وخيبة الامل في الشبان حتى ليصبحوا يحاربون كل
الاحزاب السياسية وبذلك يحاربون السياسة العامة لان الحياة السياسية الخفيفة
لا يمكن ان تنتج وتثمر إلا بواسطة الاحزاب السياسية .

لذلك يجب ان يعرف الشبان قبل الدخول في هذا النزاع شيئاً كثيراً عن الدولة
وأسسها والسياسة العامة والوضع العالمي الخارجي وكذلك خصائص البلد الذي
يضمهم وتأثير هذه الخصائص على السياسة الداخلية والخارجية .

واخيراً لا يمكن لامة أن تحصل على حياة سياسية مرضية ما لم ترتبط كافة
الاحزاب بفكرة عامة منسجمة غايتها خدمة الامة وان تسير في كفاحها الحزبي
على قواعد شريفة ولذلك فالتطاحن الحزبي يجب ان يسير شديداً بالتطاحن والسباق
الرياضي . وان لا يغرب عن البال ان كافة الاحزاب تستهدف غاية واحدة وهي
تحسين حالة الامن وتقوية البلاد وخدمة أفراد الشعب وهذه الغاية المشتركة بين
الاحزاب السياسية هي التي تقرر الطريقة التي تسير عليها الاحزاب في نضالها
الحزبي وقبل ان يدخل الشباب في هذا لا بد لهم من ان يعرفوا بهذا الدور القلق
في حياتهم ويتعاملوا أولاً بالشعور الوطني العميق وطرق الخدمة العامة والتضحية
بالشخصية والفردية التي تغطي في هذه المرحلة ثم يتقنوا النظام والمحافظة على
روح الجمعيات ويتعمدوا على ان يقودوا ويقادوا وعندئذ تفتح الامة لهم
الابواب ويدخل كل واحد منهم بحرية كاملة الى الحياة ويختار الحزب الذي
يريد ويعتق الفكرة التي يرتئها .

المواطنة الصالح

لم يشهد الغرب في النصف الثاني من القرن التاسع عشر تطوراً عنيفاً من التطور الاجتماعي إذ أخذ العلماء يبحثون عن أسس ثابتة للتطورات الاجتماعية يسترشدون بالحوادث التاريخية ودراسات الشعوب المختلفة وأخيراً استطاع العالم الفرنسي (اوكت كوت) أن يعين أسس علم الاجتماع ويضع قواعده الثابتة وأن يساعد على استنباط هذه الأسس ووضع تلك القواعد إنما هو رجة الثورة الفرنسية التي زعزعت كيانه الهيئته الاجتماعية في فرنسا وفي أكثر الشعوب الغربية إذ ذاك فلقد كانت الرجة قوية وشاملة لجميع نواحي الحياة مما حملت المفكرين في فرنسا وفي غيرها على البحث عن أسس التطورات البشرية والعوامل المسيرة لهذه التطورات وذلك لتستطيع الشعوب في المستقبل اتقاء مثل هذه الرجات العنيفة ولتحمي الأفراد والهيئات الاجتماعية من أخطارها الكبيرة . لقد شعر أكثر العلماء في فرنسا أن الثورة الفرنسية لم تستطع تحقيق ما نادت به من مبادئ وإنما استطاعت هدم النظم السابقة حتى عبر عن ذلك أحد علمائهم المشهورين بقوله (لقد فقدنا ما كان بأيدينا ولم نستطع حتى الآن الحصول على ما نصبوا إليه) فيظهر لنا إذن أن الحاجة الاجتماعية هي التي سهلت للعلماء استنباط قواعدهم العلمية في علم الاجتماع ولما كانت هذه الحاجة في فرنسا أشد منها في غيرها نتيجة الحصول على الثورة فيها لذلك نرى العلماء الفرنسيين يسبقون غيرهم من العلماء في وضع هذه الأسس الاجتماعية وكانت أهم نقطة في ذلك العلم هو البحث عن حقوق الفرد وواجباته بالنسبة للهيئة الاجتماعية وبالنسبة للدولة إذ أن حياة الفرد قبل هذه الفترة من الزمن كانت غير مستقرة ولم تكن علاقتها واضحة بالنسبة للهيئة الاجتماعية والدولة . أما بعد وضع قواعد علم الاجتماع فقد ظهرت قيمة الفرد في الحياة ووضح بذلك تأثيره في التطورات الاجتماعية العامة لذلك فقد عنيت الدولة والجماعة بالفرد وأخذتا تنظمان شؤونيه وحياته وتوازي بين حقوقه وواجباته .

واقدم نتيجة هذه الدراسات الاجتماعية اسم (المواطن) وبدأت المناقشات
تكثر حول المواطن والمواطنة فاضطرت الدولة الى درس أمور المواطن بالدقة
العامية لما لهذه الدراسة من أهمية . ولقد شاهدنا كيف ان الدول تتنوع في
الاعتماد على الأسس الثابتة للمواطنة فنجده وسط اوربا يرى ان المواطنة تستمد
بالدرجة الاولى على العلاقة الدموية والترابط التاريخي وهذه النظرة مستمدة من
حاجات هذه الدول . وقد تكون الثورة الافرنسية كذلك احدى العوامل
الفعالة في تثبيت هذا الاتجاه لان الثورة الافرنسية رمت بفكرتها الجديدة
وبقواتها المادية الى ساحة القتال في اوربا الوسطى والشرقية فاخذت الجيوش
الناپليونية تحتل المدن تلو الاخرى وتقوض دعائم الحكم في وسط اوربا وتزيل
منها الملوك والامراء .

فهذه الكارثة العسكرية قد حملت علماء اوربا الوسطى لاسيما (البروسيين)
منهم على التمسك بالوحدة لانهم كانوا لا يستطيعون قهر نابليون بدون هذه الوحدة
ومن ثم نادوا بان العنصرية الدموية هي أساس المواطنة الصحيحة وهي الضمان
ضد الهجمات الخارجية . وهم مسوقون لذلك بحكم الواقع اذ شاهدوا دول الالمان
الصغيرة أصبحت آلة بيد نابليون العظيم وانهم لا يستطيعون كسر نابليون إلا
اذا استندوا الى فكرة تستطيع أن تضم العنصر الالمانى وتوحده ضد هذا
الهجوم الغريب فنادوا بالقراية الالمانية وبالعلاقة الدم كاقوى علاقة تضم الهبيئة
الاجتماعية . وقد نجحوا في ذلك اذ استطاعت (بروسية) ان تكسب عون
الشعوب الالمانية رغم حكوماتها وان تزحف هذه الشعوب نحو مساعدة بروسيا
ضد هذا الجيش الغريب . وبفضل ذلك استطاعت (بروسيا) ان تعيد عزتها وان
تساهم في قهر نابليون مساهمة فعالة .

ونرى كذلك ان الثورة الفرنسية نفسها قد اوجدت الاساس الاول للمواطنة
خلاف ما نرى في (بروسيا) . اذ نشاهد (سمويسرة الصغيرة) . التى خشيت
التعرض لغزو نابليون تسرع مثل بروسيا لاتقاء هذا الخطر بتقوية الفرد وجمع

الكلمة لا على اساس القربى والعلاقة الدموية ولكن على اساس الشعور المشترك والمصالح المتبادلة . فاعتبرت الاساس الاول للمواطنة هو شعور الاخوة فيما بينهم دون النظر الى الانحدار التاريخي أو الترابط الدموي القومي .

و (سويسرة) هي اولى الدول الغربية التي وضعت حقوق المواطن وواجباته على اسس متعادلة . لذلك فقد ادخلت في مدارسها الدروس المدنية التي ضمنت بها تعريف الفرد السويسري بحالة بلاده (سويسرا) . لتحمله بذلك على الشعور والارتباط بالوطن وبالكيان السويسري . وقد استطاعت رغم ما كان فيها من اختلاف في الاديان واللغات والطبائع ان تربي المواطنين تربية وطنية صحيحة وان تجعلهم يشعرون شعوراً موحداً رغم الاختلافات العنصرية التي بينهم واننا لنجد سويسرا سائرة منذ ذلك الوقت حتى اليوم على هذا الاتجاه ويصرح علماءها دوماً ومربوها بان الدولة تتطلب من المدرسة ان تهنيها مواطنين صالحين وان المواطن الصالح الذي تنتظره الدولة السويسرية انما هو الرجل الذي يعتمد عليه ويوثق به والذي يبتكر والمدرسة يجب ان تستخدم الساعات الحرة للوصول مباشرة الى هذا الهدف .

وافقد استمر المفكرون الغربيون بمحشون في الغايات الحقيقية لتربية المواطن وكذلك في الوسائل الصحيحة لتحقيق تلك الغايات بتأثير النزعة الفردية التي طغت على حياة القرن التاسع عشر . وقد كثرت الابحاث التربوية والمناقشات الاجتماعية وقامت بعض الجامعات بمسابقات علمية ايضاً حول تعيين غاية المواطن والوسائل الفعالة لذلك . واشترك في كل ذلك علماء لهم قيمتهم وشهرتهم وكتبوا رسائل تربوية وقاموا بابحاث وتجارب . وفي مقدمة من نشر وبحت هو المربي كرسنشتاينز الالماني الذي فاز بمحثة حول هذا الموضوع بالمسابقة ونال جائزتها واحتل مكانة في الغرب في ابحاث المواطن الصالح .

من ذلك نجد الاتجاه قد اخذ يستقر في أن تحد النزعة الفردية وان تكون مصالح الجماعة في مقدمة جهود الافراد لذلك يرى اكثر المفكرين ان أهم صفة

للمواطنة الصالحة هي الايمان بالمصلحة العامة والعمل لها وكذلك الاستعداد للتضحية وحتى بالحياة في سبيل ذلك .

وان تحقيق مثل هذه الغاية السامية من الوجهة الخلقية يشترط وجود أسس معينة لذلك فقد وجد أن خير فترة زمنية من العمر لتحقيق ذلك هي الفترة التي بين الثالثة عشرة والتاسعة عشرة من العمر وقد تكون بالنسبة لمراحل التعليم فترة الدراسة الثانوية .

ففي المدرسة الابتدائية يتعود الطالب بعض القواعد الاجتماعية الضرورية للحياة المشتركة وفي المرحلة الثانوية يصبح قادراً على أن يعي الواجبات الاجتماعية الملقاة عليه ويفهم روح التضامن في سبيل الجماعة ونموها وازدهارها .

فنجد الكثيرين من رجال التربية في وسط أوروبا يصرفون جهوداً خالصة في هذه المرحلة لتنشيط فكرة المواطن والسير في طريق تحقيق هدفها .

ولقد استقرت في أسس المواطنة الصحيحة واتجهت الى مكافحة الفروق الكثيرة بين المواطنين والى إيجاد تعادل تام بين الواجبات والحقوق ثم تضامنت القوانين العامة والاسس الاجتماعية على تثبيت هذا التعادل حتى اننا نجد الغرب بمنح المشتركين في الحروب امتيازات خاصة بعد الحرب ، كما انه يضمن لهم حقوقاً معينة بنالونها بعد الحرب وحتى لو خسرت الأمة الحرب .

أما وسائل تحقيق غاية المواطنة فتتم بحثاً بأسهاب في عدة دول غربية بحوثاً اناس من ذوي الاختصاص . فتبين انها تزداد بسعة المخترعات والاكتشافات ، وتبين ان المدرسة أهم وسيلة لذلك فهي التي تضم الشبان في هذا العمر وهي التي تقودهم وتؤثر في حياتهم الخاصة واهدافهم العامة . لذلك تأثرت المدرسة بهذه الغاية التربوية الجديدة فأحدثت تغييرات في مناهجها وذلك باضافة ساعات دراسية لفهم حقوق المواطنين وواجباتهم ونظمت رحلات وزيارات تثبت فيها عملياً ونظرياً هذا الاتجاه . ووضعت الاهداف التالية نصب عين المدرسين والقائمين على أمر تحقيق المواطنة الصحيحة وهي :

١ - كل مواطن يجب أن يكون منتجاً كأن يكون عاملاً في مهنة ما وعليه أن يؤديها كاملة وله أن يتمتع بجميع حقوقها .

٢ - لكل مواطن حق الانتخاب والتصويت بعد عمر معين والمساهمة في المنظمات العامة التي تهدف إلى سعادة الفرد وتحسين الهيئة الاجتماعية وتقدمها .

٣ - للمواطن أن يشعر بأنه إنسان ، وهذا الشعور يرفع الإنسان فوق كثير من المنازعات الصغيرة وأن يمتلي قلبه بالرحمة والعطف على الضعفاء والمعوزين لذلك على كل مواطن أن يفكر لا في أحوال نفسه وأمة فقط وإنما أحوال الأمم الأخرى ليقوم بواجبه كإنسان أيضاً .

غير أننا نجد أن المدرسة وحدها لا تستطيع تحقيق ذلك ولمدة طويلة لذلك فقد قامت الجمعيات المختلفة تعمل هي أيضاً على تحقيق هدف المواطنة الصحيحة وساهمت الدول الغربية بما لديها من إمكانيات وإرشادات في هذا الأمر .

وكما زادت مشاكل الغربيين وتعددت حياتهم ، زاد الاهتمام بأمر المواطن الصالح وصفاته الضرورية التي تقود إلى الانتاج الفردي والانسجام مع هيئته الاجتماعية .

لقد أصبح المواطن الصالح هدف التربية الحديثة وأصبحت المدارس لا تهمل هذا الهدف في وضع المناهج الدراسية وتحديد مدة الدراسة ونوعها وكذلك نلاحظ ذلك بوضوح عند ما تقوم بتنظيمات شعبية جديدة وتغييرات اقتصادية وسياسية . وما الفكرة الجديدة التي تقوم بها منظمة اليونسكو من تعميم التربية الأساسية إلا امتداد لفكرة إيجاد مواطن صالح ينسجم وطرز الحياة الجديدة ويستطيع العيش مع الهيئة الاجتماعية البشرية والسير بقافلة الحضارة العالمية .

والى هذا النص أشار (منرو) في تقريره عن اصلاح المعارف في العراق ، حيث وجد ان حالة التعليم لا تقود الى العمل على إيجاد مواطن صالح في العراق حيث قال :

« الفرد المبتي بالأمراض ، ذو النشاط القليل ، والبصر الضعيف ، الذي ينقل

الامراض الى مجاوريه لا يمكن أن يكون مواطناً صالحاً ، اذ ليس في استطاعته ان يقدم لبلاده شيئاً من العلم والثروة وان قدم قليلاً .

والشخص الذي لا يعرف كيف يعمل لاعالة نفسه وعائلته ، لا يتبرع من ربحه للصالح العام والثروة العامة لا يمكن أن يكون مواطناً صالحاً .

والفرد الذي لا يعرف كيف يشتغل بالتعاون مع الآخرين والذي لا يوثق به من معاملاته مع الآخرين ، والذي لا يحترم شخصيات الآخرين ، والذي يحاول ان يمتلك اموال الغير بالسرقة أو القمار والاحتيال لا يمكن أن يكون مواطناً صالحاً .

والفرد الخاضع لتأثير الخرافات ، الضحية لتمرير الطبيعة وشروور المحيط لا يمكن ان يكون مواطناً صالحاً .

وفي هذا اشارة صريحة لصفات المواطن الصالح وتنبيه واضح لنا عن حالتنا الحاضرة والأمراض التي يبتلي بها المواطن عندنا ، اننا لا نستطيع الوصول الى ايجاد مواطن صالح ما لم نستطع القضاء على هذه الامراض المنتشرة التي اشار اليها منو (في تقريره .

وغاية التربية الحديثة الأخيرة هي ايجاد المواطن الصالح واصلاح حياة الفرد وتوجيهها في طريق عام يقود الى خلق مواطنة صالحة وجعل الافراد يشعرون بقيمة كفرد وبشعور اجتماعي يربطهم مع الآخرين ، ليتعاونوا على الصعوبات في الحياة ويتمتعوا بالحياة المشتركة الطيبة .

منظومات التربية

لقد رأينا مما مر بأن الدول . منذ ان تولت تربية الجيل الجديد واخذت على نفسها اعداد الجيل وفقاً لاتجاهاتها من جهة ووفقاً لتطور الحضارة الجديدة ومتطلباتها من جهة اخرى ، صارت تبحث في جميع الوجوه عن جميع القوى العاملة في التربية .

ومع انه لم ينكر قبلاً اثر البيت ولا اثر المجتمع في التربية الى جانب الدولة ومنظمتها لذلك اخذت الدول توصي المؤسسات التربوية للدولة (المدرسة) ان تمنى عناية خاصة بدراسة البيت والمجتمع والعمل على الافادة منهما في حمل التربية .
لقد آمن علماء التربية في النصف الثاني من القرن التاسع عشر بأن المحيط له اثره الفعال وقد يكون في بعض الاحيان العامل الأول في توجيه الطالب نحو الهدف الشخصي ونحو الهدف القومي العام ولذلك فكلما تظافرت الجهود المختلفة ، ذات العلاقة المباشرة بحياة الطالب ، كلما استطاعت ان توجهها الوجهة الصحيحة .
 وان توسع ابحاث علم التربية وعلم النفس في النصف الثاني من القرن التاسع عشر من جهة وتوسع التعليم وانتشاره في جميع الاقطار الغربية قد دعت كلها الى ادخال الايمان الى نفوس المعلمين بحاجتهم الكبرى الى مساعدة الآباء والاولياء في توجيه الطلاب وفي تحقيق اهداف التربية كذلك آمن الآباء بأنهم بحاجة الى معاونة المعلمين والمدرسين للوصول الى غاياتهم بالنسبة لأولادهم وبناتهم . وآمن بأن التربية الصحيحة هي التي تستند على التعاون بين المدرسين واولياء الطلاب ولذلك فان معاونة الآباء للمدرسين أمر ضروري وتعطى الطلاب امكانية قوية في تفتح قابلياتهم ونمو مقدراتهم وزيادة انتاجهم . وان تكاتف الآباء والمدرسين انما هو خال من الغش والخداع ويخدم مصالح الطلاب انفسهم .

ولقد أيد هذا الاتجاه في احكام الصلة بين الآباء والمعلمين كثير من المربين والمفكرين والفلاسفة ، حتى لقد لام بعضهم الآباء الذين لا يساهمون في تربية

الاولاد وانما يتركون كل ذلك الى المدرسين وحدهم . حتى لقد وصل اللوم الى ان الأب يجب ان لا يترك جميع الامور للمعلمين ، حيث قد لا يقوم المعلمون بالتربية الصحيحة وذلك لان بعضهم يعتبر التعليم مهنة مادية ويقوم بالتعليم للربح المادي فقط . وان واجب الاب يمتد الى داخل المدرسة أيضاً .

وقد تكون التربية في امريكا قد وجهت عناية اولى الى التعاون بين الآباء والامهات واولياء الطلاب والمعلمين . حيث كان وما زال الشعب الامر بكى يشعر بان المدارس على اختلاف انواعها ودرجاتها انما هي ملك للشعب ولذلك فالشعب كان وما زال مساهماً في البذل من اجل المدرسة وفي قبول الضرائب بتقديم العطاءات لهذه الغاية .

ربما يكون من اهم الأسباب لذلك هو ان المهاجرين الى امريكا قد قاموا انفسهم بانشاء المدارس وادارتها ورعايتها لغايات معينة ثم استمرت رعايتهم للمدرسة رعاية تدعو للاعجاب والتقدير .

ومع ان الدولة في الغرب قد اصبحت مشرفة على المدارس لتأمين اهدافها العامة في السيطرة على اتجاه التربية وتوجيه الشعب بكامله فكانت مع ذلك تشعر بأن الاشراف على التربية والتعليم يكلفها مبالغ كثيرة لئلا باستطاعتها أن تقوم بجمع تلك المبالغ عن طريق الضرائب فتخط لذلك كانت الكثير من الدول الغربية مضطرة ان تقبل الاشراف الاهلي على المدارس ولكن بنسب مختلفة بالنسبة لطرق الدولة من جهة ونوع الحياة من جهة اخرى . وعلى هذا قامت منظمات مشتركة بين الدولة والشعب للاشراف على المدارس اهمها :

لقد بدأ العمل المشترك بين الدولة والشعب في ناحية التربية والتعليم بواسطة مجلس التعليم الذي يقوم بالاشراف على جميع شؤون المدارس وليس القصد من هذا الاشراف التفيتش المهني بالمعنى المفهوم وانما يعني ذلك تقديم التوصيات لادارات المدارس وللمعلمين والنظر في جميع مناهج الدراسة والكتب التي تدرس . كذلك يقوم المجلس نفسه باقرار الضرائب الخاصة من داخل المنطقة ، وأحياناً

جمع التبرعات الضرورية للحركة التعليمية ولنمو المدارس وتحسينها .

وكثيراً ما تنفرع عن المجلس لجان خاصة لتقديم توصيات حول الموضوع .
ولتقوم هذه المجالس بأعمالها بحرية تامة دون التقيد بالحكومة او المنظمات
السياسية الأخرى وبذلك تحمي المدارس من تدخلات الحكومة من جهة ومن
هجوم الاحزاب السياسية من جهة أخرى . حيث يتمتع اعضاء المجالس هذه
بثقة الجهتين .

ولقد كثرت المجالس هذه في الدول الغربية ذات النظام الديمقراطي الواسع
الذي يمنح سلطة واسعة للمنظمات الشعبية بإنشاء المدارس والاشراف عليها ، ثم
عمت في أكثر البلاد الغربية الأخرى . وأخيراً اخذت بعض الدول بعد النزعة
السياسية التي توجه الشعب توجيهاً موحداً بواسطة الدولة الى تقليص هذه المدارس
وجعل عملية التوجيه بيد الدولة مباشرة تحت سيطرة وزارات المعارف .

١١-١-٢ ات المعارف ووزاراتها

لقد اختلفت نظرة الدول والشعوب الى التعليم كما اختلفت أيضاً علاقة الدولة
بالتعليم . فالتعليم قد بدأ في أكثر الامم لاهداف دينية وقام الناس به على شكل
اعمال فردية . ولما انتظمت المؤسسات الدينية عنيت بالتعليم عناية خاصة خدمة
لاغراضها الدينية .

على ان النزاع بين رجال الدين من جهة والدولة من جهة أخرى من الدول
الغربية (لا سيما الأوروبية منها) قد نبه الدول الغربية الى ضرورة الاشراف
والسيطرة على التعليم ليخدم بذلك اغراض الدولة وليضمن بذلك التوجيه المتفق
ومبادئها وغاياتها . ولم تخضع المدرسة والمؤسسات العلمية في الغرب بسهولة الى
سيطرة الدولة كما ان المنظمات الشعبية وفي مقدمتها الدينية ما زالت تحاول السيطرة
على التعليم لغرض التوجيه .

وما زال في الغرب اليوم رغم اشراف الدولة على جميع مرافق الحياة ومن
ضمنها التعليم يؤمنون بان الدولة لا تستطيع خدمة التعليم والاخذ بيده ما لم

تترك للشعب حرية تنظيمه والاشراف عليه .

وقد لا يخلو بلد في الغرب من وجود اناس لهم مقامهم الاجتماعي ومركزهم الرسمي احياناً ممن يدنون بهذه الفكرة ويرون ان الدولة لا تستطيع مهما بلغت من التنظيم الحديث أن تسد هذه الثغرة في التعليم وان الدولة محدودة الاثر في توجيه الناس بالنسبة للقيم الخلقية .

على ان الدولة المنظمة الاولى في كل بلاد سارت على مبدأ الاشراف المباشر على التعليم ، ولذلك فقد تحمات هي نفسها مسئولية تنظيم أسس التربية والتعليم واعداد المناهج وهيئة الوسائل الضرورية وذلك حرصاً على توحيد المواطنين في التفكير وضماناً للعدالة الاجتماعية وتحاشياً من نفوذ الهيئات الدينية والمنظمات الحزبية السياسية في توجيه الشباب قبل نضوجهم نحو وجهات خاصة بها .

والدولة في الغرب هي فوق الاحزاب وفوق المنظمات الدينية المختلفة لذلك فهي أضمن للناس في توجيههم وجهة تنسجم وقابليتهم وتتفق واتجاهات الاكثرية في البلاد .

وكثيراً ما كانت بعض الدول الغربية ، لا سيما التي تكثر فيها الفروق المذهبية او الدينية في مقدمة الدول التي سيطرت على التعليم وتعهدت بتنظيمه ومراقبته ، كي لا يكون أداة لزيادة الخلافات الدينية والمنازعات الاجتماعية .

فقامت لذلك في البلاد منظمات ضمن منظمات الدولة مهمتها نشر التعليم وادارته ، وكانت تلك المنظمات تتناسب وحاجات الدولة واسس تنظيمها العام .

وعندما استقرت الدول الغربية في انشاء الوزارات لادارة ما كسنة الدولة خصصت اكثر الدول الغربية وزارة خاصة تعني بالتربية والتعليم ، دعت باسماء مختلفة ، وذلك لأهمية التعليم ومركزه بالنسبة لرجال الدولة .

واذا كانت بعض الدول الغربية لم تنشئ وزارة للمعارف فيها فما ذلك إلا لأنها تريد ان تعطى مجالس التعليم حرية العمل . وقد اصبحت حتى تلك الدولة الآن آخذة بنظام تأسيس وزارة خاصة للتعليم باسم المعارف .

فوزارة المعارف اذاً هي المنظمة الحكومية التي تعهدت بالتربية والتعليم واصبحت تواجه البرلمان والشعب بمسؤولياتها في هذا الامر شأن الوزارات الأخرى .
 ووزارة المعارف هي من الوزارات المستحدثة بالنسبة للوزارات الأخرى حيث كما نعلم ان الوزارات التي اسست في الدولة كانت في بادئ الامر خمسة ، تعتبر اساسية لسل دولة (المالية ، العدلية ، الداخلية ، الخارجية ، الدفاع) ثم اخذت الدول الغربية تحدث وزارات أخرى وفقاً لحاجاتها المتزايدة واهمية ذلك ومن ضمنها وزارة المعارف .

والآن تعتبر وزارة المعارف في كل بلد هي المنظمة الأولى في الدولة التي تتولى امور التربية والتعليم ، فهي التي تتعهد انشاء المدارس واعداد المناهج ومراقبة التطورات العلمية وتهيئة الجيل الجديد من الوجهة الثقافية والعلمية الحية ، وفقاً لضرورات الحياة من جهة واهداف الدولة من جهة أخرى .

وصارت كثير من الشعوب الغربية تقبل هذه السيطرة المباشرة من قبل الدولة على التربية والتعليم ، لأن جهاز الدولة بما يتمتع به من امكانيات لاسيما في القرن العشرين اصبح قادراً على تحمل مسؤولية هذه المهمة الشاقة . واصبحت للتعليم نزعة سياسية خطيرة لذلك لا تسمح الدولة بان توجه سياسة التعليم الا من قبلها . وتنظمات كل وزارة معارف تتناسق ومؤسسات الدولة الأخرى ولكن يلاحظ وبصورة خاصة في الدول الفتية وعندنا أيضاً ان تنظمات وزارة المعارف سرية التطور لفتوة الدولة من جهة ولتطور الحركة التربوية التعليمية بسرعة كبيرة ، مما يتطلب تطوراً مستمراً في جهاز وزارة المعارف ليتناسق مع سرعة هذا التطور . ولقد اصبحت اهمية وزارة المعارف كبيرة في مثل هذه البلاد لفقدان المنظمات التربوية فيها ولأن حركة التعليم والتربية تتطلب جهداً فنياً ومبالغ مالية لاضافة المنظمات الشعبية بها .

والآن نجد في البلاد العربية عامة اتجاه واضحاً في ان تتولى وزارة المعارف تنظيم المدارس وادارتها والاشراف عليها والانفاق عليها ايضاً لأن ذلك اضمن

لمستوى التعليم ولروح التربية الحديثة ولا اتجاهات الجيل الناشئ . ولذلك فقد قررت جامعة الدول العربية ان تعير الدول العربية اهمية خاصة للتربية والتعليم وتخصص لذلك المبالغ الكافية من ميزانية الدولة بحيث لا تقل النسبة عن ٢٠٪ من الميزانية العامة . ومع ان العراق لم يبلغ هذه النسبة رغم حاجته الى اكثر منها إلا ان المخصصات الاضافية من موارد النفط اصبحت ذات قيمة في مساعدة الحركة التعليمية من الناحية المادية ، كالبنايات والمختبرات والمكتبات والنوادي . وما زالت البلاد العربية حتى الآن ضعيفة في سن قوانين لضرائب خاصة توجه للتعليم والتربية ، مما يجعل وزارة المعارف في البلاد العربية مثقلة بحمل نفقات التربية والتعليم كاملة لذلك نجد سيطرتها على حركة التربية والتعليم تكاد تكون كاملة ايضاً تتناسب و ثقل المسؤولية نفسها .

المنظمات الاخرى

لم يقف الأمر عند تشكيل مجالس التعليم ووزارات المعارف وانما تعداه الى مساهمة الشعب مساهمة مباشرة في أمور التربية والتعليم . ومنذ نهاية القرن التاسع عشر والدول الغربية تشهد اهتماماً خاصاً وكبيراً في شؤون التربية والتعليم . وقد لا تخلو دولة من دول الغرب من وجود منظمات خارج المدرسة تساهم فيها المدرسة ويساهم فيها الشعب لمعرفة المدرسة على ادارة واجبةا التربوي بالاضافة الى واجبةا التعليمي . وقد اعطت هذه الجهود المزدوجة نتائج طيبة بالنسبة للدولة وللناس مما سهل على المدرسة القيام بالمهام التربوية والتوجيه العلمي والمهني على اساس صحيح . كذلك شعر الآباء والأمهات بأن لمهامهم واشتراكهم مع هيئة المدرسة في ادارة بعض شؤونها اثر بليغ على نفسية اولادهم وبناتهم .

ان الاتجاه التربوي الحديث الذي نادى به جون ديوي فيلسوف التربية في امريكا والذي أيده الكثيرون من فلاسفة التربية في اكثر انحاء العالم الغربي والذي ينحو نحو ربط المدرسة بالحياة ربطاً يجعلها جزءاً من المجتمع ، قد اثر على هذه الاتجاهات وقد عمل على قيام مثل تلك المنظمات العديدة .

وقد تعتبر جمعية الآباء والمعلمين من أهم المنظمات التربوية في الغرب ، اذ قد شعرت المدرسة بضرورة التعاون مع الآباء تعاوناً يجعل الآباء يشعرون بالمسؤولية التربوية . فالصناعة النامية في الغرب كانت توجه الناس نحو اتجاه صناعي مادي واضح ، خشيت المدرسة منه على طلابها لا سيما الاحداث ، مما فرض عليها ان تستعين بالآباء على تخفيف حدة الاتجاه هذا .

فجماعة الوالدين والمعلمين تتصل بالمدرسة مباشرة وكثيراً ما يتفرع عنها جماعات اخرى لأغراض معينة . وهذه الجماعات ليست لها علاقة بالحكومة ومع ذلك فلها نفوذ على المدرسة وتسامح بمسئول كبير في توجيه ادارة المدرسة .

وكانت مثل هذه الجماعات تقل او تكثر بالنسبة للحاجة وبالنسبة لظروف الدولة على اننا نجد ان الولايات المتحدة كانت وما زالت في طليعة الدول الغربية التي تعني بجمعية الآباء والمعلمين والتي تعتبر بان مثل هذه الجمعيات الفضل الاكبر في توجيه الطلاب واصلاحهم وزيادة فعاليتهم وجعلهم يشعرون بالمواطنة الصحيحة منذ الصغر . كذلك نجد ان بعض الأحزاب السياسية في الغرب بعد نموها في نهاية القرن التاسع عشر واول القرن العشرين توجه عناية خاصة لايجاد منظمات خاصة ضمن الاحزاب للتربية ، بحيث توجه الشباب ومنهم الطلاب توجيهاً سياسياً ينسجم ومبادئ الاحزاب وعقائدها . يضاف الى ذلك القيام باعمال الفروسية والالعاب والسفريات وما شاكل ذلك من الأمور الفعالة من التربية .

وقد سارت بعض الفرق الدينية على هذا الغرار بتشكيل فرق جوائز ومنظمات شباب تابعة للكنيسة وتقوم ايضاً بإرشاد الشباب وتربيتهم بعد اوقات الدراسة وفقاً لتعاليم الكنيسة ومبادئ الدين .

ولقد اقتبست بعض الجمعيات المهنية والنقابات شيئاً من المنظمات التربوية فاخذت هي نفسها تعنى بذلك ايضاً شأن الاحزاب والهيئات الدينية .

على اننا نجد ان من أهم المنظمات التربوية التي نشأت في اوائل القرن العشرين ، حركة الكشف ، التي اسست لتضم الطلاب والشباب بعد انتهاء الدراسة ، وتقوم

بالتجوال والحركات الرياضية والاستطلاع والعيشة تحت المخيمات . وهذه المنظمة
الكشفية قد عمت اكثر الدول الغربية وانتشرت في اكثر الدول الشرقية وقامت
الى جانب المدارس الحديثة . ولقد تحمست المدارس لهذه المنظمة تحميساً شديداً
واعتبرتها خير منظمة تربوية تقوم الى جانب البيت والمدرسة وتساهم فيها المدرسة
مساهمة كلية .

وقد انبثق عن ذلك منظمات للشباب في الغرب وبصورة خاصة في الجامعات
تقوم باعمال ذات اثر تربوى .

كل هذه المنظمات التربوية كانت تعمل على تكملة رسالة المدرسة في ناحية التربية
وتسهل عليها انجاز الواجبات الكبيرة ، كذلك كانت تساعد البيت في كثير
من الاحيان .

على اننا لا ننكر ان تعدد هذه المنظمات وتضارب وجهات النظر فيما بينها قد
اوجد خصومات بين المنظمات وقد احدث اضطراباً في بعض المدارس وفي العائلات .
لأننا نجد ان العائلات ترى واجبها توجيه الابناء والبنات وفقاً لاتجاهاتها بينما
يبدفع الشباب نحو اتجاهات اخرى في المنظمات التربوية الخارجة عن نطاق المدرسة .
فالعائلة كانت تمق في المدرسه واتجاهاتها ولكنها كانت احياناً تشك في نيات
بعض المنظمات وتخشى منها التوجيه الخطر على الابناء .

نرى من كل ما تقدم ان المنظمات التربوية كانت قد توسعت وما زالت تتوسع
وقد تتقلص بعضها للتصادم الذي يحصل لها ولتقليل النفقات التي تتطلبها المنظمة .
واما بالنسبة لنا فانتنا مازلنا في المرحلة الأولى ، ولم نبدأ حتى الخطوة الأولى
وهي ايجاد صلة تعاون وثيقة بين الآباء والمعلمين لا على شكل جمعيات ولكن
حتى بصورة افراد . لذلك فان فقدان المنظمات الخارجية للتربية قد جعل مدرستنا
تفقد كثيراً من حيويتها التربوية وتمتصر في اعمالها على الناحية التعليمية .
على ان الحالة الآن هي في دور تغير سريع وربما نرى في المستقبل القريب بعض
هذه المنظمات ، فتقوم بما قامت به امثالها في البلاد الاخرى .

أهم المصادر العربية

- ١ - الديمقراطية والتربية
- ٢ - المدرسة والاجتماع
- ٣ - في التربية
- ٤ - سياسة التعليم في مصر
- ٥ - التربية لعالم حائر
- ٦ - العلاقات الاجتماعية في الشرق العربي
- ٧ - المجتمع ومشاكله
- ٨ - مقدمة التربية
- ٩ - علم النفس التربوي
- ١٠ - التربية في الشرق الاوسط العربي
- ١١ - من الحكميم القديم الى المواطن الحديث
- ١٢ - اصول التربية وسيكولوجية التعليم
- ١٣ - تقرير الكشف التهديبي
- ١٤ - الحياة النفسية
- ١٥ - المؤتمر الثقافي الاول
- ١٦ - حولية الثقافة العربية
- ١٧ - التربية الاسلامية
- ١٨ - عصر النبي
- ١٩ - تاريخ التربية
- ٢٠ - تأريخ التربية
- ٢١ - بين التربية وعلم النفس
- جون ديوي - ترجمة عقراوي وزكريا
- « « « ديمتري قندلفت
- برنارد رسل
- اسماعيل القباني
- لفنجنستون - ترجمة وديع الضبع
- ستيوارت - ترجمة فريد نجار
- ساموئيل داو - ترجمة ابراهيم رمزي
- جورج فريزر - ترجمة مصطفى السر خدمة
- يتر سانديفورد - ترجمة فريد نجار
- ماتوز وعقراوي - ترجمة أمير بقطر
- الجماعة - ترجمة محمد ممدور
- رياض عوض
- بول منرو
- الفرد ادلر - ترجمة محمد بدران
- جامعة الدول العربية
- ساطع الحصري
- أسماء حسن فهمي
- عزة دروزة
- عبدالله مشنوق
- مصطفى أمين
- ميو - ترجمة حافظ الجمالي

يعقوب فام

٢٢ - التربية والاخلاق

محمد مظهر سعيد

٢٣ - علم النفس النظري والتعليمي

حامد عبدالقادر ورفاقه

٢٤ - في علم النفس

حنّا خباز

٢٥ - جمهورية افلاطون

اهم المصادر الألمانية

Peslallozzi	-	Ideen
Spranger	-	Jugendpsychologie
» »	-	Ledensformen
» »	-	Vok - Staat - Erziehung
Dilthey	-	Paedagogik
Petersen	-	Paedagogik - der Gegenwart
» »	-	Erziehungswissenschaft
Wundt	-	Grundriss - der Psychologie
Hartmann	-	Ethik
Benz - Graefer	-	Erziehungsmächte
Kerschensteiner	-	Die Seele des Erziehers
» »	-	Staatsbürgerliche Erziehung
» »	-	Charakterbegriff
	-	und Charaktererziehung
Freund	-	Psychoanalyse
Griesebach	-	Freiheit und zucht

الفهرست

صفحة

صفحة

٦٠	طريقة التدريس		المقدمة
٦٧	المدرسون	١	التربية بمعناها العام
٧١	التربية والعلوم الاخرى	٣	اهداف التربية
٧٢	التربية والفلسفة	١٣	هدف التربية في الامة العربية
٨١	« وعلم النفس	١٧	وظائف التربية
٨٥	التجربة	٢٥	تاريخ التربية
٨٨	« والتربية	٢٥	التربية عند اليونان
٩٢	التربية وعلم الاخلاق	٢٨	« في العصور المتأخرة
١٠١	اقسام التربية	٣٢	« عند الرومان
١٠٥	طريقة التربية الجسميه		« الرومانيه بعد التأثير
١٠٩	التربية الخلقية	٣٤	الاغريق
١١٣	مراحل تكون الخلق	٣٧	« في القرون الوسطى
١١٧	طريقة التدريب الخلقى	٣٦	الكنيسه
١٢٠	التربية العقلية	٤١	حركة لوثر
١٢٩	« العاطفيه	٤٦	الفروسيه
١٣٠	اهميه العواطف	٤٨	المنظمات المهنيه
١٣٣	اقسام «	٥٠	اثر المسيحيه في التربية
١٣٣	طريقة التربية العاطفيه	٥٦	التربية العربيه الاسلاميه
	تربيه العواطف البديعه	٦١	اسبس التربية العربيه الاسلاميه
١٣٧	(الجماليه)	٦٢	التعليم في الاسلام
١٤٠	كيفية تربيه هذه العواطف	٦٢	المعاهد
١٤٢	مراكز التربية الهامه	٦٤	تنظيم الدراسه والمناهج

١٤٥	أثر البيت
١٤٥	مستقبل العائلة عندنا
١٤٩	علاقة البيت بالمدرسة
١٥٠	المجتمع : الجماعة
١٥٢	تكوين المجتمع
١٥٣	المجتمع العراقي
١٥٥	طبقات المجتمع
١٥٦	اهمية المجتمع للتربية
١٥٩	المدرسة
١٦١	البناء
١٦٢	النظام المدرسي
١٦٦	صلات المدرسة
١٦٩	صلة المدرسة بالمحيط الاجتماعي
١٧١	علاقة المدرسة بالدولة
١٧٥	مدرستنا الآن
١٨	عنصر التربية الاساسية
١٨٠	المعلم
١٨٥	الصفات الجسميه
١٨٧	« الخلقية والاجتماعيه »
١٨٨	« الثقافيه العالميه »
١٩١	تدريب المعلم

١٩٢	معلمو الثانويات
١٩٣	معلمنا الآن
١٩٧	الطالب
١٩٧	الطفل
١٩٩	مراحل النمو
٢٠١	خصائص الطفولة
٢٠٤	مرحلة الشباب
	اهم خصائص الطفولة في مرحلة
٢٠٧	ما قبل المدرسة
	اهم صفات مرحلة الدراسة
٢١٠	الثانوية
٢١٣	الشباب والمهنة
٢١٤	العمر المناسب لدخول المهنة
٢٢١	الشباب والدين
٢٢٧	الشباب والسياسة
٢٣٥	المواطن الصالح
٢٤١	منظمات التربية
٢٤٣	ادارات المعارف ووزاراتها
٢٤٦	المنظمات الاخرى
٢٤٩	اهم المصادر العربية
٢٥٠	اهم المصادر الالمانية

رقم الصفحة	الموضوع	رقم الصفحة	الموضوع
١٤٦	مقارنات النواحي	١٤٦	أدب الدين
١٤٧	مقارنات الأديان	١٤٧	مستقبل العالم بعدنا
١٤٨	الدين	١٤٨	علاقته بين الدين والسياسة
١٤٩	الدين	١٤٩	الدين والسياسة
١٥٠	الدين	١٥٠	الدين والسياسة
١٥١	مراحل الدين	١٥١	الدين والسياسة
١٥٢	مراحل الدين	١٥٢	الدين والسياسة
١٥٣	مراحل الدين	١٥٣	الدين والسياسة
١٥٤	مراحل الدين	١٥٤	الدين والسياسة
١٥٥	مراحل الدين	١٥٥	الدين والسياسة
١٥٦	مراحل الدين	١٥٦	الدين والسياسة
١٥٧	مراحل الدين	١٥٧	الدين والسياسة
١٥٨	مراحل الدين	١٥٨	الدين والسياسة
١٥٩	مراحل الدين	١٥٩	الدين والسياسة
١٦٠	مراحل الدين	١٦٠	الدين والسياسة
١٦١	مراحل الدين	١٦١	الدين والسياسة
١٦٢	مراحل الدين	١٦٢	الدين والسياسة
١٦٣	مراحل الدين	١٦٣	الدين والسياسة
١٦٤	مراحل الدين	١٦٤	الدين والسياسة
١٦٥	مراحل الدين	١٦٥	الدين والسياسة
١٦٦	مراحل الدين	١٦٦	الدين والسياسة
١٦٧	مراحل الدين	١٦٧	الدين والسياسة
١٦٨	مراحل الدين	١٦٨	الدين والسياسة
١٦٩	مراحل الدين	١٦٩	الدين والسياسة
١٧٠	مراحل الدين	١٧٠	الدين والسياسة
١٧١	مراحل الدين	١٧١	الدين والسياسة
١٧٢	مراحل الدين	١٧٢	الدين والسياسة
١٧٣	مراحل الدين	١٧٣	الدين والسياسة
١٧٤	مراحل الدين	١٧٤	الدين والسياسة
١٧٥	مراحل الدين	١٧٥	الدين والسياسة
١٧٦	مراحل الدين	١٧٦	الدين والسياسة
١٧٧	مراحل الدين	١٧٧	الدين والسياسة
١٧٨	مراحل الدين	١٧٨	الدين والسياسة
١٧٩	مراحل الدين	١٧٩	الدين والسياسة
١٨٠	مراحل الدين	١٨٠	الدين والسياسة
١٨١	مراحل الدين	١٨١	الدين والسياسة
١٨٢	مراحل الدين	١٨٢	الدين والسياسة
١٨٣	مراحل الدين	١٨٣	الدين والسياسة
١٨٤	مراحل الدين	١٨٤	الدين والسياسة
١٨٥	مراحل الدين	١٨٥	الدين والسياسة
١٨٦	مراحل الدين	١٨٦	الدين والسياسة
١٨٧	مراحل الدين	١٨٧	الدين والسياسة
١٨٨	مراحل الدين	١٨٨	الدين والسياسة
١٨٩	مراحل الدين	١٨٩	الدين والسياسة
١٩٠	مراحل الدين	١٩٠	الدين والسياسة
١٩١	مراحل الدين	١٩١	الدين والسياسة
١٩٢	مراحل الدين	١٩٢	الدين والسياسة
١٩٣	مراحل الدين	١٩٣	الدين والسياسة
١٩٤	مراحل الدين	١٩٤	الدين والسياسة
١٩٥	مراحل الدين	١٩٥	الدين والسياسة
١٩٦	مراحل الدين	١٩٦	الدين والسياسة
١٩٧	مراحل الدين	١٩٧	الدين والسياسة
١٩٨	مراحل الدين	١٩٨	الدين والسياسة
١٩٩	مراحل الدين	١٩٩	الدين والسياسة
٢٠٠	مراحل الدين	٢٠٠	الدين والسياسة

370.1:U48mA:c.1

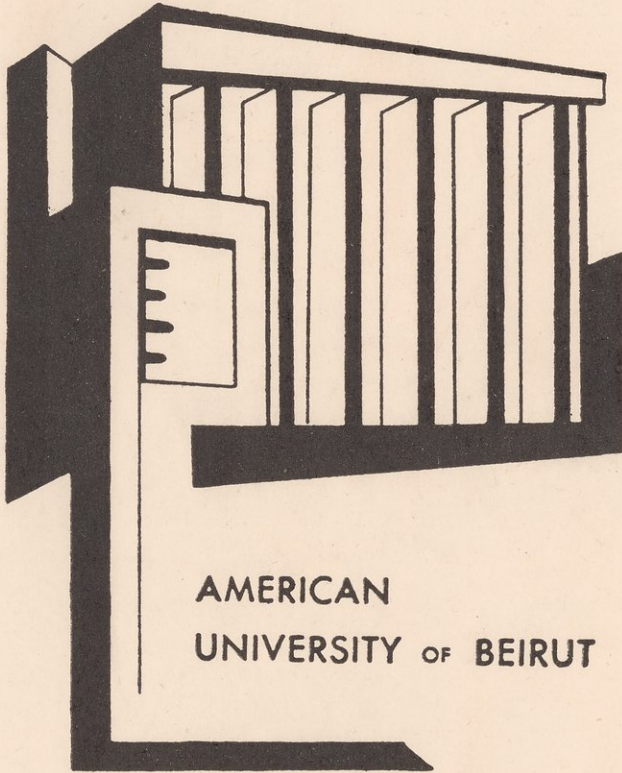
عمر، جابر

المدخل في التربية

AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT LIBRARIES



01021583



AMERICAN
UNIVERSITY OF BEIRUT

